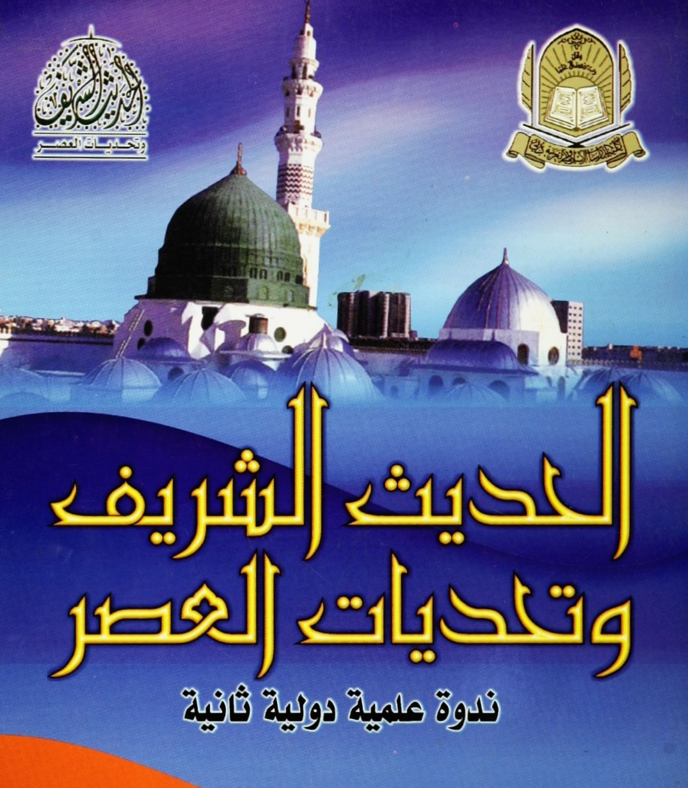


الحديث الشريف وتحديات العصر

ندوة علمية دولية ثانية

الجزء الثالث

عقدت في رحاب كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي

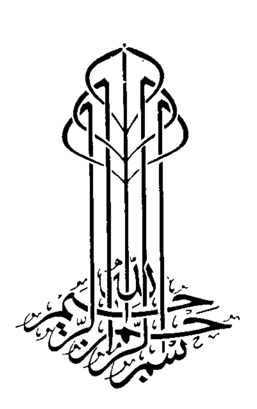
١٨ - ٢٠ صفر ١٤٢٦ هـ الموافق ٢٨ - ٣٠ مارس ٢٠٠٥م



الحديث الشريف وتحديات العصر

ندوة علمية دولية ثانية

(٣)


بسم الله الرحمن الرحيم

الحديث الشريف وتحديات العصر

ندوة علمية دولية ثانية

عقدت في رحاب كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي

١٨ ـ ٢٠ صفر ١٤٢٦ هـ الموافق ٢٨ ـ ٣٠ مارس ٢٠٠٥م

الجزء الثالث

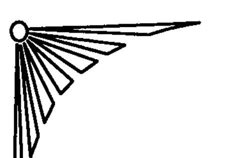
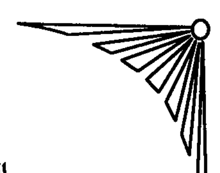
(الجلسة الخامسة والملاحق)



دبي، الإمارات العربية المتحدة

الطّبعـة الأولى

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

الجلسة الخامسة:

- **جهود مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث في خدمة الحديث الشريف:**

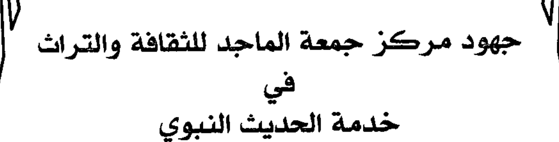
د. أنس صلاح الدين حسن صبري، مركز جمعة الماجد، دبي.

- **أضواء على الدراسات الحديثية في الهند:**

د. ولي الدين تقي الدين الندوي، كلية الدراسات الإسلامية والعربية، دبي.

- **المسيرة التاريخية للدراسات الحديثية الأكاديمية في تركيا:**

د. أمين عاشق قوتلو، تركيا.



جهود مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
في
خدمة الحديث النبوي

إعداد الدكتور/

أنس صلاح الدين حسن صبري

قسم المخطوطات - مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث



الملخص

لقد عمد المركز إلى نشر منظومة متكاملة ضمن إصداراته تتناول جميع جوانب الدراسات الحديثية، مراعيا مراحل بناء الشخصية الحديثية على قاعدة صلبة تمكنه من التصدي لظاهرة التهجم على السنة. وأمده برصيد هائل من تراثه الذي ينتظم وفق منهج صحيح في التعامل مع السنة، لأنه يقوم على ميراث السلف المؤسس على قاعدة سليمة.

ولأجل الزيادة في أفق هذه الشخصية بأساليب العقلية الخالية من الضوابط في التعامل مع السنة زودها المركز بدراسات لعلماء جهابذة قاموا من خلالها بالتصدي لتلك الحملة الشرسة وعروا أهدافها الخبيثة نصرة لهذا الدين.

وهذه الدراسات الحديثية التي أصدرها المركز فيها من الجدة وتناسق توالي الإصدار من جهة، والتسهيل للباحثين في تقريب تراثهم - مصدر منهجهم وزادهم على طريق الدفاع عن السنة - من جهة أخرى تؤهله إلى تبوء ذلك الدور الريادي المطلوب في مواجهة التحديات التي يتعرض لها الحديث الشريف.

ونتيجة لشراسة هذه الهجمة كان لا بد من دق أجراس الخطر عاليا وتثمين تجربة هذا المركز لدفعه إلى مزيد من الجهد في نشر السنة والذود عن حياضها ليكون في أفضل مستوى ممكن في مواجهة التحديات، وحتى يحذو من لديه الهمة والامكانات إلى السير على هذا المنوال.

واستعرض الباحث أقسام المركز المختلفة، ومدى إسهام كل منها في خدمة الحديث، وفق ترتيب منطقي تراكمي، فبدأ بعد المقدمة والتعريف بالمركز وأهدافه بالمخطوطات، وثنى بالمكتبة العامة، ثم المكتبات الخاصة وأردف بعد ذلك بالرسائل الجامعية، فالدوريات، ثم السمعيات والبصريات، وذكر بعدها مجلة المركز، وأعقبها بإصداراته، وعقبها بزواره، ثم باتفاقات المركز الثقافية، وختم بالنتائج والتوصيات.





بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي يهيىء دائما أمة من الناس تأخذ على عاتقها أن ترد الخير والحق إلى أهله، بعد أن امتلأت نفوسها بحب العدل والإنسان وببذل الخير مهما كلفها ذلك من تضحيات بالوقت والجهد والراحة والاستجمام والمال، فترى نفسها وتحقق ذاتها عندما تستنشق نسمات الصحوة، التي أخذت تهب بين الفينة والفينة، طارقة أبواب العلم التي أغلقتها حوادث الأيام والدهور، علها تجد من يلبي نداءها، فينضم إلى قافلة المحققين وناشري العلم، التي بدأت طلائع روادها تنطلق بسيرها، حاملة شعاعا، بل بصيصا من شعاع، كان في سالف الأزمان والعهود شعلا تضيء أنحاء المعمورة، تتهافت عليه الأمم الأخرى كما الفراش على الضوء، ولكنها بدلا من أن تتأثر سلبا بحرارته، نجدها تعود متسلحة بقوى فكرية، تنير الدروب المعتمة، وتوقظ النفوس من إغفائها في سراديب الجهل، وتتفاعل معه، كما المواد الكيماوية حين يخلط العالم بعض موادها ببعض، منتجة مادة جديدة تفيد البشرية، واضعا لبنة جديدة في بناء صرح الحضارة العالمية.

كذلك كانت أمتنا يوم كان العالم يدين لها بالطاعة، وينظر إلى ما كانت تقدمه إليه نظرة الظامىء الذي أدركه العطش وهو سائر في صحراء الحياة، فيقع على منهل عذب قراح يمده بعناصر وجوده.

لقد قدمت أمتنا على مائدتها لكل المدعوين الجادين، والعلماء العاملين، من كل الأمم التي كان لها اتصال بها، من كل أصناف العلوم المختلفة، التي كانت معروفة آنذاك، فأكلوا وشبعوا حتى أتخموا، وتفاعل ما

أخذوه مع ما يملكون من تراث فكري، مكونا فكرا جديدا لحياة تزهو بما تهبه للبشرية.

وتخلت أمتنا في غفلة من الزمن، حيث شغلها حب الدنيا، عن العطاء، كما تخلت عن الأخذ، وتراجعت قهرا، وفقدت الكثير من تراثها الذي خطه علماؤها، والنساخ من أبنائها، وتناهبته الأمم، وكأنه حق فينا قول رسولنا الكريم: «تداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها»[1] ، واحتضنته مكتبات العالم كما الأم تحضن وليدها، وصارت كل مكتبة تعتز بموجوداتها من المخطوطات العربية، في العلوم المختلفة وتضن بها على أصحابها الأصليين بل تخفيها عن ناظريهم، وأصبحت تعده من تراثها هي، وتنسبه لنفسها.

فقدت أمتنا أهم ذخائرها من التراث المخطوط وسُلبته كما الطفل يسلب، فيتبناه السالب، وتراثنا المخطوط والمسلوب تعج به المكتبات العامة والخاصة في بقاع الأرض من مشرقها ومغربها، وعندما يذهب أهله ليروه، يُحجب عنهم، ويمنعون من تكحيل أعينهم بمشاهدته إلا بشق الأنفس، وبالتضحية بالمال الكثير، يدفعه من يستطيع لمن لا يستحق.

تلك مشكلتنا مع تراثنا. حتى قيض الله لهذا التراث رجلا يرى سعادته ترفرف عليه ظلالها حين يتمكن من تصوير نسخة من هذا المخطوط أو ذاك، من مكتبة مشيدة في جادة مهجورة، أو مجهولة، أو لا يمكن الوصول إليها إلا بشق الأنفس.

أخذ هذا الرجل عهدا على نفسه أن ييسر السبل أمام الباحثين اللاهثين وراء نسخة مخطوطة، يرغبون في أن تأخذ سبيلها إلى الحياة، فتخرج من رحم المجهول، فترى النور، وتنطلق أنوارها بعد ذلك، جالية عقولا غطاها غبار الجهل، وربط عليها الجوع والعطش إلى العلم بعقاله المعقود بعقد لا

(١) سنن أبي داود ١١١/٤ كتاب الملاحم باب (٥) في تداعي الأمم على الإسلام ح - ٤٢٩٧، مسند أحمد بن حنبل ٢٧٨/٥ ح- ٢٢٤٥٠ بزيادة من كل أفق.

يتمكن من حلها إلا من هداه الله، أو كتب له الخروج من المتاهة التي أفقدته بصره وبصيرته.

وعودا على بدء، فقد أحس الرجل الخير بحدسه أن الله وهبه المال ووضعه بين يديه، لينفقه في مجال الخير، ينتفع به أبناء الأمة كلها، وتلك هي زكاته، فانطلق يشيد ويبني، ويؤسس، فكانت اللبنة الأولى المدارس الأهلية الخيرية، ثم كلية الدراسات الإسلامية والعربية، ولم يقف طموحه عند هذا الحد، ورأى أن من واجبه تسهيل سبل الحصول على نسخ المخطوطات للباحثين عنها، ولا يتمكنون من الوصول إليها، فأقام صرح مركز الثقافة والتراث بدبي، ليكون النبع الذي يرده العلماء والأدباء من هذه الأمة، يمدهم بما يحتاجون إليه من كتب ومخطوطات ومعلومات.

ومن أجل الحصول على المخطوطات، أصلية كانت أم نسخاً مصورة، حبب الله إليه السفر للبحث عنها في مظانها، دون كلل، ما أن يحط رحاله من رحلة إلى بلد حتى يعود إليه هاجس السفر إلى مكان آخر.

وهكذا انطلق جمعة الماجد في رحلاته إلى انحاء الدنيا، سابراً أغوار المكتبات أينما وجدت، بحثا عما فقدناه، عله يعود بصيد ثمين، يقدمه على مائدته العامرة، لمن يعيد لهذا الصيد الحياة، فلم يترك مكانا يحدوه إليه الأمل في العثور على ضالة شاردة، مختفية، بل مخفاة فيه، فسارت قافلته إلى الجمهوريات الإسلامية، التي أفلتت من عقال الشيوعية، مثل أذربيجان، وأوزبكستان، كما حط رحله في روسيا نفسها، في مكتبة كلية الدراسات الشرقية، في جامعة سانت بطرسبورغ، وفي مكتبة معهد الاستشراق فيها، ووصلت قافلته إلى المدن المغربية، الدار البيضاء، والرباط، وسلا، وإقليم بني ملال وغيرها، ومنها إلى إيران، وليبيا، وتونس، وغيرها من البلدان، وما زالت البلدان تترى.

وتعود القافلة من كل رحلة تحمل صوراً على ميكروفيلم لنسخ من مخطوطاتنا، وكلها نسخ قيمة بما تحويه من علوم نحن الآن بأمس الحاجة إليها، وتكمن أهميتها بكون بعضٍ منها نسخاً نادرة، إما لأنها كتبت بيد

مصنفها، وإما عليها قراءة وسماع طالب علم على مؤلفها، ووثق السماع والقراءة بخط المؤلف، وإما ان تكون كتبت ومؤلفها حيّ أو بعد وفاته بقليل، إلى غير ذلك من الأمور التي تكسب المخطوط قيمة.

ومن منطلق الإحساس بجهود علمائنا وسلفنا الصالح العظيمة يرسم لنا مؤسس المركز أحد الأسباب التي حدت به لتأسيسه، فيقول «إن الباحث الذي قضى أكثر من نصف عمره لتأليف كتاب، وجاب مشارق الأرض ومغاربها، وتعرض للمشاق والعقبات، ألا يستحق الآن، ونحن بهذه القوة والصحة والمال، أن نسعى جاهدين للمحافظة على هذا التراث القيم العظيم، الذي يمثل نتاج أولئك الباحثين، خدمة لهم ولأهل العلم».

وهذا كلام سطره يراع من أحس بمثل معاناة أبي عبيد القاسم بن سلام وهو يصف عمله في كتابه غريب الحديث «كنت في تصنيف هذا الكتاب أربعين سنة، وربما كنت أستفيد الفائدة من أفواه الرجال، فأضعها في موضعها من الكتاب، فأبيت ساهراً فرحاً مني بتلك الفائدة، وأحدكم يجيئني فيقيم عندي أربعة أشهر أو خمسة أشهر، فيقول: قد أقمت الكثير»[1].

وقد آن لنا الولوج إلى المركز لنقف على ما تحتويه شجرة أبي خالد العلمية من أصناف ثمار تفتح شهية الباحث، ويسيل لعابه عند النظر إليها.



---

(١) تاريخ بغداد ٤٠٧/١٢.



التعريف بالمركز

المركز هيئة علمية ذات نفع عام تعنى بالثقافة والتراث، أنشىء بتمويل مؤسسه السيد جمعة الماجد وجهوده، وتعود البداية في نشوء فكرة المركز إلى العام ١٩٨٨م، حيث بدأ العمل على اقتناء الأوعية الثقافية بأشكالها المتنوعة والمتعددة، ومن ثم حفظها وفهرستها وتصنيفها، ومن ثم أخذ الترخيص الرسمي في نيسان ١٩٩١م. وفي سنة ١٩٩٣م بدأت مرحلة الخدمات المكتبية للباحثين وطلاب الجامعات، وبدأت معها أنشطة المركز المتنوعة من دورات تدريبية وندوات علمية ومعارض وكتب وغير ذلك.

أهداف المركز:

لقد أنشى المركز لتحقيق جملة من الأهداف التي تخدم الثقافة العربية والإسلامية المتمثلة فيما يأتي:

- الاهتمام بالفكر والثقافة والتراث العربي والإسلامي، وتيسير السبل لدراسته وتحقيقه، وإظهاره والتعريف به، والإفادة من المبادىء الرفيعة التي يتضمنها.
- جمع الأوعية الثقافية القيمة من الثقافة العالمية والإسلامية وحفظها في مكتبة مرجعية؛ لتيسير سبل الانتفاع بها لكل راغب.
- تشجيع البحث في حقول الثقافة كافة، والفكر الإنساني وبخاصة

الدراسات والبحوث المتعلقة بدولة الإمارات العربية المتحدة ومنطقة الخليج العربي عامة.

● السعي في جمع التراث العربي الإسلامي المخطوط بروافده المتعددة سواء كانت مخطوطات أصلية، أم مصورات ميكروفليمية، أم وثائق تاريخية.

● الإسهام في نشر المؤلفات العلمية وإجراء الدراسات والبحوث التي تخدم الثقافة العربية الإسلامية.

● التعاون العلمي وتبادل الخبرات مع الهيئات الثقافية ومراكز البحث داخل الدولة وخارجها، وتنظيم الندوات والملتقيات العلمية والمعارض.

المخطوطات:

يعد قسم المخطوطات قلب المركز النابض لما أولاه ويوليه مؤسس المركز من رعاية خاصة به، ومن إشراف ومتابعة شخصية منه، مما جعله الرئه التي يتنفس منها الباحثون عندما يجدون بغيتهم من خلال الكم الهائل من المخطوطات، التي يحتفظ بها القسم على وسائط متعددة وبأشكال متنوعة.

وهذه الوسائط والأشكال من مخطوط أصلي أو مصورة ورقية أو ميكروفلم أو قرص مدمج أومرن تمثل ما تم جمعه إلى الآن إشعاعا حضاريا يصل الأمة بماضيها المشرق، ولا يزال هذا الإشعاع يزداد سطوعا مع كل رحلة تعود من أصقاع الأرض محملة بكنوز من تراث الأمة، بعد أن تم إزالة الغبار عنه، وإذا أردنا أن نعطي رقما تقريبيا لما يحويه المركز من مخطوط بجميع وسائل الحفظ لأمكننا القول إنّ العدد ناف عن السبعين ألفا من المخطوطات.

أما إذا أردنا التفصيل فمن الصعوبة بمكان أن نخرج بأرقام دقيقة، نظرا للزيادة المضطردة، ولما تم فهرسته وما بقي في انتظار الكشف عن خبايا التعريف به بعد أن تم تكشيفه وتحديد ما يحتويه، ويكفي في هذا المقام أن

نستعيض عن ذلك بنسب تتناول هذه الوسائط المتعددة فيما يخص بحثنا وموضوعنا في الحديث النبوي إلى ما تم فهرسته.

فإذا بدأنا بالمخطوطات الأصلية المتعلقة بالحديث النبوي نجد أن نسبتها تصل إلى ٧٪ من هذه المخطوطات، وإذا عرجنا على ما وجد في محتويات الخزائن الخاصة للعلماء الذين سنتكلم عن المحدثين منهم في محور خاص، نرى النسبة قد وصلت إلى ٢٢٪، أما إذا وقفنا عند الكم الأكبر، وهو الموجود على ميكروفيليم، فنجد أن النسبة تبلغ ١٠٪، ولنختم موضوع النسب بذكر الثمرة، التي تتمثل في المستفيدين من مقتنيات المركز من مخطوطات في الحديث، لنقيس من خلالها حجم ما قدمه المركز من جهد وخدمة لأهله، فقد وصلت هذه النسبة خلال عام ٢٠٠٣م إلى ١٩٪، أي إنّ خمس المستفيدين من مخطوطات المركز هم من أهل الحديث.

أما عن مدى تعاون المركز مع أهل العلم فيكفينا هنا أن نروى على مسامعكم ما قصه مؤسس المركز على أحد أصدقائه عن زيارة العالم والمحقق الكبير الأستاذ محمود شاكر، وكيف التقاه في مؤتمر في المملكة الأردنية الهاشمية، ودعاه لرؤية مركزه في دولة الامارات في دبي، وقد لبى الأستاذ محمود شاكر هذه الدعوة، وكيف أعجب بالمركز عندما زاره، وطلب بعدها الأستاذ شاكر من السيد جمعة كتابين كان يبحث عنهما منذ أربعين سنة، وقد كتب السيد جمعة اسم الكتابين على ورقة، ودفعها إلى أحد السكرتارية، وبعد ربع ساعة كان بين يدي الأستاذ محمود شاكر، وكان كوب الشاي الساخن أمام شاكر، فترك الشاي واهتم بالكتابين وهو يتعجب، فطلب من السيد جمعة أن يوفر له نسخة من الكتابين، فقال له السيد جمعة: أنت قلت ستبقى عندنا يوماً واحداً، فرد عليه شاكر علشان الكتابين أبقى أسبوعاً حتى أهضمهما، فإذا بالكتابين في اليوم التالي بين يدي شاكر بصورتهما الجديدة، فاستغرب شاكر لهذه السرعة والإنجاز، وفرح وسرّ وظل في دبي يرتشف مما في هذه المكتبة الكبيرة أسبوعاً كاملاً.

أما نفائس المخطوطات الأصلية فيمكننا الإشارة إلى مخطوطة كتاب

الشمائل، نسخت في سنة ٥٥٤ هـ، ونسخة من الموطأ نسخت في سنة ٥٨٨هـ، ونسخة من كتاب سنن ابن ماجه تاريخ نسخها ٦١٢هـ، ونسخة من كتاب حسن الظن بالله لابن أبي الدنيا نسخت عام ٦٣٤هـ، ونسخة من منتخب تأويل مختلف الحديث منسوخة في سنة ٧٦٣هـ، ومن بهجة النفوس مختصر البخاري، لابن أبي جمرة تاريخ نسخه ٧٦٤هـ، ونسخة من رياض الصالحين للنووي تاريخها سنة ٧٩١هـ.

أما المخطوطات المصورة فيمكننا إبراز نفائسها بالإشارة إلى أن المخطوطات المؤرخة قبل أكثر من ألف عام، التي انتهى المركز من حصرها من خلال ما تحتويه مكتبته الخاصة بفهارس المخطوطات في العالم.

فوصل الرقم بعد دراستها واستبعاد الأخطاء التي تم الوقوف عليها إلى ١٦٠ مخطوطة، يوجد في المركز منها ٦٦ مخطوطة مصورة، مع الإشارة إلى أن حوالي ٥٠٪ من هذا المقتنى بحوزة المركز من مخطوطات الحديث النبوي.

المكتبة العامة:

إن ما يميز أي مركز إشعاع علمي هو مكتبته العامة، ومدى غناها بأنواع العلوم كافة، ولقد حرص المركز على تزويد صرحه العلمي بكل ما يجدُّ في عالم الكتب، إذ وصل عدد مقتنياتها إلى بضع مئات من الآلاف، ويكفينا الإشارة إلى أن نسبة الكتب المتعلقة بالحديث النبوي قرابة ٨٪، لنعلم مدى حرص المركز على توفير مراجع هذا الرافد الأصيل من أصول الدين خدمة لهذا العلم وأهله، وبسبب زيادة مقتنيات المكتبة بصورة مضطردة استخرجنا إحصائية تقريبية مما تم فهرسته وتصنيفه.

وقد تنوعت مراجع الحديث النبوي لتشمل جوانبه المتعددة، وكان لركن الدفاع عن السنة ونشرها مكان مميز بين أركانها، فالباحث في ما ألف في ذلك الموضوع لا يجد صعوبة في الوقوف على جملة وافرة من تلك المراجع، نشير في هذه العجالة إلى بعضها ففي مجال الدفاع عن السنة نقف

على دراسة لرئيس جامعة الأزهر السابق أ.د أحمد عمر هاشم بعنوان منهج الدفاع عن الحديث النبوي، ونرى دراسة للشيخ محمد محمد أبو شهبة تحمل عنوان «دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين وبيان الشبه الواردة على السنة قديما وحديثا وردها ردا علميا صحيحا»، و«السنة في مواجهة الأباطيل» لمحمد طاهر حكيم، وفي الدفاع المتخصص نجد دراسة سعد المرصفي «دفاع عن حديث فضائل أبي سفيان»، و«دحض شبهات على التوحيد من سوء الفهم لثلاثة أحاديث» لعبدالله بن عبدالرحمن أبا بطين.

المكتبات الخاصة:

أظهر المركز عناية فائقة واهتماما بالغا باقتناء المكتبات الخاصة، التي تعود إلى مجموعة من العلماء والأدباء والمفكرين، وكان لأهل الحديث نصيب تمثل في مجموعة من أعلامه نذكر منهم: العلامة الشيخ المحدث الحافظ أبو شعيب الدكالي المغربي، والعلامة الشيخ المحدث المدقق عبدالفتاح أبو غدة الشامي، والعلامة الشيخ المحقق السيد أحمد صقر المصري.

ومما لا يخفى على أحد ما تمثله المكتبات الخاصة من تجسيد وتظهره من جوانب في شخصية هؤلاء الأعلام، فبين العالم والكتاب علاقة روحية يصب فيه الكثير من أحاسيسه ومشاعره وفكره، يظهر ذلك من خلال تعليقاته على الكتاب وتعامله معه، ويربطنا بطريقة وجدانية مع هذا العالم، ولذلك ارتأى المركز أن يبقي كل واحدة من المكتبات الخاصة التي نافت على الستين مكتبة بآلافها من الكتب محتفظة برونقها وترتيبها تخليداً لاسم صاحبها وشاهدا على علمه، واعترافاً بفضله وإسهامه في جوانب هذا العلم الذي برز فيه، لتعكس لنا جوانب من شخصيته واهتماماته وطريقة تفكيره حتى من خلال ترتيب مكتبته.

الرسائل الجامعية:

مما لاشك فيه أن أهمية الرسائل الجامعية في البحث العلمي لا تخفى على أحد بوصفها خلاصة فكر الباحث، ومصدراً ثرياً بالمراجع التي حشدها

وأفاد منها في بحثه، ومن هذا المنطلق قام المركز بجمع عدد كبير من الرسائل الجامعية لدرجتي الماجستير والدكتوراه على وسائط متعددة، وبطرق متعددة أيضاً، منها عن طريق الشراء أو الإهداء، فاقتنى منها على سبيل المثال ١١ ألفا على الميكروفلم والميكروفيش، وأكثر من ثلاثة الآف رسالة ورقية، شكلت الرسائل المتعلقة بالحديث نسبة عالية حيث بلغت قرابة ٨.%.

وفي مجال الدراسات الحديثية المخصصة للدفاع عن السنة تحديدا نرى على سبيل المثال دراسة بعنوان «موقف المستشرقين من عقوبة الزنى في الأحاديث النبوية دراسة وصفية نقدية»، للباحث عبدالرحمن مهيدب، و«اهتمام المحدثين بنقد الحديث سندا ومتنا ودحض مزاعم المستشرقين واتباعهم»، للباحث محمد لقمان السلفي وغيرها الكثير.

وفي مجال نشر السنة نقف على دراسة بعنوان «علم أصول الحديث والكتب المؤلفة والمترجمة فيه لعلماء شبه القارة الهندية»، للباحث محمد افتخار خان، و«العناية بالحديث في البوسنة منذ فتحها إلى أواخر القرن العشرين»، للباحث شفيق بن عثمان كرديتش.

ولقد اهتم المركز بإبراز الرسائل الجامعية التي تُناقش في العالم الإسلامي ومتابعة أخبارها، فأفرد زاوية ثابتة في مجلته آفاق الثقافة والتراث عن أخبار هذه الرسائل، وبخاصة في الأعداد الأولى للمجلة، وتكاد لا تجد عددا فيه هذه الزاوية يخلو من رسائل حديثية. وهو الآن في طور إصدار مجلة جديدة خاصة بذاك أطلق عليها اسم «ثمرات الجامعات».

الدوريات:

تعد الدوريات من المصادر المهمة التي تخدم الباحثين، لما تحتويه من عصارة فكر الأساتذة مدرسي الجامعات، ولذلك كان مما حرص عليه المركز أن يضم بين جنباته عددا لابأس به من هذه الدوريات البحثية إلى جانب الدوريات الأخرى التي تتناول جوانب الفكر الإنساني.

وقد كان من الطبيعي وجود الأبحاث الحديثية ضمن هذه الدوريات البحثية، نظرا لمكانة الحديث الشريف، منها ماحمل اسم الحديث صراحة مثل مجلة دار الحديث الحسنية في المغرب أوكانت أبحاثها مركزة عليه مثل مجلة مركز بحوث السنة والسيرة في قطر، ومجلة السنة النبوية المحمدية في الجزائر، أو دوريات كليات الشريعة المتعددة في أنحاء العالم العربي والإسلامي، والتي أخذت الأبحاث الحديثية جانبا هاما وموقعا متميزا فيها، فلا يكاد يخلو عدد من هذه الدوريات إلا ويضم بين جنباته بحثا حديثيا أو أكثر مثل: مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود في الرياض، ومجلة الجامعة الإسلامية في المدينة، ومجلة جامعة الأمير عبدالقادر للعلوم الإسلامية في الجزائر، وحولية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية في الدوحة، أو دوريات الجامعات التي تضم بين أركانها كليات للشريعة كالجامعة الأردنية، وجامعة إربد وجرش، والبلقاء في الأردن وغيرها من البلدان العربية، أو المجلات التي تحمل طابع السنة والحفاظ عليها مثل: مجلة الحكمة وغيرها.

السمعيات والبصريات:

يمتلك المركز ضمن أوعيته الثقافية مكتبة متميزة من أفلام الفيديو والكاسيت والأقراص المدمجة موضوعة لخدمة الباحثين، لتكتمل لديهم منظومة التوثيق، وتشمل هذه المكتبة مجموعة كبيرة من: الرسائل الجامعية، والندوات العلمية، والمؤتمرات، وورشات العمل، والبرامج التلفازية، واللقاءات الصحفية، وحتى برامج الرسوم المتحركة.

وتصل نسبة موضوعات الحديث ضمن هذا التنوع الهائل والمجالات المتعددة لهذه المكتبة إلى ٥٪ من أكثر من ٨٥٠٠ مادة، هي حصيلة ما تم إدراجه حتى كتابة هذا البحث.

مجلة آفاق الثقافة والتراث:

إذا أردنا إلقاء نظرة إلى الأبحاث الحديثية الموجودة في مجلة آفاق الثقافة والتراث المعبرة عن رسالة المركز، فإننا نرى أبحاثا تناولت موضوعات حديثية متنوعة، فالحديث من أبرز معالم تراث هذه الأمة، ولأن

الأمة لا تبرز من كبوتها إلا بإبراز جهود قدواتها، أخذت الموضوعات التي تتعلق بالبخاري وصحيحه جانبا مهما في هذه البحوث، نرى ذلك من استعراض سريع لأبرز الأبحاث المتعلقة بالحديث، التي نشرت بالمجلة، وذلك حسب الترتيب الزمني للنشر وهذه الأبحاث هي:

١ ـ المشيخة للفخر ابن البخاري، علي بن أحمد بن عبدالواحد، ت ٦٩٠هـ/ تعريف أ. عبدالقيوم محمد شفيع.

● المخطوطات النادرة - العدد الأول / محرم ١٤١٤هـ، يونيو ١٩٩٣م ص ١٠٣-١١٠.

٢ ـ نموذج من إجازات العلماء في أوائل القرن الرابع عشر، إجازة بخط الشيخ عبدالرزاق بن حسن البيطار ت ١٣٣٥هـ أجاز بها علي بن نعمان الألوسي البغدادي ت ١٣٤٠هـ المؤرخة في سنة ١٣٣٣هـ/ عرض وتقديم نزار أباظة، من الوثائق الأصلية بالمركز.

● وثيقة تاريخية - العدد ٣ / رجب ١٤١٤هـ - كانون الأول ١٩٩٣م ص ٣٣-٣٨.

٣ ـ ابن خلفون الأونبي من أعلام الحديث بالأندلس / عبدالعزيز الساوري - الرباط.

● تراجم - العدد ١٤ / ربيع الثاني ١٤١٧هـ، أيلول ١٩٩٦م ص ٧٢-٨٩.

٤ ـ من نوادر المخطوطات العربية كتاب التنبيه على الأوهام الواقعة في المسندين الصحيحين للجياني/ د. محمد أبو الفضل - جامعة القرويين فاس.

● التعريف بالمخطوطات - العدد ٢٤ / رمضان ١٤١٩هـ، كانون الثاني ١٩٩٩م ص ١٣٩- ١٥١.

٥ ـ أجوبة ابن حزم على مواضع من البخاري / أ. محمد بن زين العابدين رستم - المغرب.

● مقالات - العدد ٣٣ / محرم ١٤٢٢هـ، نيسان ٢٠٠١م ص ٢٦- ٣١.

٦ ـ الزيادات في كتاب الجود والسخاء، للطبراني / أ.د عامر حسن صبري - جامعة الإمارات العين.

● تحقيق المخطوطات - العدد ٣٥ / رجب ١٤٢٢هـ، أكتوبر ٢٠٠١م ص ١٥٥-١٩٣.

٧ ـ تعليقات أبي علي الصدفي على نسخته المخطوطة من الجامع الصحيح / د. محمد زين العابدين رستم.

● من نوادر المخطوطات - العدد ٣٩ / رجب ١٤٢٣هـ، أكتوبر ٢٠٠٢م ص ١٥٢-١٦٢.

٨ ـ تحفة أهل الحديث في إيصال إجازة القديم بالحديث، لابن العمادية / أ.د عامر حسن صبري - جامعة الإمارات العين.

● نصوص محققة - العدد ٣١ / رجب ١٤٢١هـ، أكتوبر ٢٠٠٠م ص ١٥٧- ١٩٢.

إصدارات المركز:

إن مطبوعات أي مركز ثقافي تعطي صورة عن توجهات ذلك المركز وتبين اهتماماته وتنوع موضوعاته ومدى إسهامه في إثراء الحركة الثقافية، ومن هنا نجد أن تكامل هذا التنوع نابع من أن التراث من الأوعية التي تجمع تحتها الكثير من الموضوعات، ولأن اهتمامنا ينصب في هذا المقام على الحديث وإصداراته، رأينا أن نعرض لهذه الإصدارات من خلال كلام مؤلفيها أو محققيها لتظهر لنا مدى أهميتها، ولماذا اختارها المركز دون غيرها لتكمل منظومته من كتب التراث.

ولأن أهم ركائز تناول كتب التراث هو إخراجها إلى النور محققة تحقيقا علميا - وهذا هو الأمل المرجو - نرى لجنة التحقيق والنشر في المركز تفصح عن هدفها ذلك في تصديرها لاتحاف المسلم للنبهاني فتقول:

«أخذ مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي على عاتقه ومنذ قيامه أن يسهم في خدمة التراث بما يقدر عليه من خلال أقسامه المتعددة خدمة للعلم والباحثين ؛ ذلك أنه كثر في السنوات الأخيرة نشر الكتب التراثية على أيدي غير المتخصصين، الذين لم يلتزموا في تحقيقهم اسلوبا علميا منهجيا، فظهرت في الأسواق طبعات سقيمة لأسفار جليلة المضمون، تطال أعمال المجلين من المحققين، أدت إلى اختلاط الغث بالسمين وأساءت للمكتبة العربية.

ومن هنا كلف المركز لجنة من الأساتذة الخبراء، أوكل إليها الإشراف على شؤون التحقيق والنظر فيما يقدمه المحققون الأكفاء من أعمال وتقديم الصالح منها للنشر»[1].

وقد كان نصيب كتب الحديث كبيرا ومهما، إذ خرج من سلسلة الإصدارات تسعة كتب في الحديث من ثلاثة وسبعين كتابا هي ثمرة ما صدر حتى الآن في خمسة عشر عاماً، وهذه هي الإصدارات على حسب الترتيب الزمني لصدورها:

١ - مشيخة أبي المواهب الحنبلي محمد بن عبدالباقي الحنبلي البعلي الدمشقي (١٠٤٤-١١٢٦)هـ تحقيق: محمد مطيع الحافظ، الطبعة الأولى ١٩٩٠م عن دار الفكر في ١٠٧ص مزودة بفهارس علمية في ٤٥ص، ولندع المحقق يحدثنا عن الكتاب فيقول: «ومشيخة أبي المواهب هذه صورة توضح لنا ثقافة العصر، وتبين المنهاج العلمي الذي يتبعه طالب العلم في تحصيله، وتذكر الكتب التي يقرئها العلماء لطلابهم في مجالسهم العامة والخاصة.

ثم إنها تعرفنا الكتب الوفيرة التي تلقاها أبو المواهب عن شيوخه قراءة فهم وإتقان، وإذ ذاك ندرك مكانة أبي المواهب الذي استطاع أن يجمع ويحصل ويتقن هذه الكتب، ثم يعمل بما فيها، ثم يعلمها للناس، فيخرج

---

(١) تصدير إتحاف المسلم.

جيلا من العلماء يتابعون السير على طريق العلم يحملون مشاعله النيرة الهادية»[1].

٢ ـ إتحاف المسلم بما في الترغيب والترهيب من أحاديث البخاري ومسلم، للشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني (١٢٦٥-١٣٥٠هـ) قرأه وضبط نصوصه مأمون الصاغرجي، وقدم له عبدالقادر الأرناؤوط، الطبعة الأولى ١٩٩١م عن دار الفكر، في ٥٨٥ ص مزودة بفهارس في ٦٠ص، ولنستمع للمحقق يحدثنا عن عمله فيقول: «وبعد فهذا مختصر في الترغيب والترهيب، اختاره النبهاني - رحمه الله - من أصح الأحاديث الصحيحة في بابه، مما أورده الحافظ المنذري في كتابه الترغيب والترهيب، واقتصر فيه على ما رواه البخاري ومسلم - أو أحدهما في صحيحيهما، فقمت بشرحه شرحا وافيا شافيا يقرب معناه، ويعين على فهم مرماه، ليفيد منه القراء على اختلاف طبقاتهم وثقافاتهم، شاديهم وعالمهم، يكون للشادي نبراسا، وللعالم عونا وذكرى ؛ وعولت في هذا الشرح على العلماء الثقات... وقدمت لهذا الشرح كلمة بينت فيها معنى الترغيب والترهيب لغة واصطلاحاً، وأظهرت ما اشتمل عليه نهج الإسلام من أسلوب الترغيب والترهيب في القرآن والحديث، ومدى تأثير هذا النهج في تقويم النفس المؤمنة..»[2].

٣ ـ كشف المغطى في فضل الموطأ، للحافظ ابن عساكر ت ٤٧١هـ، تحقيق محمد مطيع الحافظ، الطبعة الأولى ١٩٩٢م عن دار الفكر في ٧٩ص و٤٣ص فهارس علمية، ولنقف على ما وصف به المحقق كتابه وعمله إذ يقول: «وفضائل الموطأ قد تعز على الحصر، فبدت للعلماء المهتمين بالحديث الشريف وعلومه، فسودوا فيها الصفحات ووضعوا المؤلفات، ولعل أشهرها كتاب كشف المغطى في فضل الموطا، للحافظ ابن عساكر، وقد جمعه كعادته بالتلقي عن شيوخه مع السند إلى أصحاب

---

(١) البلغة في أحاديث الأحكام مقدمة المؤلف ص ١٧.

(٢) رواة محمد بن إسحاق ص ٤٨- ٤٩.

الأخبار، وهذا ما يتميز به ابن عساكر في كتابه الذي غدا منهلا لكل من ترجم للإمام مالك، وتكلم عن كتابه الموطأ فعمدت إلى إخراجه ضاما إليه مقدمة في ترجمة الإمام مالك رضي الله عنه ومؤلفاته، ومعرفاً بروايات الموطأ وأصحابها، ونسخه وشروحه، وترجمة ابن عساكر، وما يتعلق بمنهج التحقيق»[١].

٤ ـ الاخلاص والنية، لابن أبي الدنيا، أبي بكر عبدالله بن محمد بن عبيد القرشي (٢٠٨-٢٨١هـ)، حققه وعلق عليه إياد خالد الطباع، الطبعة الأولى ١٩٩٢م، عن دار البشائر في ٧٦ص و١٦ص فهارس، ولنبقى مع محققه وهو يصف كتابه: «فهذا جزء نفيس من مصنفات ابن أبي الدنيا، جزء مجهول المكان، أخفاه الزمان، لم يظفر به من العلماء إلا النادر، موضوعه يترجم عنوانه: الإخلاص والنية. ومؤلفه حافظ مسند مشهور، سمع وتلقى، وعلم وعمل، ثم أراد تبليغ ما سمعه، ونشر ما وعاه.. وكان حقا عليّ وقد منّ الله عليّ بالعثور عليه، أن أخدمه وأقدمه للقراء، فحققته، وعلقت عليه بما يسر الله، وقدمت للكتاب بتمهيد ذكرت فيه ترجمة موجزة للمؤلف، ونتفا من أخباره، ثم بينت حال الكتاب، من حيث توثيقه وعنوانه ونسخته ومنهج التحقيق»[٢].

٥ ـ الأربعين البلدانية عن أربعين من أربعين لأربعين في أربعين، للحافظ ابن عساكر ت ٥٧١هـ، تحقيق محمد مطيع الحافظ، الطبعة الأولى ١٩٩٢م عن دار الفكر، في ١٦٨ص و٥٧ص فهارس فنية، أعدها رياض عبدالحميد مراد، ولنقف هنيهة مع محققه وهو يصف الكتاب والعمل، فيقول: «لا يخفى ما للحافظ ابن عساكر من شهرة واسعة بفضل مكانته الرفيعة، وتآليفه العظيمة، وطول باعه في العلم.. وكتابه الأربعين البلدانية هذا يدل على تمكن الرجل وسعة علمه، فقد جمع فيه أربعين حديثا عن أربعين شيخا من أربعين بلدة، لأربعين صحابيا، في أربعين موضوعا.

(١) ظفر الأماني في مختصر الجرجاني ص ٢٧-٢٩.

(٢) مشيخة أبي المواهب مقدمة المحقق ص ٦.

وقد بدأ كتابه بمقدمة قيمة جعلها في موضوع فضل جمع أربعين حديثا عن النبي ﷺ، شفعها ببيان طرق الحديث ودرجته مع ذكر أشهر من سبقه إلى الاهتمام بجمع الأربعينيات. ثم بدأ الكتاب بالمنهج الذي رسمه في مقدمته.

ولهذا فالكتاب طريف في فكرته من جهة تنوع أحاديثه، مسبوق إلى مثله من ناحية اهتمامه بالأربعين من الأحاديث. وهو إلى ذلك يدل على سعة علم ابن عساكر، خرجه في منهجية تفيد في علم الحديث وعلم التاريخ، وتعطي صورة عن حرص علماء السلف على العلم وعلى الرحلة ولقاء الشيوخ»[1].

٦ ـ البلغة في أحاديث الأحكام مما اتفق عليه الشيخان على ترتيب أبواب المنهاج، للإمام النووي، لسراج الدين ابن النحوي (٧٢٣-٨٠٤هـ) حققه وخرج أحاديثه محيي الدين نجيب، الطبعة الأولى ١٩٩٤م، عن دار البشائر في ١٨٨ص و٣٠ص فهارس، ولنستمع إلى مؤلفه وهو يعرف بكتابه، فيقول: «فهذه بلغة في أحاديث الأحكام مما اتفق عليه الإمامان: محمد بن إسماعيل البخاري ومسلم بن الحجاج، مرتبة على أبواب المنهاج للعلامة محيي الدين النووي، انتخبتها من تأليفي: تحفة المحتاج إلى أدلة المنهاج، التي لا يستغنى عنها، مع زيادات يسيرة مهمة، ليسهل حفظها في أيسر مدة، وتكون للطالب اعتمادا وعدة، وربما ذكرت أحاديث يسيرة من أفراد الصحيحين وغيرهما، لأني لم أجد في ذلك الباب ما يستدل به غيره، وإلى الله أرغب في النفع بها، إنه بيده والقادر عليه، وهو حسبي ونعم الوكيل»[2].

٧ ـ رواة محمد بن إسحاق بن يسار في المغازي والسير وسائر المرويات، تصنيف مطاع الطرابيشي، الطبعة الأولى ١٩٩٤م، عن دار الفكر

---

(١) إتحاف المسلم مقدمة المحقق ص ١١-١٢.

(٢) كشف المغطى مقدمة المحقق ص ٦.

في ٥٣٤ص و٣٠ص فهارس، ولكني هنا سأكتفي بنقل بعض نتائج البحث لعدم وجود جميع المقدمات التي وعد بها الباحث، بخاصة التي وصف بها عمله، إذ يقول: «اجتمع بالبحث لدينا مئة وواحد وثلاثون رجلا رووا عن محمد بن إسحاق. إذا طرحنا منهم المجهولين وهم خمسة عشر رجلا فالباقي ١١٦ رجلٍ نصفهم تقريبا رواة المغازي، والنصف الآخر سائر الرواة، والسؤال المطروح هو كم عدد نسخ المغازي التي حملها الجميع عنه ؟ الحق أنه لا سبيل إلى إعطاء رقم دقيق بعينه يمثل إحصاءً دقيقا بعدد النسخ.. قد يصح أن نقول إن المبلغ الإجمالي لنسخ المغازي التي حملها أصحاب ابن إسحاق عنه يقدر بنحو مئة نسخة»[١].

٨ ـ ظفر الأماني في مختصر الجرجاني، للإمام أبي الحسنات اللكنوي (١٢٦٤-١٣٠٤هـ)، حققه وخرج نصوصه وعلق عليه الدكتور تقي الدين الندوي، الطبعة الأولى ١٩٩٥م، عن دار القلم - الإمارات، في ٥٢٨ ص و٤٢ص فهارس، ولنسمع اللكنوي يوضح لنا السبب الذي دفعه لتأليفه فيقول: «إن أجل ما صنف في علم أصول الحديث من المختصرات المختصر المنسوب إلى.. السيد علي الشريف الجرجاني.. ورأيت الناس في هذا الزمان قد اشتغلوا بدرسه وتدريسه، ولم أر له شرحا يكفي لحل جليه وخفيه، فألهمني الله تعالى أن أكتب له شرحا حاويا لأصول المطالب وافيا بتحقيق المآرب مسميا له بظفر الأماني في مختصر الجرجاني، وذلك حين قراءة بعض المترددين إلي، المختصر المذكور عليّ»[٢].

٩ ـ بيت المقدس في الحديث النبوي الشريف، للدكتور سعيد بن عبدالرحمن بن موسى القزقي، عن مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث - دبي في ٢٥٩ ص و٥٠ ص فهارس، ولنقف مع المؤلف في ختام بحثه وهو يستصرخ المسلمين مبينا ما دفعه لمثل هذا العمل إذ يقول: «اعلموا أيها المسلمون أن الأقصى في خطر، يوشك أن يضيع من بين أيدينا،

---

(١) الإخلاص والنية مقدمة المحقق ص ٥- ٦.

(٢) الأربعين البلدانية مقدمة المحقق ص ٧.

وأيقنوا أيها الأخوة المؤمنون أن التفريط ببيت المقدس مسؤولية جسيمة، إضافة إلى أنها ثلمة في دين المسلم، بل كفر بالنص القرآني، الذي ربط بيت المقدس بالمسجد الحرام بمكة المكرمة رباطا عقديا، رباطا ربانيا، لا ينفك ما دامت السماوات والأرض، والتفريط ببيت المقدس جحود بالأحاديث النبوية الشريفة، المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، التي بينت مكانة بيت المقدس، وقدسيته العظيمة للقيام بالواجب الملقى على عاتقنا، وللمحافظة عليه.

إننا ـ أيها المسلمون ـ أمام واجب عظيم، ومسؤولية كبيرة، وتحد رهيب، وعلينا أن نشحذ الهمم، ونعقد العزم، ونخلص النية، ونهيىء أنفسنا للبذل والعطاء والتضحية والجهاد؛ لتحرير المسجد الأقصى»[1].

وبعد هذا التعريف الموجز للإصدارات، يمكننا القول إن نظرة فاحصة فيها تطلعنا على منهجية حديثية في انتقائها قائمة على التناسق الزمني في مراحل الطلب، فالبداية كانت في طبع مشيخة أبي المواهب لتوضح لنا ثقافة ذلك العصر والمنهج المتبع في التحصيل وما الكتب التي تقرأ، ثم ينطلق الطالب إلى دراسة الأصول فكان كتاب النبهاني إتحاف المسلم بما في الترغيب من أحاديث البخاري ومسلم يطرق هذا الباب ويضيف عليه ترغيبا في دراسة الحديث وترهيبا، ليوازن نفسية طالب الحديث ويضعها بين الخوف والرجاء، وامتداداً للأصول كان لابد من دراسة عن الموطأ، فجاء كتاب كشف المغطى. ولأن هذا العلم لا بد له من نية خالصة في طلبه جاء نشر كتاب الإخلاص والنية لابن أبي الدنيا، وبما أن المحدث لا ينبل إلا برحلة واسعة في الطلب، كان لا بد من حافزٍ لها تمثل في طبع الأربعين البلدانية، من لوازم نبوغه أن يكون فقيها نشر كتاب البلغة في أحاديث الأحكام، ولأن السنة لا تقتصر على أقوال النبي وأفعاله، بل تشمل سيرته كذلك، جاءت دراسة رواة محمد بن إسحاق في المغازي والسير وسائر المرويات لتغطي جانبا مهما من جوانبها تمثل في المغازي وعلم الرجال،

---

(١) بيت المقدس في الحديث النبوي ص ٢٥٩.

وحتى يستمر تكامل الشخصية كان لا بد من ظهور كتاب في علوم الحديث ليكتمل التأصيل، فكان نشر ظفر الأماني في مختصر الجرجاني حلقة مهمة في هذا المضمار، وبما أن مدى اهتمام الحديث والسنة يغطى جميع جوانب الحياة، كان لا بد من التركيز على هموم الأمة، وعلى رأسها مقدساتها، فظهرت دراسة بيت المقدس في الحديث النبوي.

الزيارات:

بسبب المكانة التي اكتسبها المركز والسمعة التي تحلى بها في الأوساط العلمية كان من الطبيعي أن تأتيه الوفود من كل حدب وصوب، لتروي ظمأها من حب المعرفة والاطلاع على محتوياته، فزار المركز جمهرة من العلماء والمسؤولين وصناع القرار من كل أنحاء العالم، وكان من الطبيعي أن يتصدر علماء الحديث مقدمة هؤلاء الزوار، نظرا لمنزلة الحديث وما يحتويه المركز من مقتنيات تهم أهله من بقاع العالم العربي والإسلامي كافة، نذكر منهم على سبيل المثال من المغرب الشقيق: الأستاذ الدكتور فاروق النبهان - مدير دار الحديث الحسنية / تاريخ الزيارة ٥//١٩٩٥م، والأستاذ الدكتور يوسف الكتاني - رئيس جمعية الإمام البخاري، أستاذ علم الحديث في جامعة القرويين - المغرب / تاريخ الزيارة ٢٠٠٣م.

ومن الهند أبو بكر أحمد - الأمين العام لجامعة مركز الثقافة السنية - كيرلا الهند، ولجمعية علماء أهل السنة والجماعة بعموم الهند/ تاريخ الزيارة ١/١٠/٢٠٠٠م، والدكتور حمزة عبدالله المليباري - المعاون العلمي لعميد كلية الدراسات العربية والإسلامية - دبي، وأستاذ الحديث فيها / تاريخ الزيارة ١٥/١٠/٢٠٠٠م.

ومن السعودية الدكتور عبدالباري بن حماد الأنصاري - مدير مكتبة الشيخ حماد الأنصاري، أستاذ علوم الحديث في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة / تاريخ الزيارة ١٤/٧/٢٠٠٣م.

وكذلك زار المركز الأعضاء المشاركون في الندوة العلمية الدولية الأولى - حول علوم الحديث واقع وآفاق /تاريخ الزيارة إبريل ٢٠٠٣م.

الاتفاقيات الثقافية:

دأب المركز منذ نشأته على توثيق عرى التعاون والتفاعل مع العديد من الهيئات والمراكز الثقافية والعلمية المماثلة، ولأجل ذلك عقد الاتفاقات الثقافية، واللقاءات الكثيرة والزيارات المتبادلة وصلت إلى أكثر من سبعين اتفاقية، في جوانب متعددة تهم التراث والتعاون المشترك في نشره وتزويد الباحثين بالمراجع التي تفيد بحثهم من مطبوع ومخطوط، غير أن المركز لم ينس أهل الحديث بخدمة تميزهم متمثلا قول الشاعر:

أهل الحديث هم أهل النبي   وإن لم يصحبوه أنفاسه هم صحبوا

فكان من بنود الاتفاقية مع الادارة الدينية في طشقند قيام مركز جمعة الماجد بإرسال مدرس أو أكثر على نفقة المركز للتدريس في معهد الإمام البخاري هناك، مع العلم أن هذه الاتفاقية كانت في عام ١٩٩٢م في السنوات الأولى من عمر المركز.





الخاتمة

في ختام هذه الجولة في ربوع المركز، لا بد لي من أن أسجل ما توصلت إليه من نتائج وتوصيات في لمحات سريعة موجزة، وذلك على النحو الآتي:

١ ـ تطابق أهداف المركز مع منجزاته، فالاهتمام بالفكر والثقافة ظاهر في مجال نشاطاته المتعددة، وجمع التراث وصل إلى مراحل متقدمة، وتشجيع البحث ملموس من خلال الإسهام في نشره وخدمة باحثيه.

٢ ـ احتواء المركز على رصيد ضخم من المخطوطات، تثير همة الباحثين وتدعوهم إلى التشمير عن ساعد الجد لإخراج هذه الكنوز إلى النور.

٣ ـ مدى الخدمة المتميزة والإمكانات المتاحة أمام المستفيدين، وحسن التعامل مع الباحثين وتوفير السبل أمامهم من مؤسس المركز إلى أصغر موظفيه.

٤ ـ الحرص على متابعة كل جديد يفيد الباحث، وتوفير أحدث الوسائل لتسهيل سبل الاستفادة العلمية من مقتنيات المركز.

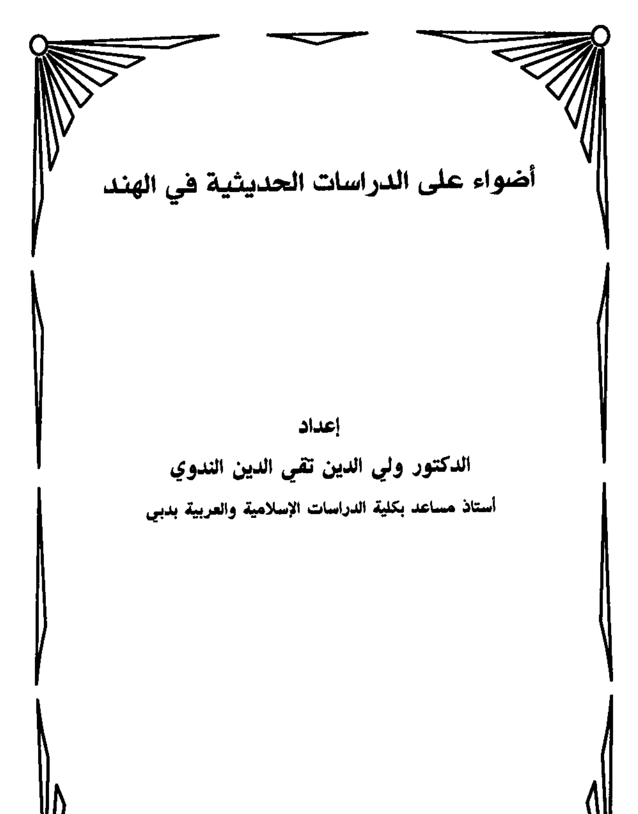
أما أهم التوصيات التي أدعو إليها فهي على شقين يتناول الأول منهما المركز ومؤسسه، وذلك بالشد على يديه شكرا على الأيادي البيضاء التي يقدمها خدمة للعلم وأهله ودعوته إلى الاستمرار في أداء تلك الرسالة، بخاصة فيما يتعلق بالحديث النبوي، يتمثل ذلك بالدعوة إلى مؤتمرات علمية

تخصص للدفاع عن السنة في مواجهة التحديات، والتركيز على نشر ما لم يصدر من أمهات الكتب الحديثية، للوصول إلى ما يقرب من الكمال تتناسب مع مكانة هذا العلم، وعدم الالتفات للمعوقات.

أما الشق الثاني فهو دعوة لطالبي العلم والمعرفة إدمان التردد على مرافق المركز للنهل من نبع معينها الدافق، والارتشاف من إمكاناتها حتى الارتواء.

ولا يسعني والقلم يحط رحاله إلا أن أخط أسمى باقات الشكر إلى كل العاملين في المركز لما أبدوه من تعاون وتفاهم وتوفير لما احتجت إليه في إعداد هذا البحث.





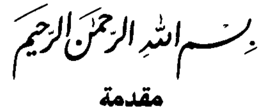
أضواء على الدراسات الحديثية في الهند

إعداد

الدكتور ولي الدين تقي الدين الندوي

أستاذ مساعد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي





مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فحينما دخلت الهند رسميا تحت التاج البريطاني سنة **١٨٥٧**م أدى ذلك إلى ضعف المسلمين في مختلف نواحي الحياة، ووجد أعداء الإسلام الجو مهيأً لمحاربة الإسلام والمسلمين، وأخذوا يوجهون سهام النقد إلى كتاب الله العزيز والسنة النبوية المطهرة بطرق شتى، ونشط دعاة التنصير، وبدؤوا يوجهون الدعوة صراحة إلى الردة عن الإسلام. آنئذ هب علماء المسلمين للدفاع عن دينهم وعقيدتهم، ليردوا على الشبهات التي كانت تثار ضد الكتاب والسنة، واختاروا لذلك طريقين: الأولى: هي إقامة المدارس الأهلية الدينية، التي تخرج الملايين من الطلبة وتعدهم لحمل الفكر الإسلامي الصحيح، والثانية: إقامة المراكز للتصنيف والتأليف للرد على الشبهات، ولتحقيق كتب التراث ونشرها. وكان لهذه الجهود نتيجة طيبة وأثر كبير في إخماد هذه الفتنة وصيانة المسلمين من الانحراف والضلال.

نظرا لأهمية هذا الموضوع رأيت أن أقدم في هذه الندوة العلمية بحثا بعنوان: **«أضواء على الدراسات الحديثية في الهند»**. وقد قسمته إلى ثلاثة مباحث: **المبحث الأول**: جعلته في ذكر منكري السنة في الهند. **والمبحث**

الثاني: ذكرت فيه دور المؤسسات الأكاديمية في خدمة السنة. **والمبحث الثالث**: ذكرت فيه دور النشر والتأليف التي أقيمت للتصنيف والتأليف وتحقيق كتب التراث.

والله نسأل أن يوفقنا لما يحب ويرضى.





منكرو السنة في الهند

إن فتنة إنكار السنة بدأت بعد القرن الثاني من الهجرة، وقد أصبح الذين نادوا بها في ذمة التاريخ، ومع ذلك فقد استمر الوضع هكذا أحد عشر قرنا على وجه التقريب[1]. ثم ظهرت هذه الفتنة من جديد في القرن الثالث عشر الهجري. قال الشيخ أبو الأعلى المودودي: كانت ولادة هذه الفتنة في العراق[2]، وترعرعت في الهند، وتعود بدايتها في الهند إلى سيد أحمد خان، والمولوي جراغ علي، وكان فارسها المولوي عبدالله جكرالوي، ثم أخذ العلم المولوي أحمد الدين الأمرتسري، وأسلم جيراجبوري، وأخيراً تولى رئاستها غلام أحمد برويز الذي أوصلها إلى الضلال[3].

فهؤلاء المنكرون للسنة بعضهم أنكر حجية السنة جملة وتفصيلاً، وبعضهم الآخر أنكر بعض الأمور الثابتة بالسنة، فمثلاً سيد أحمد خان أنكر الملائكة، والجن، والروح، والعرش، والكرسي[4]، أو أوّلها تأويلا باطلاً، من ذلك إنكاره لحديث الرسول ﷺ بقوله: «**يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر في الرحم بأربعين أو خمسة وأربعين ليلة، فيقول: يا رب أشقي**

(١) انظر دراسات في الحديث النبوي للأعظمي (ص ٢٦).

(٢) بل نشأت هذه الفتنة في مصر والعراق.

(٣) سنت كي آئيني حيثيت (مكانة السنة التشريعية) (ص١٦).

(٤) انظر الآثار المرفوعة في الأحاديث الموضوعة للكنوي (ص ١٣).

أو سعيد؟ فيكتبان، فيقول: أي رب أذكر أو أنثى؟ فيكتبان، ويكتب عمله وأثره وأجله ورزقه، ثم تطوى الصحف، فلا يزاد فيها ولا ينقص[1]». وغير ذلك من الأحاديث النبوية الواردة في دخول الملك على النطفة.

وقال سيد أحمد خان: لا يحمل هذا الحديث على الحقيقة، إنما هذه كناية عن تعويد أعضاء المولود في رحم أمه على الأفعال التي سيعملها بعد خروجه منه، فلا يفكر عقله ولا قلبه إلا ما عود عليه في الرحم[2].

وكذا إنكاره السنة الواردة في مماثلة الأرضين للسموات في العدد، وقال: إن هذا التصور مما كان يقول به الجاهليون دون من سواهم، وبناء على لفظ «مثلهن» في الآية وضعت تلك الروايات كلها في هذا الباب، والله ورسوله بريئان منها[3].

ولم يكتف سيد أحمد خان بهذا القدر من الإنكار بالسنة، إنما وضع شروطا يتعذر وجودها في أغلب الأحاديث، فقال: المعيار السليم لقبولها هو أن ينظر إلى المروي بمنظار القرآن، فما وافقه أخذناه وما لم يوافقه نبذناه، وإن نسب شيء من ذلك إلى الرسول ﷺ فيجب أن تتوفر فيه شروط ثلاثة:

١ ـ أن يكون الحديث المروي قول الرسول بالجزم واليقين.

٢ ـ أن توجد شهادة تثبت أن الكلمات التي أتى بها الراوي هي الكلمات النبوية بعينها.

٣ ـ ألا يكون للكلمات التي عبر بها الرواة معانٍ سوى ما ذكرها الشراح[4].

نستنتج في ضوء هذه الكلمات أن هذه الشروط لا تتوفر إلا في الحديث المتواتر اللفظي، دون سائر السنة النبوية.

---

(١) أخرجه مسلم رقم(٢٦٤٤).

(٢) مقالات (١٢٨/١).

(٣) مقالات (٢٥٧/١) والقرآنيون (ص ١٠٣).

(٤) القرآنيون (١٠٦)

وأما تلميذه جراغ علي فقد قام بخدمة مدرسة أحمد خان، ودافع عن آرائه، وبذل جهداً كبيراً لنشرها بين المثقفين، وأول النصوص بما يوافق الحياة الأوربية.

قال الدكتور محمد مصطفى الأعظمي: إن المستعمرين قد تنبهوا لخطورة روح الجهاد بالسيف، فشرعوا بالطعن في أحاديث الجهاد، وكان جراغ علي والمتنبي الكذاب والقادياني من قادة هذه المدرسة.

وكان جراغ علي يقول: ليس المراد بالجهاد هو قتال العدو كما يفسره علماء المسلمين، إنما معناه بذل الطاقة لتحقيق الأمر وحصوله، وأما تفسيره بقتال العدو فلا دليل عليه من اللغة العربية ولا الآيات القرآنية.

وكذلك كان يقول: لم يحدد القرآن نصاب الزكاة، وإنما أمر بإعطاء الفقراء ما زاد عن الحاجة، واستدل بالآية الكريمة[1]، ﴿وَيَسْئَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾[2].

لم يقف جراغ إلى هذا الحد، إنما تحدث عن موقفه من السنة بصورة عامة، يقول: إن القرآن متكامل من كل الجوانب، وأهل أن يواكب سير الحضارة، فإذا فسرناه على الطريقة الحضارية يأخذنا إلى الرقي والتمدن.وإذا فسرناه بتفسير المفسرين وحصرناه في الروايات، فإن الوضع يختلف تماماً.ويؤدي بنا إلى التخلف والانحطاط، لأن الروايات لا يصح منها إلا القليل، بل أكثرها أوهام العلماء وفرضياتهم.

هذا من جانب، ومن جانب آخر أنكر بعضهم السنة أصلاً حيث قالوا: إن القرآن الكريم ذكر كل شيء بالتفصيل الذي يحتاج إليه المسلم فلا حاجة إلى السنة[3].

وتجرّأ بعضهم أكثر من هذا، وقالوا: إن السنة ليست بوحي من الله

---

(١) تحقيق الجهاد (ص ١٠٩).

(٢) سورة البقرة، الآية (١٨٢).

(٣) انظر مجلة إشاعة القرآن (ص ٤٩) العدد الثالث عام ١٩٠٢م.

عز وجل إنما هي أقوال زورها الناس ونسبوها إلى رسول الله ﷺ، وأنه ما نزل من الوحي إلا ما اشتمل عليه القرآن، ونحن مأمورون باتباع ما أنزل الله تعالى بالوحي فقط[1].

هذه بعض نماذج لهؤلاء المنكرين للسنة، نرى فيها كذبا واستدلالات واهية وغير موضوعية وافتراءً وتجهيلا لعلماء السلف والخلف، وإنكارا لما ثبت بالكتاب والسنة.

فبينما كان هؤلاء المنتسبون إلى الإسلام يضرون بالمسلمين ويضعفونهم من الداخل، نشطت الحركات الهندوسية المتطرفة، وبدأت توجه سهام النقد إلى الإسلام والمسلمين، وأظهر الهندوس كوامن حقدهم، ولأول مرة في تاريخ الهند يدعون المسلمين صراحة إلى الارتداد عن دينهم، وقام زعماء الهندوس بتأليف كتب ضد المسلمين، ومنهم ديانند سرسوتي الهندوسي المتطرف، وسمى كتابه «سهارته بركاش»، أوضح فيه أغراض جماعته وحركته معترضاً على الإسلام والمسلمين، وهذه الانتقادات بلغت تسعة وخمسين ومائة نقد، وقد ألف تحت إشراف الأمير الهندوسي راجه جي كشن داس[2].

وأما الإنجليز الذين كانوا وراء كل هذه الفتن فإنهم قاموا بإغلاق المدارس الحكومية الإسلامية، وأنشأوا على أنقاضها مدارس تنصيرية مهمتها تدريب المنصرين، وقد انتشر هؤلاء المنصرون في القرى والمدن يدعون الناس إلى النصرانية.

قال العلامة أبو الحسن الندوي: إن المنصرين انبثوا في الشوارع والقرى والمدن يدعون إلى النصرانية علناً، ويشنعون على العقيدة الإسلامية السمحاء جهراً، ويعلنون أن دولة الإسلام قد زالت، وأن عهده قد انقضى، ودخلت الهند في الحكم النصراني؛ فعلى الجميع أن يدخل في النصرانية[3].

---

(١) انظر مقام حديث (ص ١٣٩) والمباحثه (ص ٨١).

(٢) تاريخ حركة الارتداد لغلام بيك (ص ٧).

(٣) الدعوة الإسلامية وتطوراتها للندوي (ص ٣٠).

نستطيع أن نقول في ضوء ما كتبنا: إن المسلم الهندي كان مستهدفاً من خارجه وداخله، وكذا كان مستهدفا من الناحية الاجتماعية والسياسية، ففي هذا الوضع الخطير قام العلماء بالدفاع عن دينهم وعن مقدساتهم وعقيدتهم بأساليب مختلفة.





دور المؤسسات الأكاديمية في خدمة السنة

أول عمل قام به العلماء الربانيون لمقاومة هذا الوضع هو فتح المدارس الدينية الأهلية، وكان من أهدافها تدريس الكتاب والسنة بطريقة منهجية سليمة على طريقة السلف الصالح لوقاية العلوم الإسلامية في هذه الديار من الاحتضار والزوال، الذي لاحت أماراته في هذا العصر، ولوقاية المسلمين من الإلحاد والردة والشبهات والريب، والغزو الفكري الغربي الذي كان يكتسحهم بقوة وعنف في ذلك العصر، ولصرف الجيل المسلم الناشيء عن الثورة عليها، ومكافحة الجاهلية.

ويجدر بنا أن نذكر هنا أشهر المدارس الدينية الأهلية التي أسست بالهند بعد استيلاء الإنجليز عليها، ونذكر ما اضطلعت به هذا المدارس من أدوار مهمة في خدمة الكتاب والسنة والعلوم الإسلامية الأخرى، وما قام به أبناؤها من أعمال جليلة في مختلف الميادين. منها:

أولاً: دار العلوم ديوبند.

تعد هذه المدرسة أكبر مدرسة[1] دينية في الهند، وتستحق أن تسمى أزهر الهند، وكان افتتاحها في سنة ١٢٨٣هـ في قرية ديوبند التابعة لمدينة

(١) المدرسة كلمة عامة تطلق على المدارس التي تدرس فيها العلوم الإسلامية كلها، وهي قد تعادل الكلية والجامعة.

سهارنفور في مسجد صغير بطالب[1] وأستاذ، أسسها الإمام محمد قاسم النانوتوي[2] (ت ١٢٩٨هـ) متوكلاً على الله، ولم يكن لها مورد مالي، إذ كانت تجمع تبرعات من المسلمين كي تسير أمورها ثم أقيم فيها قسم خاص لجمع التبرعات، فكان القائمون بهذا القسم يخرجون إلى الأرياف والمدن، ويطلبون من المحسنين من طبقة الفقراء المسلمين خاصة المساعدة ولو بدراهم معدودة أو حفنة من القمح، وقد قرر مسؤلو المدرسة عدم قبول أية منحة من الحكومة، أو ممن يتصل بها، حتى لا تكون عليها أية سيطرة مباشرة، أو غير مباشرة.

وقد درجت المدرسة مع الزمان، وازدهرت واشتهرت، وبنيت لها مبان ضخمة على مساحة واسعة، وبلغت ميزانيتها السنوية عدة ملايين روبية، وما زالت هذه المدرسة تتلقى المساعدة، وليس لها مورد مالي ثابت، وظل شعارها التوكل على الله.

قال العلامة أبو الحسن الندوي: رزقت من أول يومها رجالا عاملين مخلصين وأساتذة خاشعين متقين، فسرت فيها روح التقوى والاحتساب والتواضع والخدمة، ولم يزل نطاق المدرسة يتسع، وصيتها يذيع، وشهرة أساتذتها في الصلاح والتقوى والتبحر في علم الحديث والفقه تطير في العالم، حتى أمها الطلبة من أنحاء الهند، ومن الأقطار الإسلامية الأخرى[3] مثل داغستان، وأفغانستان، وروسيا، وآذربايجان، والصين، وبورما، وماليزيا، وأندونيسيا، وسيلان، وجنوب إفريقيا، والعراق والحجاز.

---

(١) شاء الله أن يكون أول تلميذ لهذه الدار «محمود الحسن» زعيما من زعماء الهند في الجهاد ضد الإنجليز، حتى اعتقل في مالطا بعد أن قبضوا عليه وعلى بعض زملائه في الحجاز حتى سنة ١٩٢٠م، ثم عاد إلى الهند، ولقب بشيخ الهند، توفي سنة ١٣٣٩هـ. انظر ترجمته في الأعلام (ص١٣١٧) والعناقيد الغالية (ص٩٤).

(٢) انظر ترجمته في: الأعلام (ص١٠٦٨) والعناقيد الغالية (ص٣٩).

(٣) انظر المسلمون في الهند (ص ١٣٠).

ثانياً: مدرسة مظاهر العلوم بسهارنفور:

أنشئت هذه المدرسة والتي أصبحت الآن «جامعة» بعد تأسيس دار العلوم ديوبند بستة أشهر سنة ١٢٨٣هـ في مدينة سهارنفور، أسسها الفقيه الشيخ سعادة علي السهارنفوري (ت ١٢٨٦هـ) الذي كان من رفقاء السيد أحمد الشهيد ـ رحمه الله ـ الذي جاهد ضد الإنجليز في البنجاب، وقد نهجت هذه الجامعة منهج دار العلوم (ديوبند) في تدريس العلوم الشرعية بخاصة الحديث الشريف وعلومه. قال عنها العلامة أبو الحسن الندوي: «تلي دار العلوم الديوبندية في كثرة الطلبة والاعتناء بالعلوم الدينية مدرسة «مظاهر العلوم»، وهي تشارك دار العلوم في العقيدة والمبدأ والشعار، وقد خرجت عدداً كبيراً من العلماء الصالحين والرجال العاملين في ميادين العلم والدين، ولعلمائها وخريجيها آثار جليلة في شرح كتب الحديث وخدمة هذا الفن الشريف»[١].

وقال عنها عبدالحليم الندوي: «إن هذه المدرسة تركز اهتمامها على تدريس الحديث بصفة خاصة، وذلك بفضل جهود شيخ الحديث محمد زكريا الكاندهلوي». ثم قال: «ولخريجي هذه الدار أياد بيضاء في خدمة الحديث في الهند، فقد كتبوا عدداً من الشروح لعدد كثير من كتب الحديث»[٢].

وقال عنها الدكتور عبدالمنعم النمر: «ولا شك أن هذه الدار تعد من أمهات المدارس الدينية في الهند، ولعلمائها في الماضي والحاضر جهاد محمود، ولاسيما في علم الحديث الذي وجدنا فيه مؤلفات كثيرة من علماء هذه الدار»[٣].

وقال عنها الشيخ عبدالفتاح أبو غدة: «ومن الحق عليّ أن أسجل أيضاً

---

(١) المسلمون في الهند للشيخ أبي الحسن الندوي (ص ١٣١).
(٢) مراكز المسلمين (ص ١٣).
(٣) دليل جامعة مظاهر علوم (ص ١٧).

أن هذه المدرسة لها المنة الكبرى على المحدثين في خدمة الحديث الشريف، فقد ظهر منها جهابذة قاموا بنشر الحديث رواية ودراية خير قيام»[1].

وقد أقام خريجو هذين المركزين العظيمين، المراكز والمعاهد والمدارس والكليات الكثيرة في داخل الهند وخارجها؛ فمن أهم المدارس في داخل الهند: مدرسة شاهي، والمدرسة الإمدادية بمرادآباد، والمدرسة الأمينية بدهلي، وأشرف المدارس بهردوئي، والجامعة العربية بباندة، ومدرسة مفتاح العلوم، ودار العلوم بمئو، والجامعة الرحمانية ببيهار، وجامعة سبيل السلام بحيدرآباد، وسبيل الرشاد ببنغلور، وجامعة الباقيات الصالحات في ويلور، ومدرسة تعليم الدين بدابيل، والجامعة الحسينية، والجامعة الأشرفية براندير. وأما في باكستان: فمن هذه المدارس دار العلوم بكراتشي ـ التي يشرف عليها المفتي الشيخ محمد تقي العثماني ـ، والجامعة الإسلامية البنورية بكراتشي، والجامعة الفاروقية، ودار العلوم تندواله يار، ودار العلوم أكوره ختك، وغيرها.

وأما في بنغلاديش: هناك دار العلوم هات هزاري، ودارالعلوم جاتغام، وغيرها، وكذا أسس هؤلاء العلماء المدارس الكثيرة في بورما ونيبال.

ولم تكن جهودهم مبذولة في التربية والتعليم ونشر السنة في شبه القارة الهندية فحسب، إنما نرى أثر جهودهم في أوروبا وأمريكا وجنوب إفريقيا، فمن أشهر المدارس في بريطانيا دار العلوم بري (Bary) وفي كندا الجامعة الإسلامية بتورنتو، ومدرسة في بفالو بنيو يارك، وفي جنوب إفريقيا: دار العلوم زكريا في لنسيا (Lansia) ودار العلوم آزاد ول (Azadville) والجامع المحمودية في اسبرنكس (Springe) ودار العلوم نيو كاستل (New Castle) وغيرها[2].

---

(١) دليل الجامعة (ص ١٨).

(٢) انظر دار العلوم ديوبند (ص ١٤٧، ١٤٤، ١٤٢ ـ ١٤٩) ومراكز المسلمين (ص١٣ ـ ٣٩).

عنايتهما بالحديث الشريف وعلومه:

اعتنى علماء كل من «ديوبند» و«مظاهر علوم» بتدريس المواد الشرعية من التفسير ومناهجه والحديث وعلومه، والفقه وأصوله والصرف والنحو والأدب، لكن نصيب الحديث الشريف كان أوفر، وذلك لسببين:

الأول: أن العلماء الذين قاموا بالإشراف على هذين المركزين كانوا ينتمون إلى مدرسة الإمام المحدث ولي الله الدهلوي (ت ١١٧٦هـ) الذين قاموا بنشر الحديث الشريف في شبه القارة الهندية.

والثاني: السنة النبوية كانت أكثر تعرضاً للنقد من المستغربين والملحدين، فكانت السنة النبوية الشريفة بحاجة ماسة إلى التدريس بالطريقة العلمية الصحيحة.

واختار علماؤها عدة طرق لخدمة السنة وعنايتها:

١ ـ المقررات الدراسية:

وضع علماؤها المقررات الدراسية في الحديث وعلومه، وهذه المقررات الدراسية لا يوجد لها نظير في خارج الهند، فهم يبدؤون بتدريس «مشكاة المصابيح» للخطيب التبريزي مع «المقدمة في أصول الحديث» للمحدث عبدالحق الدهلوي من أوله إلى آخره، مع ترجمة الأحاديث إلى الأردية، ثم شرح أحاديث «المشكاة» بالطريقة المنهجية، والطلبة يقيدون شرح الأستاذ في دفاترهم والتي تبلغ عدة كراسات، ثم يدرس الطالب الكتب الستة و«الموطأ» برواية يحيى بن يحيى الأندلسي المصمودي، ورواية محمد بن حسن الشيباني، و«شرح معاني الآثار» للطحاوي، و«الشمائل» للترمذي، و«نزهة النظر شرح نخبة الفكر» لابن حجر، و«المقدمة» لابن الصلاح، وغيرها من كتب الحديث.

لا يتخرج الطالب بها إلا بعد دراسة هذه الكتب من أولها إلى آخرها رواية ودراية، فالطلاب يقرؤون الأحاديث على الأساتذة وهم يسمعون ثم

يقومون بشرحها، وأحيانا يقرأ الأستاذ ويشرح الحديث، ويهتم الطالب ألا يفوته حديث مما قرئ عليه.

وصف العلامة الندوي طريقة تدريسهم بقوله: «وهذا مع عناية زائدة في دار العلوم ديوبند بتدريس الحديث الشريف مع أدب واحترام، ودراسة مقارنة ومحاكمة استدلالية، وإثبات المذهب الحنفي وترجيحه»[1].

فكانت هذه الدروس والمحاضرات تلقى بغاية الدقة في التحقيق وما يتعلق بالرواة بخاصة، والأسانيد والمتون بصفة عامة، وشرح الألفاظ الغريبة وما يشتمل عليه الحديث مع بيان مذاهب الأئمة الأربعة وذكر أدلتهم، وترجيح بعضها على بعض، وإذا كان الأمر يتعلق بترجمة الباب فيقوم الشيخ بشرحه وبيان علاقته بحديث الباب وغير ذلك من الأمور.

يستطيع الباحث والعالم الاطلاع على منهجهم من خلال الأمالي لهؤلاء الشيوخ، ومن أماليهم المشهورة المتعلقة بـ«صحيح البخاري»: «فيض الباري شرح البخاري» أمالي الشيخ محمد أنور شاه الكشميري، وهي مطبوعة في أربع مجلدات، و«النور الساري شرح البخاري» أمالي الشيخ محمود حسن الديوبندي في مجلد، و«لامع الدراري شرح صحيح البخاري» أمالي الشيخ رشيد أحمد الجنجوهي، جمعها الشيخ محمد يحيى ـ والد الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي ـ، طبع في عشرة مجلدات وغيرها، وهناك أمالٍ عديدة لهم باللغة الأردية.

وأما «صحيح مسلم» فمن أهم الأمالي المتعلقة به أمالي الشيخ أنور شاه الكشميري، جمعها الدكتور عبدالعلي الحسني شقيق العلامة أبي الحسن الندوي ـ رحمه الله ـ وأمالي الشيخ رشيد أحمد الجنجوهي طبعت باسم «الحل المفهم شرح صحيح مسلم» في مجلدين.

وأما «الجامع» للترمذي فعليه لهم عدة أمالٍ باللغة العربية، من أهمها: «الكوكب الدري» للشيخ رشيد أحمد الجنجوهي طبعت في أربع مجلدات

---

(١) أضواء على الحركات (ص ٢٤ ـ ٢٥).

بتحقيق وتعليق الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي، و«العرف الشذي» للشيخ أنور شاه الكشميري في مجلد واحد، وعليها عدة أمالٍ في اللغة الأردية أيضا.

وأما «السنن» لأبي داود فعليه عدة أمالٍ، من أهمها: «أنوار المحمود» وهي مجموعة لثلاثة من كبار العلماء، جمعها ورتبها الشيخ محمد صديق النجيب آبادي، وطبع بباكستان.

ولـ«سنن النسائي» أمالٍ، من أهمها: «الفيض السمائي شرح سنن النسائي» طبع بتحقيق وتعليق الشيخ محمد عاقل[1].

٢ ـ تأليف الكتب في الحديث الشريف وعلومه:

كانت نتيجة هذه المقررات المكثفة للحديث الشريف، ووجود العلماء الأجلاء المتعمقين في علم الحديث، أن صدرت عن أبناء كل من ديوبند ومظاهر علوم مؤلفات كثيرة، شرحاً وتحشية وتعليقاً وتحقيقاً وتأليفاً باللغتين العربية والأردية، وقد سبق أن ذكرت أن لهؤلاء العلماء المؤلفات والأمالي النافعة التي طبعت في صورة كتب، ومن أهم هذه الكتب: «شرح الأبواب والتراجم» للشيخ محمود حسن الديوبندي، و«شرح الأبواب والتراجم» للشيخ محمد زكريا الكاندهلوي، و«فتح الملهم شرح صحيح مسلم» للشيخ شبير أحمد العثماني، و«أوجز المسالك شرح موطأ مالك» للشيخ الإمام محمد زكريا الكاندهلوي، و«معارف السنن شرح جامع الترمذي» للشيخ محمد يوسف البنوري، و«أماني الأحبار شرح شرح معاني الآثار» للشيخ محمد يوسف الكاندهلوي، و«تراجم الأحبار من رجال شرح معاني الآثار» للشيخ محمد أيوب المظاهري، و«التعليق الصبيح شرح مشكاة المصابيح» للشيخ محمد إدريس الكاندهلوي، و«فضل الله الصمد في شرح الأدب المفرد» للشيخ فضل الله الجيلاني.

---

(١) انظر دار العلوم ديوبند (ص١٩١) والعناقيد الغالية (ص٢٧٥ ـ ٢٧٧) والثقافة الإسلامية (١٥٠.١٥٤ ـ ٣٩٠) ومعجم المطبوعات العربية.

وقد قام بعضهم بتحقيق كتب التراث: منهم الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي محقق كتاب «مسند الحميدي»، و«السنن» لسعيد بن منصور، و«كتاب الزهد» لابن المبارك، و«المصنف» لعبدالرزاق، و«المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية» لابن حجر وغيرها. وكذا قام الدكتور مصطفى الأعظمي بتحقيق كتاب «صحيح ابن خزيمة» وغيره، وكما حقق الدكتور تقي الدين الندوي[1] المظاهري «كتاب الزهد» للبيهقي وغيره.

كما صدرت لهم مؤلفات مستقلة ومنها؛ مؤلفاتهم المشهورة في الحديث: «جامع الآثار» للشيخ أشرف علي التهانوي، و«إعلاء السنن» للشيخ ظفر أحمد التهانوي، و«جزء حجة الوداع» للشيخ محمد زكريا الكاندهلوي، و«السيف المجلى على المحلى» للشيخ مهدي حسن الشاهجهانفوري ـ وهو رد على آراء ابن حزم الظاهري ـ، و«التصريح بما تواتر في نزول المسيح» للشيخ أنور شاه الكشميري.

وفي علوم الحديث: «قواعد في علوم الحديث» للتهانوي، و«أصول الحديث على مذهب الحنفية» للشيخ محمد زكريا الكاندهلوي، و«علم أسماء الرجال» للدكتور تقي الدين الندوي وغيرها.

٣ ـ ردهم على منكري السنة:

فقد قام العلماء الأجلاء المنتسبون إلى هاتين الدارين بالرد بقوة على منكري السنة أو منتقدي الكتاب والسنة الملحدين والمارقين عن الدين الإسلامي. وذلك بأساليب مختلفة، وكتبوا مقالات في الجرائد والصحف، ومن أهم الكتب المصنفة لهم في هذا المجال: «المهند على المفند» في الرد على البريلويين والخرافيين للشيخ خليل أحمد السهارنفوري. و«الفوائد الملكوتية في أن الأحاديث حجة» للشيخ محمد موسى الروحاني، و«حجية

---

(١) وهو تخرج في دار العلوم ندوة العلماء لكنه استفاد كثيرا من المحدث الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي في الحديث الشريف وعلومه لذا ذكرته في ضمن علماء مظاهر العلوم.

الحديث» للشيخ محمد إدريس الكاندهلوي، والشيخ محمد طيب القاسمي، والشيخ محمد تقي العثماني، و«نصرة الحديث» للشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، و«الانتصار لسنة سيد الأبرار» للشيخ محمد طاهر المرداني، و«نتائج إنكار الحديث» للشيخ سرفراز خان صفدر، و«تدوين الحديث» للشيخ مناظر أحسن الجيلاني.

ثالثا: دار العلوم لندوة العلماء:

أسس هذا الصرح العلمي الكبير سنة **١٣١٢**هـ العالم الرباني الشيخ محمد علي المونجيري وزملاؤه المخلصون، وحينما تأسست دار العلوم كان هناك مدرستان فكريتان: الأولى: مدرسة ديوبند وما شاكلها التي ترفض اختيار كل شيء جاء من الغرب حتى تدريس اللغة الإنجليزية، والثانية: مدرسة سيد أحمد خان مؤسس جامعة عليجراه الذي كان يرى أنه لا نهوض للمسلمين إلا بتعلم الإنجليزية وآدابها وعلومها التي قاطعها المسلمون [١]، فاختارت ندوة العلماء مبدأ التوسط والاعتدال والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع، وأدخلت بعض التعديلات والإصلاحات على المنهج الدراسي القديم، فحذفت بعض المواد وأضافت مواد أخرى من العلوم العصرية[٢].

وأما بالنسبة للحديث الشريف فتدرس فيها الكتب الستة من أولها إلى آخرها «كما في دار العلوم ديوبند» ما عدا «سنن ابن ماجه» و«سنن النسائي» يدرس منهما الأبواب المختارة.

وقد أقيمت على طراز دار العلوم لندوة العلماء مدارس أخرى كثيرة، منها: مدرسة الإصلاح بسرا ئمير أعظم جراه الهند، ودار العلوم تاج المساجد ببهوفال، والجامعة الإسلامية بمظفر فور أعظم جراه، وغيرها من المدارس.

---

(١) انظر المسلمون في الهند (ص ١٣٦) وكتاب الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية (ص٧٣).

(٢) انظر: المسلمون (ص ١٣٨) ومراكز المسلمين (ص ٣٨).

وقد نجحت ندوة العلماء في أهدافها، وذلك بفضل الله تعالى وتوفيقه، توجد لأبنائها جهود مشكورة في السيرة النبوية، من أهمها: «سيرة النبي ﷺ للشبلي النعماني (ت ١٣٣٢هـ) المشرف التعليمي على ندوة العلماء باللغة الأردية وتكملته للسيد سليمان الندوي (ت ١٣٧٣هـ) في سبع مجلدات.

وقد زار العلامة الشبلي النعماني من أجل المادة العلمية مكتبات الهند والحجاز وتركيا ومصر والشام، فلما وصل إلى الجزء الثاني وافته المنية فأكمله تلميذه السيد سليمان الندوي. وهذا الكتاب ليس فيه سرد للروايات والأحداث فحسب بل فيه تحليل ودراسة للوقائع والأحداث، وفيه رد علمي على المستشرقين والمستغربين[(١)]، قال الشيخ أبو الحسن الندوي: «هو دائرة المعارف في السيرة النبوية وعلم الكلام والتوحيد»[(٢)]، ونظرا إلى هذه الأهمية للكتاب فقد قرر مؤتمر السيرة والسنة بقطرالمنعقد في ١٤٠٠هـ ترجمتها إلى العربية، لكن للأسف الشديد ما زال الكتاب باللغة الأردية، ويوجد للسيد سليمان الندوي كتاب آخر في السيرة وهو في غاية الأهمية، هو «الرسالة المحمدية».

وألف العلامة أبو الحسن الندوي عدة كتب في السيرة، منها: «سيرة خاتم النبيين» للأطفال، و«النبي الخاتم»، و«الطريق إلى المدينة»، و«السيرة النبوية».

ويوجد لأهل الندوة مقالات وكتب في الرد على منكري السنة والفرق الضالة، منها: «القاديانية» و«صورتان متضادتان» للشيخ أبي الحسن الندوي باللغة العربية، وكتاب «حجيت حديث» بالأردية للشيخ محمد حنيف الندوي، و«تدوين حديث» للشيخ هدايت الله الندوي، و«تدوين حديث» للسيد سليمان الندوي وغيره.

---

(١) انظر مقال والدي الدكتور تقي الدين الندوي حول كتاب سيرة النبي ﷺ للعلامة شبلي النعماني وتكملته للعلامة السيد سليمان الندوي(ص٦).

(٢) المسلمون في الهند(ص٦٠).

رابعاً: مدرسة أهل الحديث (السلفية):

تفرعت مدرسة الشاه ولي الله الدهلوي إلى فرعين يمثلان مدرستين فكريتين رئيسيتين في الهند، الفرع الأول: مدرسة الأحناف، وكان على رأسها الشيخ عبدالغني المدني (ت ١٢٩٩هـ) والشيخ رشيد أحمد الجنجوهي (ت ١٣٢٣هـ) والشيخ محمد قاسم النانوتوي (ت ١٢٩٨هـ) وغيرهم.

والفرع الثاني: مدرسة أهل الحديث (غير المقلدين)، وكان على رأسها الشيخ نذير حسين الدهلوي (ت ١٣٢٠هـ) والشيخ بشير السهسواني (ت ١٣٢٣هـ) والشيخ شمس الحق الديانوي (ت ١٣٢٩هـ) مؤلف كتاب «غاية المقصود شرح سنن أبي داود» والشيخ عبدالرحمن المباركفوري (ت١٣٥٣هـ) صاحب كتاب«تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي» وغيرهم.

نشطت الحركة العلمية بوجود هؤلاء العلماء تدريساً وتأليفاً، وكان لهم الفضل بعد الله عز وجل في إنشاء العديد من المدارس في الهند[1].

ومن أهم المدارس السلفية:

أ ـ دار الحديث الرحمانية بدهلي:

أسسها الشقيقان الشيخ عبدالرحمن والشيخ عطاء الرحمن سنة ١٣٣٩هـ، كان الشيخ عطاء الرحمن يتحمل جميع نفقات المدرسة، ما كان يقبل من أحد شيئاً، واستفاد من هذا المنهل العلمي كثير من الطلبة،من أهم من تخرج فيها الشيخ عبيدالله الرحماني صاحب كتاب «مرآة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح»، لكن نتيجة لظروف البلد أغلقت هذه المدرسة بعد استقلال الهند سنة ١٩٤٧م وانقسامها إلى دولتين.

ب ـ جامعة دار السلام بعمر آباد بـ (مدراس):

تقع هذه المدرسة بمدينة عمرآباد بمدارس بجنوب الهند، أسسها التاجر عمركاكا سنة ١٩٢٤م، وقد قامت هذه المدرسة بخدمة جليلة في الجنوب،

---

(١) انظر الإمام عبد الحي اللكنوي (ص ٣٧).

من أهم أبنائها الدكتور ضياء الرحمن الأعظمي عميد كلية الحديث بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سابقا، وله دراسات حديثية نافعة.

جـ ـ الجامعة السلفية بـ (بنارس):

تقع هذه الجامعة بمدينة «بنارس» بشمالي الهند ـ وهي عند الهندوس أقدس مكان يتبركون به ـ، أسسها جمعية أهل الحديث سنة **١٣٨٣**هـ (**١٩٦٣**م)، تخرج بها مئات الطلبة الذين لهم دور ملموس في مجال الدعوة والتدريس والتحقيق والبحث، وقاموا بخدمات جليلة في الحديث الشريف وعلومه.

من أهم أعمال طلابها: كتاب «فضائل الصحابة» للإمام أحمد تحقيق الدكتور وصي الله، وكتاب «مجمع البحرين في زوائد المعجمين» للهيثمي تحقيق البستوي، و«كتاب العلل» للدارقطني تحقيق الدكتور محفوظ الرحمن، وله تحقيق «مسند البزار»، و«كتاب الزهد» للإمام وكيع بن الجراح تحقيق الدكتور عبدالرحمن الفريوائي[١].

ردهم على منكري السنة:

وقد قام أبناؤها المنتسبون إلى جمعية أهل الحديث بالرد على الخرافيين والإنكار عليهم إنكارا شديدا، وكذا ردّوا على منكري السنة ردا عنيفاً علمياً، فمن أهم الكتب المؤلفة لهم: «برق إسلام» في الرد على أسلم الجيراج فوري لأبي سعيد شرف الدين الدهلوي، ور«سالة في ختم النبوة» فيها رد على القاديانية للجوندلوي، وله رسالة في الرد على كتاب منكري الحديث «دو إسلام» بالأردية، كما أصدرت مجلة «الاعتصام» باللغة الأردية الصادرة في لاهور سنة **١٣٧٥**هـ الموافق **١٩٥٦**م في شهر فبراير عدداً خاصاً للرد على منكري السنة ومنتقديها، شارك في كتابة المقالات في هذه المجلة أكثر من عشرين عالماً من علماء باكستان والهند.

---

(١) انظر المسلمون في الهند (ص ١٣٣) وجهود مخلصة (ص ٢٨٣).



دور التأليف والنشر

أنشئت دور عديدة للتأليف والنشر في الهند وباكستان، وكان لها دور كبير في خدمة العلوم الإسلامية والأدبية. ومن أهمها:

١ ـ دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد.

أنشئت هذه الدار في عام ١٨٨٨م تحت رعاية دولةحيدر آباد الإسلامية، كان هدفها تحقيق كتب التراث بصفة عامة، وكتب الحديث بصفة خاصة. قال الشيخ أبو الحسن الندوي: «ومن المؤسسات العلمية الكبيرة التي كان لها فضل كبير في إحياء الكتب الدينية والعلمية، وبعثها من مدافنها في المكتبات العتيقة، ونشرها بالتصحيح والتحقيق في العالم الإسلامي دائرة المعارف الإسلامية بحيدرآباد، وقد نشرت أكثر من مائة وخمسين كتاباً قيماً من كتب الحديث والرجال والتاريخ والعلوم الإسلامية». ثم قال الشيخ الندوي: «وقد اعترف بجهود هذه المؤسسة العظيمة وجلالة عملها وقيمة ما تنشره من التراث العلمي كبار العلماء ورجال الثقافة في الشرق وأوربا»[(١)].

من أهم مطبوعاتها: «مسند أبي داود الطيالسي»، و«السنن الكبرى» للبيهقي، و«المستدرك» للحاكم، و«معرفة علوم الحديث» للحاكم، و«الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبدالبر، و«تذكرة الحفاظ» للذهبي،

(١) انظر الإسلام والمستشرقون (ص ٩٥) وانظر المسلمون (ص ٤١).

و«تهذيب التهذيب» لابن حجر، و«التاريخ الكبير» للبخاري، و«المنتظم» لابن الجوزي، و«كتاب الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم، و«كنز العمال» لعلي المتقي الهندي وغيرها.

٢ ـ دار المصنفين أعظم جراه.

يعد هذا المجمع أكبر مركز علمي، أسسه العلامة شبلي النعماني سنة ١٣٠٤هـ، يعمل فيه نخبة من العلماء في مجال البحث والدراسة والتحقيق لكثير من الموضوعات العلمية والأدبية والتاريخية، وقد عني بدفع الشبهات التي أثيرت حول الإسلام والمسلمين عامة وسيرة النبي ﷺ خاصة، وصدرت لهم عدة كتب نافعة، ومقالات نشرت في مجلة «المعارف» الصادرة عن هذا المجمع باللغة الأردية، وقد عقد هذا المجمع مؤتمراً إسلامياً كبيراً على مستوى العالم الإسلامي حول الإسلام والمستشرقين وذلك سنة ١٩٨٢م [١].

٣ ـ ندوة المصنفين بدهلي.

أنشأها الشيخ عتيق الرحمن العثماني سنة ١٩٣٨م، وتتبع منهج دار المصنفين في البحث والدراسة، وهي تصدر مجلة علمية شهرية باسم «برهان» باللغة الأردية، وقد قامت هذه الدار بطباعة كتب قيمة في علوم القرآن والسنة والفقه وغيرها التي زادت على مائة[٢].

٤ ـ إدارة علوم القرآن والعلوم الإسلامية بباكستان.

وهي هيئة علمية متخصصة أسسها الشيخ نور أحمد، وقد قامت بنشر وطبع كتب قيمة، منها: «إعلاء السنن» للشيخ ظفر أحمد العثماني، و«مصنف أبي بكر ابن أبي شيبة»، و«كتاب الآثار» للإمام محمد بن حسن الشيباني وغيرها[٣].

---

(١) انظر كتاب مراكز المسلمين (ص ١١٧) والإسلام والمستشرقون (ص ٦٥).
(٢) انظر مراكز المسلمين (ص ١٢٧) والإسلام والمستشرقون (ص ٧٧).
(٣) انظر: جهود المعاصرين (ص ١٥).

٥ ـ إدارة العلوم الأثرية بفيصل آباد بباكستان.

وهي أيضاً هيئة علمية متخصصة، تأسست سنة ١٩٦٨م لدارسة علوم الكتاب والسنة، وإحياء مآثر السلف في علوم الحديث، وقد صدرت عن هذه الإدارة عدة كتب، ونشرت مقالات علمية[١].

٦ ـ المجلس العلمي بالهند:

وهو إدارة تحقيق وتأليف أنشأه الحاج محمد موسى، وقد صدرت عنه عدة كتب، من أهمها: «نصب الراية لأحاديث الهداية» للزيلعي، و«نيل الفرقدين في مسألة رفع اليدين» للكشميري.

٧ ـ مركز الشيخ أبي الحسن الندوي للبحوث والدراسات الإسلامية بمظفر فور أعظم جره الهند.

تم إنشاء هذا المركز لغاية علمية وتحقيقية عظيمة تحت إشراف الأستاذ الدكتور تقي الدين الندوي، ومن أهم إصداراته: «ظفر الأماني في مختصر الجرجاني» للإمام عبدالحي اللكنوي، و«موطأ الإمام مالك مع التعليق الممجد» للإمام عبدالحي اللكنوي، و«أوجز المسالك شرح موطأ مالك» للكاندهلوي وغيرها.

ويعد ما ذكرناه آنفا من أهم المجامع العلمية وأقدمها والتي اعتنت بكتب السنة، ويوجد حالياً في الهند وباكستان أكثر من عشرين مجمعاً علمياً يعتني بنشر كتب السنة من أهمها الدار السلفية ببومباي، والدار القيمة ببومباي إدارة البحوث الإسلامية ببنارس.

والحمد لله أولاً وآخراً.



(١) انظر: جهود المعاصرين (ص ١٦).



خاتمة البحث

وفي الختام أستطيع أن أوجز أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذه الجولة العلمية:

أولاً: حينما دخلت الهند رسميا تحت التاج البريطاني ضعفت قوة المسلمين، فأخذ أعداء الإسلام يوجهون النقد إلى عقيدة المسلمين وشريعتهم السمحاء.

ثانياً: أثبت هذا البحث أن وراء إنكار حجية السنة النظريات الغربية التي أرادت قطع علاقة المسلمين بالمصدر الثاني للتشريع.

ثالثاً: هب علماء المسلمين للدفاع عن السنة المطهرة بصفة خاصة وعن عقيدة المسلمين بصفة عامة بطرق مختلفة:

منها: إقامة المدارس وتدريس السنة فيها على الطريقة الصحيحة والرد على هؤلاء منكري السنة.

ومنها: نشر الكتب والمجلات للرد عليهم وكشف غوائلهم.

ومنها: إقامة دور النشر للتأليف والتحقيق.

وبفضل الله تعالى وتوفيقه لم ينجح هؤلاء المستغربون في مخططاتهم الخبيثة، وإن شاء الله لن ينجحوا في المستقبل.



ثبت المراجع والمصادر

١ - **الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة**: للعلامة عبدالحي اللكنوي، ط: دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٥هـ.

٢ - **الإسلام والمستشرقون**: للعلامة أبي الحسن الندوي، ط: المجمع الإسلامي العلمي لكناؤ ١٩٨٢م.

٣ - **أضواء على الحركات والدعوات الدينية**: للعلامة أبي الحسن الندوي، ط: المجمع الإسلامي العلمي لكناؤ ١٩٩٥م.

٤ - **الإمام عبدالحي اللكنوي**: للباحث، ط: دار القلم بدمشق ١٩٩٥م.

٥ - **أعلام المحدثين بالهند**: للدكتور تقي الدين الندوي، ط: المكتبة الإمدادية بمكة المكرمة.

٦ - **جامعة ديوبند الإسلامية في ضوء المقالات البنورية**: جمع وترتيب: محمد حبيب الله مختار، ط: جامعة العلوم الإسلامية بنوري تاون كراتشي.

٧ - **جهود مخلصة في خدمة السنة المطهرة**: للدكتور عبدالرحمن الفريوائي، ط: إدارة البحوث الإسلامية بالجامعة السلفية ببنارس الهند.

٨ - **جهود المعاصرين في خدمة السنة المشرفة**: لمحمد عبدالله أبو صعيليك، ط: دار القلم دمشق ١٩٩٥م.

٩ - **الدعوة الإسلامية وتطوراتها في الهند**: للعلامة أبي الحسن الندوي، ط: المجمع الإسلامي العلمي لكناؤ.

١٠ - **دار العلوم ديوبند**: للشيخ محمد عبيد الله الأسعدي، ط: إكاديمية شيخ الهند ديوبند الهند عام ١٤٢٠هـ.

١١ - **دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه**: للدكتور محمد مصطفى الأعظمي، ط: شركة الطباعة العربية المتحدة بالرياض ١٤٠١هـ.

١٢ ـ **الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية**: للعلامة الندوي، ط: المجمع الإسلامي العلمي لكناؤ.

١٣ ـ **العناقيد الغالية من الأسانيد العالية**: للشيخ محمد عاشق إلهي المظاهري، ط: مكتبة الشيخ بهادر آباد كراتشي ١٤٠٨هـ.

١٤ ـ **كتاب سيرة النبي ﷺ**: للعلامة شبلي النعماني وتكملته للعلامة السيد سليمان الندوي للدكتور تقي الدين الندوي، ط: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف بالمملكة العربية السعودية.

١٥ ـ **كفاح المسلمين في تحرير الهند**: للدكتور عبدالمنعم النمر، ط: الهيئة المصرية العامة عام ١٩٩٠م.

١٦ ـ **القرآنيون وشبهاتهم حول السنة**: لخادم حسين إلهي بخش، ط: مكتبة الصديق الطائف ١٤٢١هـ.

١٧ ـ **معجم المطبوعات العربية**: للدكتور أحمد خان، ط: مطبعة الملك فهد الوطنية الرياض ١٤٢١هـ.

١٨ ـ **مقدمة كتاب الآثار**: للإمام محمد بن الحسن الشيباني، ط: إدارة علوم القرآن بباكستان ١٤١١هـ.

١٩ ـ **مراكز المسلمين التعليمية والثقافية والدينية في الهند**: للشيخ عبدالحليم الندوي، ط: مطبعة نوري المحدودة بمدراس الهند.

٢٠ ـ **المسلمون في الهند**: للعلامة أبي الحسن الندوي، ط: دار ابن كثير دمشق ١٩٩٩م.

٢١ ـ **دليل مركز الشيخ أبي الحسن الندوي**: للبحوث الدراسات الإسلامية بمظفر فور أعظم جره الهند.

٢٢ ـ **المراجع الأردية**

٢٣ ـ **تحريك ارتداد كي تاريخ (تاريخ حركة الارتداد)**: لغلام بيك، ط: دهلي.

٢٤ ـ **تحقيق جهاد**: لجراغ علي، ط: رفاه عام لاهور ١٩١٢م.

٢٥ ـ **دليل جامعة مظاهر علوم سهارنفور**، إعداد: الشيخ محمد شاهد السهارنفوري، ط: جامعة مظاهر العلوم سهارنفور.

٢٦ ـ **سنت كي آئيني حيثيت**: للسيد أبي الأعلى المودودي، ط: نورعالم لاهور ١٩٧٧م.

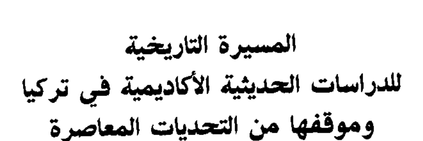
٢٧ ـ **علماء ديوبند اور علم حديث**: للشيخ حبيب الرحمن القاسمي، ط: جامعة ديوبند ١٣٩٩هـ.

٢٨ ـ **مقالات سرسيد**: جمع وترتيب محمد إسماعيل، ط: مطبع رزين آرت لاهور١٩٦٢م.
٢٩ ـ **المباحثة**: لعبدالله الجكرالوي، ط: مطبعة إسلامية لاهور.
٣٠ ـ **مقام حديث**: لغلام أحمد برويز، ط: مطبعة علمي لاهور.

المجلات

٣١ ـ **مجلة إشاعة القرآن**: العدد الثالث عام ١٩٠٢م لاهور.
٣٢ ـ **مجلة الاعتصام**: الصادرة من لاهور عدد فبراير ١٩٥٦م.





المسيرة التاريخية
للدراسات الحديثية الأكاديمية في تركيا
وموقفها من التحديات المعاصرة

الأستاذ المشارك د. أمين عاشِق قُوتْلُو

عضو هيئة التدريس بجامعة مَرْمَرَة بإستانبول/تركيا



بسم الله الرحمن الرحيم

سيادة الرئيس، العلماء الأجلاء، الزملاء الأفاضل، المشاركون والمستمعون الكرام.

أحييكم بتحية الإسلام وأشكر من صميم قلبى كل من أسهم في تخطيط وتحقيق هذه الندوة الخيرة المباركة، راجيا من الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا إلى الغاية وأقول:

سيسير البحث ـ بعون الله تعالى ـ وفق الخطة التالية: بعد مدخل موجز لبيان سبب اختيارى لموضوع البحث، سأتطرق في القسم الأول للدراسات الحديثية الأكاديمية ومسيرتها التاريخية في العصرالأخير في تركيا، بداية من أواخر العهد العثماني بخطوطها العريضة، وفي القسم الثاني سأتناول بعض النماذج للدراسات والبحوث الحديثية الأكاديمية الجديرة بالذكر تجاه التحديات على السيرة العطرة والسنة المطهرة والأحاديث النبوية الشريفة. وإذا كانت لنا مساهمة يسيرة في وصول هذه الندوة إلى غايتها فسنكون مسرورين جدا. ومن الله التوفيق.





المدخل

أعتقد أننا كلنا نُحِس وندرك أن إحدى المشاكل الهامة العلمية في العالم الإسلامي، هي نقصان الاتصال أو عدمه. وهذه المشكلة لاتزال موجودة حتى يومنا هذا على المستوى الفردي والاجتماعي والتأسيسي، وظاهرة بين مؤسسات علمية مختلفة في أنحاء العالم الإسلامي، كما تظهر بين المؤسسات في البلد الواحد وحتى في وحدات المؤسسة الواحدة ذاتها، بالرغم من كل التطورات التكنولوجية في عصرنا المسمى «عصر المعلومات». ولذلك كثيرا ما لا يمكن الحصول على معلومات كافية صحيحة حول الدراسات العلمية المتزايدة يوما بعد يوم في عالمنا الإسلامي. فهذا الواقع يؤدي إلى قيام الباحثين بدراسة في موضوع واحد وكلٌ على حدة دون علم الأخرى، وتكرارِ بحث موضوعٍ واحد مرارا فضلا عن فتحه مجالا لهدْر الجهود والأوقات والأموال، وأهمُّ من ذلك كلِّه ـ بلا شك ـ الركود العلمي وضعفه.

ومن أهم أسباب هذا الانقطاع ـ في نظري ـ اختلاف الألسن واللغات، مع أن هناك أسبابا عديدة أخرى. لأن الباحثين الذين لغتهم الأم ليست عربية، مع كونهم يتعلمون اللغة العربية ويعرفونها معرفة كافية للدراسة والبحث، إلا أن الأبحاث التي يقومون بها بلغاتهم، لاتقرأ ـ بل لا تعرف ـ في الدول العربية والإسلامية الأخرى مهما كانت ذات مستوى عال وعلمي. وهذا يؤدي أيضاً إلى حرمان الأوساط العلمية من هذه البحوث والدراسات. ولحل هذه المشكلة ـ وإن كان يمكن أن تطرح اقتراحات كثيرة مهمة ـ لا بد

من الاتصال الوثيق بين المؤسسات الجامعية والمراكز العلمية وحتي بين الباحثين الجامعيين وغير الجامعيين على الإطلاق أولا، والتعاونِ اللغوي التقني والمالي على الخصوص ثانيا. فلتحديد بُعد المشكلة ووضعها في الصورة الملموسة وللمساهمة في تحقيق هذا الاتصال المطلوب، حصرت بحثي هذا في موضوع: «المسيرة التاريخية للدراسات الحديثية الأكاديمية في تركيا وموقفها من التحديات المعاصرة».

أ. المسيرة التاريخية للدراسات الحديثية الأكاديمية في تركيا في القرن العشرين.

إن تاريخ تركيا في القرن العشرين يشتمل على ربع قرن من أواخر عهد الدولة العثمانية تقريبا وعهد الجمهورية التركية المعاصرة التي أنشأت مكانها في ١٩٢٣م. ولذلك أرى من المناسب والمفيد أن أعرِض معلومات مختصرة حول الدراسات الحديثية الأكاديمية في هذين العهدين المتباينين في النظام التعليمي إن شاء الله[١]

١ ـ تركيا في العهد العثماني الأخير

كما هو معلوم تاريخيا أن الدولة العثمانية كانت تطبق نظاما تعليميا يقوم على أساس المدرسة التقليدية عموما، ومع هذا يمكن القول بأن الدراسات الحديثية الأكاديمية بناء وفهما قد بدأت بإنشاء «دار الفنون الشاهانية»[٢] فعلا في ١٩٠٠م. التي تمتد أعمالها التأسيسية إلى أواسط القرن

---

(١) انظر لمعلومات واسعة: محمد أمين أوزآفشار، «قضية ماهية الحديث والدراسة الحديثية الأكاديمية» مجلة «إسلاميات»، مج ٣.، ع. ٣ (٢٠٠٠)، ص. ٤٤ وما بعدها.
(Mehmet Emin Ozafsar Islâmiyât; c. III; sy. 3 (2000); s. 44 vd.)

(٢) أكمل الدين إحسان أوغلي، مادة «دار الفنون»، موسوعة دائرة المعارف الإسلامية لوقف الديانة التركي، ج. ٥٢١/٧ ـ ٥٢٥

(Ekmeleddin Ihsanoglu, "Darulfünûn" md. Türkiye Diyanet Vakfi Islâm Ansiklopedisi (DIA), VII, 521-523)

التاسع عشر ضمن محاولات التحديث والتغريب في الدولة العثمانية كي تكون نظاما بديلا لنظام المدرسة التقليدية باتخاذ النظام التعليمي الغربي أساسا لها، مع كونها أساسا لجامعة إستانبول اليوم. فهذه النقطة التحولية التاريخية، كانت من جهة تصادف فترة تقاصرت فيها الدراسات الحديثية التقليدية في الدولة العثمانية، ومن جهة أخرى تصادف فترة تحمل آثار حركة التجديد والإصلاح المتأثرة بأفكار المثقفين المسلمين في الهند وباكستان ومصر، مثل جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا وفريد وجدي وموسى جار الله إلى حد ما، مع ما كانت تروج فيها من مفاهيم النقد المنهجي الاستشراقي الحديث[١].

٢ ـ تركيا في عهد الجمهورية

لقد اكتسبت الحركة التجديدية السالفة الذكر بُعدا جديدا بعد تأسيس الجمهورية التركية في **٢٩** أكتوبر **١٩٢٣**، بإصدار مجلس الشعب الجديد قانونا معروفا باسم «توحيد التدريسات» في **١٩٢٤** ملغيا نظام المدرسة التقليدية الذى كان يشكل أساس النظام التعليمي العثماني فوحد النظام التعليمي بدلا من هذا النظام. وبموجَب هذا القانون، تَقرَّر فتح كلية الإلهيات التابعة لدار الفنون آنفةِ الذكر كي تخرج الطلاب المتخصصين في العلوم الدينية العالية، وتقرر أيضاً فتح مدارس الأئمة والخطباء لتدريب من يقوم بالخدمات الدينية مثل الإمامة والخطابة[٢]. والهدف من ذلك هو ملء الفراغ الحاصل في مجال التعليم الديني. وبتنفيذ هذا القانون فتحت كلية الإلهيات التابعة لدار الفنون بإستانبول و**٢٩** مدرسة للأئمة والخطباء في المحافظات المختلفة فبدأ التدريس فيها في **١٩٢٤**م. ولكن بعد تحويل «دار الفنون» إلى جامعة إستانبول الحالية في **١٩٣٣**م، أغلقت كلية الإلهيات التابعة لها في

---

(١) ابراهيم خطيب أوغلي، التعصر والمناقشات الحديثية، ص. ١٧٧و ٣٤٥.

(Bkz. Ibrahim Hatiboglu, cagdaslasma ve Hadis Tartismalarl, Istanbul, 2004, s. 177, 345)

(٢) انظر: مجلة وكالة معارف التركية (مارس)١٩٢٥، ع. ١، ص. ٧٤.

(Türkiye Maarif Vekaleti Dergisi (Mayls 1925), sy. 1, s. 74)

نفس التاريخ بحجة «عدم وجود الطلبة» وفتحت بدلا منها مؤسسة للدراسات الإسلامية تابعة لجامعة استانبول الحالية وسميت «بمعهد الدراسات الإسلامية». ولكن هذه المؤسسة أيضاً قد تعطلت فأغلقت تماما في ١٩٣٦م. وأما مدارس الأئمة والخطباء فقد تناقص عددها وطلابها تدريجيا فأغلقت تماما في السنة الدراسية ١٩٣١ ـ ١٩٣٢م بنفس الذريعة. وبعد أن مضت سنوات فتحت كلية الإلهيات من جديد بقانون آخر تابعة لجامعة أنْقَرَة في ١٩٤٩م، بحيث يدخلها خريجو الثانويات العامة فقط. وبعد عامين من هذا التاريخ، في ١٩٥١م فتحت مدارس الأئمة والخطباء من جديد أيضاً في ٧ محافظات مختلفة فبدأ تخرج الطلاب اعتبارا من العام الدراسي ١٩٥٧ ـ ١٩٥٨م فدعت الحاجة إلى المؤسسات التعليمية العليا لهؤلاء الخريجين.ولسد هذه الحاجة فتح لأول مرة المعهد الإسلامي العالي تابعا لوزارة التعليم في إستانبول في ١٩٥٩م وتزايد عدد هذه المعاهد في مختلف المحافظات حتى وصل عددها إلى ثمانية معاهد في نهاية السبعينيات. ثم تم تحويل هذه المعاهد إلى «كليات الإلهيات» تابعة للجامعات حولها بعد توحيد بعضها ببعض وإغلاق البعض الأخرى في ١٩٨٢م. وبعد هذه العملية بلغ عدد كليات الإلهيات إلى ١٥ كلية في ١٩٨٧م، وبفتح الأخرى إلى ٢٣ كلية في ١٩٩٧م. واليوم توجد ٢٢ كلية من هذه الكليات مفتوحة فعلا للطلاب موزعة على سطح المملكة. ومن جانب آخر، أسست المدارس العالية لتدريب الطلاب للخدمات الدينية تابعة لبعض هذه الكليات في ١٩٨٨م لتخرج موظفين متخصصين في الخدمات الدينية، واستمر التعليم في هذه المدارس إلى أن أغلقت في السنة الدراسية ١٩٩٩ ـ ٢٠٠٠م فعلا[١].

---

(١) انظر حول المسيرة التاريخية للتعليم الديني في جمهورية تركيا: مصطفى أوجال، «ثانويات الأئمة والخطباء من تأسيسها إلي يومنا هذا»، مجلة الدراسات التعليمية الدينية، استانبول ١٩٩٩م، ع. ٦، ص. ٢٠١ ـ ٢٥٤

(Mustafa Ocal; Kurulusundan Günümüze Imam Hatip Liseleri, Din Egitimi Arastlrmalarl Dergisi, sy. 6 (1999), s. 201-254.

مصطفى أوستا، قضايا التعليم الديني العالي في تركيا، استانبول ٢٠٠١م، ص. ٤١، ٤٣ ـ ٤٥

(Mustafa Usta, Türkiyede Yüksek Din Egitiminin Sorunlarl, Istanbul 2001; s. 41-45)

وبالرغم من بعض الإنقطاعات والفترات المضطربة فإن كليات الإلهيات هذه ومدارس الأئمة والخطباء التي كان عددها اليوم أكثر من أربعمائة مدرسة موزعة على سطح المملكة، ليست مؤسسات لتعليم العلوم الدينية فقط، بل اضافة إلى ذلك، لها دور كبير في بدء الدراسات الأكاديمية الدينية وتطورها من خلال مسيرتها التاريخية عموما. فإن هذه المؤسسات ومراكز الدراسات الآكاديمية وما أنشئت حولها من المؤسسات العلمية قد قامت بخدمات مهمة في الدراسات الجامعية حتى يومنا هذا[1].

ب. الدراسات الأكاديمية تجاه التحديات

١ ـ تركيا في العهد العثماني الأخير

إذا نظرنا إلى النصف الأول من القرن العشرين، لا سيما إلى ثلثه الأول، نرى أن الدراسات الدينية العلمية جرت حول كتابين اثنين ووضعت صبغتها على تلك الفترة. وأحد هذين الكتابين كتابٌ عنوانه: (Essai Sur

---

(١) انظر لأبعاد هذه المساهمة فيما بين ١٨٧٦ ـ ٢٠٠٢: إسماعيل لطفي جاقان، أدب الحديث (انواعه ـ خصائصه ـ طرق استعماله)، استانبول ٢٠٠٣، ص. ٣١١ ـ ٣٢٨

(Ismail L.Cakan, Hadis Edebiyatl, Istanbul 2003, s. 311-328)

ياووز أونال، الدراسات الحديثية في جمهورية تركيا فيما بين ١٩٢٠ ـ ١٩٩٧، صامْصُونْ ١٩٩٧؛

(Yavuz Unal, 1920-1997 Araslnda Türkiye Cumhuriyetinde Yapllan Hadis Callsmalarl, Samsun 1997)

وبيبليوغرافيا الدراسات الجامعية التي تمت حول الحديث في كليات الإلهيات فيما بين ١٩٥٧ ـ ١٩٩٧، مجلة الدراسات الإسلامية (العددالخاص بالحديث والسنة)، مج. ١٠، ع. ١ ـ ٢ ـ ٣ (١٩٩٧)، ص. ١٩٧ ـ ٢٠٣؛

(1957-1997 Yıllar? Arasında lahiyat Fakültelerinde Tamamlanan Hadisle Ilgili Akademik Calısmalar Bibliyografyası, Islamî Arastırmalar (Hadis-Sünnet g zel Sayıs), c.10, sy. 1-2-3 (1997), s. 197-203);

عالم يِلدِيزْ وتحسين قُوجْ يِيكِيتْ، فهارس المقالات المنشورة في مجلات كليات الإلهيات في تركيا وكتّابها فيما بين ١٩٥٢ ـ ٢٠٠٢، آنقرة ٢٠٠٢.

(Alim Yıldız-Tahsin Koçyigit, 1952-2002 Yıllan Arasında Türkiye]de Ilahiyat Fakülteleri Dergilerinde Yayımlanan Makaleler Fihristi, Ankara, 2003)

وهو كمختصر للتاريخ الإسلامي l'Histoire de l'Islamisme, Leiden 1879) لكاتبه المستشرق الهولندي راينهارد دوزي [Reinhard Dozy (1820-1883][1] الذي كان متأثرا بأفكار كل من آلويس شبرانجر[(Alois Sprанger (1817-1893] ووليم موير[(William Muir (1819-1905] المستشرقين الأسبقين، والأخرى كتاب لأونه كايتاني [(Leone Caetani (1869-1935] المستشرق الإطالي وعنوانه: Annali del Islam, (I-X, Milano 1905-1926)

فهذان الكتابان بالرغم من أنهما ليسا كتابين في الحديث بذاتيهما، إلا أن فيهما أخطاءً وادعاءاتٍ وطعونات كثيرة ضد الإسلام عموما، وضد رسوله ﷺ وأحاديثه الشريفة التي لايتصور فصلها عنه ﷺ خصوصا. وفي جو الحرية النسبية في ظلال المشروطية الثانية (١٩٠٨م.)، ترجم عبدالله جودت (ت. ١٩٣٢ م.) كتاب دوزي الي اللغة التركية ونشره بالقاهرة في ١٩٠٨م. تحت عنوان: «تاريخ إسلاميت» مع مقدمةٍ كتبها له بعنوان «إفادة المترجم» وادعى فيها أنه ليس كتاب أنفع للمسلمين اليوم من هذا الكتاب الذى يجب على كل مسلم أن يتقبل كل ما قاله فيه دوزي من الحقائق! من غير تعصب، كما يجب أن يعد كاتبه مسلما. ولقول المترجم هذا حول الكتاب ولآراء المؤلف فيه كان هدفا لسهام الانفعال والانتقاد في هذه الفترة، فاقتطفت نسخه المطبوعة من السوق وألقيت في البحر بموجب قرار حكومة إبراهيم حقي باشا في ١٩١٠م. أولا، ثم بعد سنة واحدة من نشر ترجمة الكتاب تقريبا بدأ العلماء العثمانيون المثقفون يكتبون كتابات انتقادية كثيرة جادة حول الكتاب ومؤلفه ومترجمه[2]. ومن

---

(١) انظر لحياته: مادة «دوزي» لمحمد أوزدمير، موسوعة دائرة المعارف الإسلامية التركية، ج. ٩، ص. ٥١٤

(Hayatı için bkz. Mehmet Ozdemir, "Dozy" md. D?A, IX, 514)

(٢) انظر لهذه الانتقادات: ابراهيم خطيب أوغلي، «الانتقادات التي وجها المثقفون العثمانيون إلي «تاريخ إسلاميت» لدوزي»، مجلة الدراسات الإسلامية، ع. ٣(١٩٩٩)، ص. ٢٠١ وما بعدها

(Ibrahim Hatiboglu, Osmanlı Aydınlarınca Dozy'nin Tarih-i Islâmiyyet'ine YOneltilen Tenkitler, Islâm Arastırmalar? Dergisi, sy. 3 (1999), s. 201 vd.)

أهم وأجد هذه الكتابات ما كتبه المدرس العام إسمعيل حقي المناستري (وهو من المدرسين العثمانيين المشهورين) من المقالات المتسلسلة التي نشرت في مجلتي «صراط مستقيم» و«سبيل الرشاد»[١]، مع ما كتبه ونشره المدرس العام أيضاً خيرالدين نوشهيري من المقالات في مجلة «بيان الحق»[٢]. بالاضافة إلى ذلك، هناك بعض الدراسات الأخرى في انتقاد وتفنيد مزاعم المؤلف والمترجم حول السيرة والسنة المطهرة كمقال فريد (قَامْ) تحت عنوان «القول في أهم نقطة في تاريخ إسلاميت المعهود»[٣]، ومقال مدحت جمال عنوانه: «إلى مؤلف مجهول وملعون لكتابه الرذيل»[٤] ومقالي كل من م. نوري دَجاني وم. رفيق أودمشلي بعنوان «حول تاريخ إسلاميت المعهود»[٥] ومقالي (أحمد) نظمي ومحمد عاكف الشاعر التركي المشهور ردا على كتابات أبي الضياء توفيق وعبدالعزيز الشاويش المصري لثنائهما على كتاب «تاريخ إسلاميت». وهناك كتب

---

(١) انظر لمواضيع هذه المقالات في هاتين المجلتين (الأسبوعيتين الدينيتين العلميتين الأدبيتين الوطنيتين والسياسيتين) «فهارس مجلتي صراط مستقيم وسبيل الرشاد» لعبدالله جَيْخانْ، آنقرة ١٩٩١ ص. ٣٩٩

(Abdullah Ceyhan, Sırat-ı Müstakîm ve Sebîlürresad Mecmualarının Fihristi, Ankara 1991, 399)

ـ وكانت مجلة «صراط مستقيم» بدأت تصدر سنة ١٩٠٨ م. الموافقة لسنة نشر ترجمة كتاب دوزي، ومجلة «سبيل الرشاد» صدرت اعتبارا من سنة ١٩١٢ م. امتدادا لمجلة «صراط مستقيم». ومقالات المناستري السالفة الذكر التي نشرت خلال ثلاثين عددا في المجلة صنفت فيما بعد وطبعت كتابا باسم «الحق والحقيقة» (استانبول ١٩١٤)

(٢) انظر: مجلة «سبيل الرشاد». مج. ٧، ص. ١٦٣ ـ ١٦٧ (وهذه المجلة أيضاً اسبوعية دينية أدبية سياسية وفنية قد بدأت تصدر سنة ١٩٠٨ م. بعد فترة المشروطية الثانية).

Bkz. Sebîlürresad, VII, 163-167

(٣) صراط مستقيم، مج. ٣، ع. ٧٤، ص. ٤١١ ـ ٤١٣

Bkz. Sırat-ı Müstakîm, c. 3, sy. 74, s. 411-413

(٤) نفس المجلة، مج. ٤، ع. ٨٩، ص. ١٩٨ ـ ١٩٩

Bkz. a.g.m., c. 4, sy. 89, s. 198 - 199

(٥) نفس المجلة، مج. ٣، ع. ٧٤، ص. ٣٤٦ وع. ٧٣، ص. ٣٢٨

Bkz. a.g.m., c. 3, sy. 73, s. 328; sy. 74, s. 346

مستقلة أخرى ألفت للرد على اتهامات دوزي ككتاب إسمعيل فَني (أرْطُوغْرُولْ) المسمى «إزالهء شكووك (إزالة الشكوك)»[١] وكتاب محمد على درمان الطبيب المسمى «الرد على د. دوزي ود. شبرانجر ود. موير الذين أطالوا ألسنتهم في النبي ﷺ[٢]. وفي غير هذه الأعمال العلمية، دراسات متعلقة بالموضوع أيضاً ضمن كتب التاريخ الإسلامي، مثل مقدمة «تاريخ إسلام» المطبوع باستانبول في ١٩٠٨م. لشاهبندرزاده احمد حلمي الفلبوي، الذي يشكو فيها من عدم كفاية الردود على كتاب دوزي ومن كونها بعيدة عن المستوي العلمي، وينتقد مناهج المنقدين والمؤرخين الغربيين غير المسلمين على أصولها الفكرية. ومثل تقرير وضعه قوام الدين بن نور (بُورْسْلانْ) لإصلاح مدرسة النواب بمحافظة «شُمْنُو» البلغارية تحت عنوان «التعديل»[٣] ونبه فيها على غلو وعدم إنصاف دوزي في كتابه حول القرآن الكريم والرسول الأمين ﷺ، وكما فعل عبدالرحمن ضَبْصُو في كتابه المسمي بـ«التاريخ الإسلامي الكبير»[٤] موجها انتقاداته الحادة إلى مزاعم دوزي وكايتاني.

٢ ـ تركيا في عهد الجمهورية

إن تأسيس الجمهورية التركية في **١٩٢٣** كان نقطة بداية جديدة من حيث الدراسات الجامعية في تركيا. وكان من أهم المحاور في الأوساط العلمية والثقافية في أوائل هذه البداية الجديدة كتاب Annali dellIslam[٥] لأؤنه كايتاني (**١٨٦٩ ـ ١٩٣٥**)[٦]. وهذا الكتاب بعد ما ترجمه حسين جاهد

(١) طبع باستانبول سنة ١٩٢٨
(٢) مطبعة غارانتي ١٩٧٢
(٣) طبع بمدينة «شمنو» البلغارية سنة ١٣٣٩/ ١٩٢٣
(٤) طبع بإستانبول بين سنوات ١٩٥٥ ـ ١٩٥٧
(٥) طبع بملانو (روما) بين سنوات ١٩٠٥ ـ ١٩٢٦ عشر مجلدات
(٦) انظر لحياه المؤلف: مادة «لأؤنه كايتاني» لمحمود ح. شاكر أوغلى، الموسوعة المذكورة، ج. ٦، ص. ٥٤٥.

(Hayatı için bkz. Mahmut H.Sakiroglu, "Leone Caetani" md. DIA, VI, 545)

(يالْجِينْ) إلى اللغة التركية ونشره تحت اسم «تاريخ الإسلام»[١] أخذ العلماء المسلمون ينتقدونه ويؤاخذون على مؤلفه ومترجمه لأجل اتهامات وافتراءات كانت فيها. ومن هذه الدراسات الانتقادية مقال نشر في مجلة «سبيل الرشاد» نيابة عنها تحت عنوان «تنقيد آثار»[٢]. ثم كتَب بَابَان زاده أحمد نَعيم، مدرس «دار الفنون» السالفة الذكر، ثلاث مقالات متعلقة بما زعمه المؤلف والمترجم ونشرها في نفس المجلة[٣] مع ما كتبه في مقدمته القيمة لكتابه «ترجمة تجريد الصحيح وشرحه» تحت عنوان «تشكيك لا وجه له» ردا صريحا مفصلا على زعم كايتاني بأن الأسانيد ليس لها أصل صحيح يصل إلى النبي ﷺ، بل كلها مختلقة عليه فيما بعده ﷺ[٤]. ومن هذه الانتقادات أيضاً مقالات ثلاث علمية جآدة متسلسلة ألفها يوسف ضيا(يُورُوقَانْ) مدرس دار الفنون ونشرها للرد على أخطاء وأوهام المؤلف وهذياناته[٥]. ويمكن أيضاً أن تعد ترجمة عمر رضا طُوغْرُولْ كتاب «السير النبي» للعالم الهندي مولانا شِبْلي ونشره باسم «عصرِ سعادت»[٦] من هذا النطاق. لأنه بترجمته هذه كان قد عرض على القارئين التركيين ما كتبه المؤلف مولانا الشبلي وما

---

(١) طبع منه قسم الوقائع إلي سنة ١٢ من الهجرة فقط (مع ترجم كله) بإستانبول بين سنوات ١٩٢٤ ـ ١٩٢٧ (انظر: المرجع السابق ونفس الموضع).

(٢) المجلة المذكورة، مج. ٢٥، ع. ٦٣٧ (سنة ١٣٤١ ر.) ص. ١٩٣ ـ ١٩٥

(٣) المرجع السابق، مج. ٢٥، ع. ٦٣٨، ص. ٢١١ ـ ٢١٣؛ ع. ٦٤٠، ص. ٢٤٤ ـ ٢٤٩؛ ع. ٦٤١، ص. ٢٦٠ ـ ٢٦٣

(٤) انظر: المقدمة المذكورة، ص. ٧٤ ـ ٨١

(٥) انظر: إنتقاد تاريخ الإسلام لكايتاني الذي ترجمه حسين جاهد بك من اللغة الإيطالية ونشره، مجلة «محراب»، ع. ٢٥ (١٣٤١/١٩٢٥)، ص. ١ ـ ١٣؛ ع. ٢٦، ص. ٤٩ ـ ٥٧؛ ع. ٢٧، ص. ٩٧ ـ ١٠٧.

(Bkz. Hüseyin Cahid Bey'in Italyanca'dan Tercüme ettigi Caetaninin 'Islâm Tarihi'ni Tenkid, Mihrab Mecmuası, sy. 25 (1341/1925), s. 1-13; sy. 25, s. 49/57; sy. 27, s. 97-107)

وهذه المقالات الثلاث نشرت كتابا بعنوان «نقد كتاب تاريخ الإسلام، للسيد كايتاني» (انظر: مجلة كلية الإلهيات لدار الفنون، ع. ٢١(كانون الأول ١٩٣١)، ص. ٦٤

(Bkz. Darulfünûn Ilahiyat Fakültesi Dergisi, sy. 21 (Kânûn-i evvel1931), s. 64)

(٦) طبع بإستانبول سنة ١٩٢٨م. عشر مجلدات.

نبه عليه في مقدمة كتابه في درجات الكتّاب والمؤرخين الأوربيين من حيث الاستشراق وأسباب وقوعهم في الخطأ مع خصائص دراساتهم المشتركة حول الإسلام والرسول ﷺ وأحاديثه الشريفة.

وإذا نظرنا إلى هذه الأعمال العلمية المذكورة، نرى أن كلها أو معظمها تدور حول كتابي دوزي وكايتاني المستشرقين وهما ليسا بكتابي حديث أصلا، إلا إذا لاحظنا أن التاريخ الإسلامي في عهده الأول خاصة، لا يمكن فصله عن السيرة والسنة المطهرة ـ وطبعا عن الأحاديث النبوية الشريفة ـ وأن في كلا الكتابين مزاعم متعلقة بتاريخ الحديث المبكر وعلومه وبداية ظهور الوضع في الحديث وتمييز صحيحه من سقيمه ونقد رجاله وبعض كتب الحديث كصحيح البخاري، يتضح لنا أن كل عمل من هذه الأعمال له صلة قوية بالدفاع عن السنة تجاه التحديات المعاصرة ولو من ناحية. كما يمكن اعتبارها من أوائل الحوار الديني بين المستشرقين الغربيين والمثقفين المسلمين التركيين الذين امتاز أكثرهم بمعرفتهم العالم الشرقي مع وقوفهم على العالم الغربي الحديث وأفكاره وعلمهم باللغات الغربية في العصر الأخير[1].

كما ذكر فيما مضى، أن الدراسات الأكاديمية التي كانت قد بدأت في أواخر عهد العثمانيين، بعدما تطور بفتح كلية الإلهيات بدار الفنون سنة **١٩٢٤** بإستانبول، توقفت بل تراجعت بإغلاقها تماما في **١٩٣٣** إلى أن فتحت كلية الإلهيات من جديد بأنقرة في **١٩٤٩**، إلا أن الدراسات الحديثية الجامعية الدقيقة الشاملة تأخرت إلى الأعوام المتأخرة لعدم كفاءة البنية التحتية حينذاك.

واعتبارا من الخمسينيات، بدأ طور جديد في مجال الدراسات الأكاديمية الدينية بمعناها الفردي والتأسيسي مع فتح المؤسسات التعليمية الدينية على المستوى الثانوي والجامعي فمست الحاجة إلى مراجع التدريس

---

(١) انظر: المقال المذكور لإبراهيم خطيب أوغلي، ص. ٢٠٦ ـ ٢٠٨

ككتب ومذكِّرات، ولذلك يمكن القول بأن المنتجات الحديثية الأكاديمية الأولى المتعلقة بعلم الحديث في هذا العهد الجديد، تمثلت في كتب التدريس والمذكرات الدراسية غالبا، مع ما أنجز من دراسات عامة حول علوم الحديث ومسائله، ومن مقالات خاصة يرد فيها على مزاعم المستشرقين وشبهات المشبوهين وعلى كتبهم، كمقال كتبه أحمد حمدي آقْسَكِي (وهو رئيس الشؤون الدينية التركية الأسبق وكاتب مقال «الرد على إتهام خبيث في خاتم النبيين»[1] أيضاً، توفي ١٩٥١م.) بعنوان «حول الحديث والسنة»[2] ردا على بعض ادعاءات في النبي ﷺ واعتراضات على بعض أحاديثه الشريفة. ومن أهم الأعمال العلمية الجامعية في هذه الفترة كتاب لفؤاد سزكين[3] وعنوانه «دراسات حول مصادر البخاري»[4]. وهي دراسة مهمة نوعا ونهجا ونفعا بحيث تليق بأن تسمى «دراسة مثلى» في بابها، وخطط المؤلف عمله هذا انطلاقا من بعض مزاعم جولدزيهر «أبو المستشرقين»[5] وآرائه، كزعمه أن البخاري صنف كتابه «الصحيح» من الأخبار الشفوية، كالمصنفين قبله، لحرمانه من مؤلفات موجودة يستفيد منها، وكرأيه في نشأة ونهضة أدب الحديث كتابة وتدوينا وتصنيفا، فانتقده في آرائه هذه[6]، كما انتقد هذه الآراء في بعض مؤلفاته الأخرى كمقدمة

---

(١) انظر: مجلة الدراسات الإسلامية، مج. ٦، ع ٢ (١٩٩٢)، ص. ١٢٥ - ١٤١؛ ع. ٣، ص. ١٩٩ - ٢٠٧ (الناشر م. خيري قِرباشْ أوغْلي)

(٢) انظ: مجلة سبيل الرشاد، مج. ٤، ع. ٧٩ (١٩٥٠)، ص. ٦٧ - ٧٥

(٣) وهو مؤلف مشهور في الأوساط العلمية بكتابه «تاريخ التراث العربي»

(٤) طبع في استانبول سنة ١٩٥٦

(٥) انظر لحياته وآرائه حول الدين الإسلامي، م. سعيد خطيب أوعلى مادة «جولدزيهر»، الموسوعة سالفة الذكر، مج. ١٠٣/١٤، وتحسين كُوركُون، نفس المادة ونفس المصدر، ص. ١٠٨ - ١٠٩؛ وم. ياشارْ قانْدَمِير، مادة «الحديث»، نفس الصدر، مج. ٤/١٥.

(Hayatı ve I?slâma air gorüsleri için bkz. M. Said Hatiboglu, "Goldziher" md. DIA, XIV, 103; Tahsin Gorgün, a.g.md. XIV, 108-109; M. Yasar Kandemir, "Hadis" md. D?A, XV, 42)

(٦) انظر: دراسات حول مصادر البخاري، ص. ١٢، ٢٣ - ٢٥؛ وأهمية الحديث من جهة كونه مصدرا للتاريخ الإسلامي لنفس المؤلف، مجلة معهد الدراسات الإسلامية، =

كتابه «تاريخ التراث العربي»[١]. ومن أهم وأدق، بل ومن أضخم وأوسع الدراسات التي أنجزت في ذلك كتاب ألفه مصطفي عاصم كُوكُسال ونشره باسم «الرد على اتهامات وافتراءات في كتاب «تاريخ الإسلام» للمستشرق كايتاني» وهو يقول في كتابه هذا: «إن آراء كايتاني حول ديننا وكتابنا ونبينا لا تأتي من نية حسنة، وإن أخطاءه وتناقضاته التي ملأت تاريخه ليس لها حد ولا حساب»، مع مؤاخذته على المترجم حسين جاهِدْ لثناؤه على الكتاب بقوله: «إنه كتاب مهم ذو قيمة علمية ممتاز ومعتدل - أكثر ما يمكن - ألف في أوربا»، مع اعترافه بأن فيه مواضيع تستحق الجرح والرد ولكن هو ليس مؤهَّلا لذلك الجرح[٢]. ومن مشاهير العلماء المؤلفين في هذه الفترة أيضا، محمد طيب أوكيج البوسنوي الأصل، له دراسة مهمة مطبوعة تحت عنوان «مباحث في بعض مسائل الحديث». تناول فيها بعض الآراء المستشرقين في الحديث النبوي الشريف وسبب عنايتهم به - وفي الإسناد على الأخص - وانتقدها[٣]. وباحث جامعي طلْعت قُوجْ بِيكِيث، وهو ألَّف مقالين ونشرهما في هذه الفترة، أحدهما بعنوان «الإسناد في الحديث الإسلامي وجرحُ الرواة»[٤] ندد فيه إدعاء روبسون (J. Robson) بأن استعمال الإسناد يتأخر حتى بداية الربع الثاني من القرن الثاني الهجري (إلى سنة ١٢٦)[٥]، والأخرى عنوانه «تحليل ونقد بعض آراء جولدزيهر المتعلقة

= ج. ٢، ع. ١(١٩٥٦ - ١٩٥٧) ص. ١٩ - ٣٦)؛ ومحاضرات في التاريخ العربي والإسلامي (فرانكفورت ١٩٨٤)، لنفس المؤلف، ص. ١٣٢ - ١٤٥

(Bkz. Fuat Sezgin, Buhârînin Kaynakları, s. 13, 23-25; Islâm Tarihi'nin Kaynagı Olmak Bakımından Hadisin Ehemmiyeti, I?slâm Tetkikleri Enstitüsü Dergisi, c. 2, sy. 1 (1956-1957), s. 19 -36; Arap ve Islâm Tarihim, Uzerine Konferanslar (Frankfurt 1984), s. 132-145)

(١) انظر: Geshichte des Arabischen Schriftums (Leiden, 1967), I/53-84

(٢) انظر: الكتاب المذكور لمصطفي عاصم كوكسال، ص. ١٦، ٩، ٨٠.

(٣) الدراسة المذكورة، ص. ١ - ١٢.

(٤) انظر: مجلة كلية الإلهيات لجامعة آنقرة، مج. ٩، ع (١٩٦١)، ص. ٤٧ - ٥٧

(Bkz. Ankara Universitesi Ilahiyat Fakültesi Dergisi, c. 9 (1961), s. 48-58)

(٥) انظر: The Orijins of Muhammadan Jurisprudence; s. 37

بالحديث» تناول فيه ادعاء هذا المستشرق بأن الأحاديث ماكانت ظاهرة بظهور الإسلام، بل تكّون معظمها نتيجة طبيعية لنهضة الدين الإسلامي تاريخيا واجتماعيا، كوثائق متعلقة بهذا الانكشاف الديني في العصور المتأخرة« فنفاها[١]. وباحث جامعي آخر محمد سعيد خطيب أوغلي، أعد رسالته القيمة بعنوان «الفكر النقدي الإسلامي ونقد الحديث عند عائشة» (ر). وهي مهمة جدا، لاسيما بالنسبة لادعاء الطاعنين في السنة بأن المسلمين انشغلوا بنقد الإسناد عن نقد المتن أكثر من اللازم، كما كان له بحث انتقادي عنوانه «حول الدراسات الحديثية في الغرب»[٢].

وهناك نشاطات علمية أخرى ظهرت اعتبارا من أواسط السبعينيات موازية لازدياد الدراسات الجامعية، كاجتماعات متعددة علمية هامة منعقدة من جهات مختلفة رسمية او غير رسمية، كالمؤتمرات على مستوى الدولة أو الدول حول قضايا السيرة والسنة المطهرة، وقدمت لها عشرات من الأبحاث ونوقشت وليس هنا موضع تعدادها، غير أنى سأذكر أسماءها مكتفيا بأمكنة وتواريخ انعقادها. ومن أهم بل وأول هذه الاجتماعات، المؤتمر الدولي المنعقد في إستانبول عام ١٩٧٧ تحت عنوان «المؤتمر الدولي الثاني للسيرة النبوية» وله شأن خاص لكونه أول مؤتمر دولي أنجز في تركيا حول السيرة والسنة المطهرة[٣]. ويمكن ترتيب البواقي الجديرةِ بالذكر منها على حسب أمكنة وتواريخ الإنجاز كالتالي:

١ ـ المؤتمر الدولي للدراسات الإسلامية (إزمير١٦، ـ ١٨/٩/ ١٩٨٥).

٢ ـ مؤتمر الرسالة الخالدة (إستانبول١٩٩١،).

---

(١) المصدر السابق (١٩٦٧)، ١٥/٤٣ ـ ٥٥

(٢) المؤتمر الدولي الأول للدراسات الإسلامية، إزمير ١٩٨٥، ص. ٨١ ـ ٩٦

(Bkz. Uluslararası Birinc I?slâm Arastırmaları Sempozyumu (Izmir 1985), s. 81-96

(٣) ومع هذا لم يمكن الحصول على الأبحاث التي قدمت ونوقشت فيها مطبوعة كانت أو غير مطبوعة، كما أشير إلى هذا في كتاب الندوة: السنة النبوية ومنهجه في بناء المعرفة والحضارة، (عمان ١٩٩٢)، ٦/١

٣ ـ مؤتمر ماضي الحديث وحاضره ومستقبله (صامْصُون، ١٤ ـ ١٩٩٣/١٠/١٥)[١].

٤ ـ المؤتمر الدولي للسنة ومكانتها في الدين الإسلامي (استانبول ١٨ ـ ٢٠ /١١/١٩٩٥)[٢].

٥ ـ مؤتمر القرآن والسنة (استانبول، ١ ـ ١٩٩٧/١١/٢)[٣]

٦ ـ مؤتمر مكانة السنة وقيمتها في فهم الإسلام (آنقره، ١ ـ ٢٠٠١/٦/٢)[٤]

٧ ـ مؤتمر قراءة الاستشراق من جديد (آدَه بازارِي(صاقارْيا)، ١١ ـ ٢٠٠٢/٥/١٢)[٥]

٨ ـ مؤتمر فهم السنة في يومنا هذا (بُورْصَه، ٢٩ ـ ٢٠٠٤/٥/٣٠)[٦]

وهذه الأعمال العلمية المذكورة حول الحديث الشريف والتحديات المتوجهة إليه، عبارة عن بعض النماذج المهمة فقط التي حققت في المسيرة التاريخية الآكاديمية للحديث في تركيا في القرن العشرين. إلا أن هناك من البحوث والدراسات العلمية القيمة غير هذه المذكورة، ما لا يمكن تعدادها في نطاق بحث أو ندوة كما يقدر.

---

(١) بحوث المؤتمر طبعت بنفس العنوان، صامصون ١٩٩٤.

(٢) بحوث المؤتمر طبعت بنفس العنوان، استانبول ١٩٩٧. وانظر لتقييم هذا المؤتمر: الدراسات الإسلامية (في عددها الخآص بالحديث والسنة)، مج. ١٠، ع. ١ ـ ٢ ـ ٣(١٩٩٧)، ص. ١٨٣ ـ ١٩٦.

(Bu sempozyuma dair bir degerlendirme için bkz. Islâmî Arastırmalar (Hadis-Sünnet g zel Sayısı). c. 10, sy. 1-2-3 (1997), s. 183-196)

(٣) بحوث المؤتمر طبعت بنفس العنوان، استانبول ١٩٩٩.

(٤) بحوث المؤتمر طبعت بنفس العنوان، آنقره ٢٠٠١.

(٥) بحوث المؤتمر طبعت بنفس العنوان، آنقره ٢٠٠٣. وانظر لتقييم هذا المؤتمر: أردينج آحاتلي، مجلة المعرفة، ع. ٣(شتاء ٢٠٠٢)ص. ٣٣٦/٣٠٣.

(Bu sempozyumun dair bir degerlendirme için bkz. Erdinç Ahatlı, Marife, sy. 3 (2003), s. 303-336)

(٦) ما نعرف أن بحوثه قد طبعت حتى الآن.



الخاتمة:

فإذا أخذنا بعين الاعتبار الأعمال المذكورة فيما سبق ملخصا من مقال أوكتاب أو اجتماع وما أشبه ذلك من الدراسات الحديثية الأكاديمية التي أنجزت ونشرت اعتبارا من أواخر العهد العثمانى في تركيا، نجد أن أوائلها ترجع إلى بداية القرن العشرين تقريبا وأنها تدور حول كتابات ومزاعم بعض المستشرقين، مثل دوزي وكايتاني في الدين الإسلامي بشكل عام وفي السيرة النبوية العطرة والسنة المطهرة بشكل خاص، وترد عليهم تلك المزاعم. كما يلاحظ أن الانتقادات التي وجهت إلى هذه الكتابات في هذه الفترة، كان قسم منها في العلمية والجدية للغاية، مع كون قسم منها. لعله بسبب عدم الكفاءة الثقافية أو العلمية لكونهم لأول مرة يواجهون مثل هذه الأفكار والادعاءات ذات المصدر الغربي ـ تتسم بالعجلة والعاطفية.

واعتبارا من الخمسينيات استأنفت الدراسات الحديثية تجاه التحديات للحديث النبوي الشريف والسنة المطهرة متزايدة ومتطورة بشكل واضح. حتى إذا وصلنا إلى الثمانينيات انتقلت هذه الدراسات إلى مرحلة أكاديمية جديدة من النمو والتحول مع تغيرات أساسية في التعليم العالي التركي، ومنذ منتصف الثمانينيات أصبحت الدراسات الحديثية تسير في جانب من جوانبها بدراسة المواضيع العامة من ناحية، متجهة إلى تفاصيل هذه المواضيع رواية ودراية، تاريخا وأدبا من ناحية أخرى. والنقطة الملحوظة في هذه الدراسات، هي الاتجاه من العموم إلى الخصوص ومن الإجمال إلى التفصيل بشكل مكثف. وبعد التسعينيات لا يزال هذا الاتجاه مستمرا بصورة مكثفة ومتزايدة

بعودة الباحثين الشبان الموفَدين إلى الدول الغربية والإسلامية للبحث والدراسة مع توفر وتجهز الإمكانات المعاصرة المختلفة. ولهذا كله، يمكن أن تسمي هذه الفترة التي تتسم فيها الدراسات الحديثية بالشمولية وعمق النظرة التحليلية والنقدية «فترة تحول وتطور». وهذه الشمولية والتعمقية التي حصلت في هذه الفترة لها وجهتان: وجهة تميزت بدعوة تناول علوم الحديث ونقدها وتمحيصها دراية ورواية بتاريخها وبمصادرها بنظرة كلية منهجية انتقائية وانتقادية، ووجهة أخرى انتقدت الوجهة الأولى بأنها تستند على أفكار المستشرقين المشبوهة السيئة النية وتتوازن معها، إضافة إلى ما وجِّهت اليه من سهام الإنتقاد الدقيقة الحادة لما كتبه أصحاب الوجهة الاولى من مقال أو كتاب أو غير ذلك.

وفي هذه الفترة الخصيبة أيضا، كثفت الدراسات الجامعية على مستوى المقال والرسالة والكتاب في مجال فهم وتفسير السنة المطهرة والأحاديث الشريفة، مع أن هناك جهودا تقييمية علمية ناجحة حول هذه الدراسات من حيث النوع والمحتوي، ومعظمها مطبوعة أو تطبع شيئا فشيئا. إلا أننا إذا لاحظنا أن الدراسات الاستشراقية التي تمت في العالم الغربي فقط، بلغ عددها إلى ستين ألف مجلد تقريبا على التخمين مدة خمسين ومائة سنة ما بين ١٨٠٠ ـ ١٩٥٠م[١]، نرى أننا بعيدون عما نطمح إليه في هذا المجال، ونعلم بما كان يجب علينا أن نفعله في الماضي ولم نفعله، وبما يجب علينا أن نقطعه من مسافة في هذا المضمار في المستقبل.

وفي الختام أرجو أخذ هذه الاقتراحات بعين الاعتبار:

١ ـ تشكيل مركز شامل مجهز بوسائل التقنية المعاصرة لجمع المعلومات والوثائق الحديثية بأنواعها المختلفة وعرضها على خدمة الباحثين.

٢ ـ تشكيل لجنة من المتخصصين لتثبيت وجمع الدراسات العلمية

---

(١) أدوارد سعيد، الاستشراقية (ترجمة: نزيه أُوزَلْ)، إستانبول ١٩٨٢، ص. ٣٤٦

Edward Said, Oryantalizm, (çev. Nezih Uzel, Istanbul 1982, s. 346.

والأكاديمية التي أنجزت خلال القرن العشرين في مجال الحديث في مختلف بلدان العالم وعلومه على حسب البلدان والمواضيع والمؤلفين.

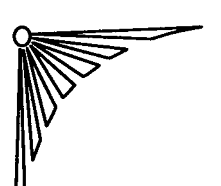
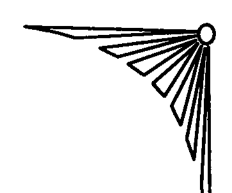
٣ ـ ترجمة مختارات منها على درجة أهميتها إلى اللغة العربية والإنجليزية عاجلا، وإلى اللغات الأخرى الشائعة في العالم الإسلامي آجلا، تحت علم وتسامح المؤلفين مع رعاية حقوقهم المادية والمعنوية.

٤ ـ لتحقيق هذه التمنيات كلها، لا بد من الاتصال الوثيق الحار الدائم بين الباحثين والمراكز العلمية بوسائل الاتصال المعاصرة حتى بالمزاورة الفردية والمؤسستية على قدر الإمكان.

وشكرا لحسن متابعتكم سائلا الله سبحانه وتعالى أن يهدينا إلى سواء الصراط وأن يشرفنا باتباع سنة حبيبه ورسوله المصطفي ﷺ وأن يوفقنا لما يحبه ويرضاه، إنه سميع قريب مجيب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الأستاذ المشارك د. أمين عاشِق قُوتْلُو
عضو هيئة التدريس بجامعة مَرْمَرَة بإستانبول/تركيا

جلسة الاختتام:

تلاوة التوصيات.

كلمة الضيوف.

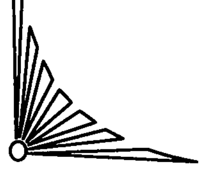
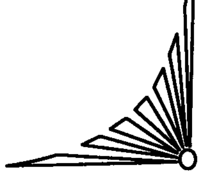
أ.د. جعفر عبدالسلام أمين عام رابطة الجامعات الإسلامية. مصر

كلمة اللجنة المنظمة:

أ.د. عيادة الكبيسي، كلية الدراسات الإسلامية والعربية. دبي.

كلمة الختام:

أ.د. يوسف غِيْوَة، عميد كلية الدراسات الإسلامية والعربية. دبي.



البيان الختامي للندوة العلمية الدولية الثانية (الحديث الشريف وتحديات العصر)

الحمد لله رب العالمين نحمده ونستعينه، ونستغفره ونستهديه، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وليّ الصالحين، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين.

«أما بعد»:

فقد انعقدت في رحاب كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي في الفترة بين ١٨-٢٠ صفر ١٤٢٦هـ (٢٨-٣٠) مارس ٢٠٠٥م الندوة العلمية الدولية الثانية حول الحديث الشريف تحت عنوان: (الحديث الشريف وتحدّيات العصر) وشارك فيها جمع كريم من فضلاء العلماء، ونجباء الباحثين، وقدّمت فيها جملة من البحوث القيمة التي كانت مجالاً للمناقشة العلمية المستفيضة بين المشاركين الأجلّاء، وضيوف الندوة الكرام.

أوّلاً: وقائع الندوة

على مدار ثلاثة أيام، تعاقب الأساتذةُ الباحثون على تقديم بحوثهم العلميةِ المتعلّقةِ بمحاورِ الندوة، فكانت كالآتي:

١. قبول الحديث ورده بين تقرير القواعد ودواعي الانفلات: د. زين العابدين بلافريج (المغرب).

٢. مسالك تضييق الاحتجاج بالسنة في الفكر الإسلامي المعاصر- عرض ونقد -: د. خالد بن منصور الدريس (السعودية).

٣. فقه الحديث بين أصول المتقدمين وآراء المتأخرين: أ. صالح عويمار (الجزائر).

٤. أثر القراءة العضين وتداعياتها في فهم السنة النبوية: د. رقية طه العلواني (البحرين).

٥. ثلاث اتجاهات للصحابة في فهم الحديث والسنة: د. بنيامين أوروول (تركيا).

٦. الدراسات المعاصرة في السنة النبوية بين المتخصصين وغيرهم: أ. د. الأحمدي أبو النور(مصر).

٧. الدراسات الحديثية المعاصرة ـ تحليل وحلول ـ: د. حمزة عبدالله المليباري، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي.

٨. ضرورة وصل الحديث بالفقه في الدراسات الشرعية المعاصرة: أ.د. توفيق بن أحمد الغلبزوري (المغرب).

٩. كتابات غير المتخصصين في السنة النبوية بين الجهل والتحريف، كتاب السنة النبوية: إشكالية التدوين والتشريع: أ.د. أبو لبابة طاهر حسين (العين).

١٠. مناهج العلماء المعاصرين .. الشيخ المعلمي نموذجا من خلال كتاب: الأنوار الكاشفة: أ.د. عبدالهادي الخمليشي (المغرب).

١١. أثر العقل في نقد الحديث عند المعاصرين، د. مختار نصيرة (الجزائر).

١٢. خطورة مساواة الحديث الضعيف بالموضوع: أ. د: خليل بن إبراهيم ملا خاطر (السعودية).

١٣. أسس نقد الحديث بين أئمة النقد وأهل العصر: د. الشريف حاتم بن عارف العوني (السعودية).

١٤. السنة النبوية بين حماتها ونفاتها: د. عبدالعزيز دخان، كلية الدراسات الإسلامية والعربية دبي.

١٥. مواجهة التحديات المعاصرة للحديث النبوي: د. صلاح الدين الإدلبي (رأس الخيمة).

١٦. ضوابط تحرير الألفاظ عند المحدثين وخطر إهمالها بين المعاصرين: د. يوسف العيساوي، كلية الدراسات الإسلامية والعربية دبي.

١٧. البرامج الحاسوبية في مجال الحديث النبوي بين الواقع والطموح: أ. عبدالله صالح. مركز الدعوة والإرشاد، دبي.

١٨. آفاق توظيف التقنية الحديثة لخدمة الحديث الشريف: د. محمد عيادة الكبيسي، دار البحوث والدراسات لإحياء التراث، دبي.

١٩. هجوم على الأحاديث النبوية في المواقع الالكترونية: د. حبيب الرحمن إبرامسا (ماليزيا).

٢٠. موسوعة الحديث النبوي الشريف باستخدام الحاسوب: أ. راتب عباس الخطيب (الأردن).

٢١. بناء الملكة النقدية عند الباحثين في السنة وعلومها: د. عبدالجبار سعيد (الأردن).

٢٢. ضرورة توظيف نصوص الحديث النبوي في النحو التطبيقي المعاصر: د. رجب عبدالجواد إبراهيم، كلية الدراسات الإسلامية والعربية دبي.

٢٣. جهود مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث في خدمة الحديث الشريف: د. أنس صلاح الدين حسن صبري. مركز جمعة الماجد، دبي.

٢٤. أضواء على الدراسات الحديثية في الهند: د. ولي الدين تقي الدين الندوي. كلية الدراسات الإسلامية والعربية دبي.

٢٥. المسيرة التاريخية للدراسات الحديثية الأكاديمية: د. أمين عاشق قوتلو. تركيا.

٢٦. مناهج المستشرقين في تأريخ الأحاديث: د. أوزجان خضر، الجامعة الإسلامية بروتردام، هولندا.

ثانياً: مقترحات وتوصيات:

من خلال هذه البحوث التي قدّمت والمناقشات التي أعقبتها، ومن خلال ورقة الاقتراحات التي وزّعتها لجنة الصياغة على الأساتذة المشاركين في هذه الندوة والضيوف عليها، ومن خلال الجلسة التي عقدت مع بعض الأساتذة المشاركين فقد تمّت صياغة التوصيات النهائية الخاصة بهذه الندوة، ثمّ تمّ عرضها على عموم المشاركين فنالت الإقرار وحسن الاختيار.

وفيما يأتي ملخص لهذه المقترحات والتوصيات :

١ - اقتراح أحد الموضوعات التالية للندوة القادمة:

أ ـ النظرة المستقبلية في السنة النبوية.

ب ـ الأحاديث المستشكَلة والواقع المعاصر.

ج ـ صحيح البخاري تأصيلاً وتوثيقاً.

٢ ـ عرض محاسن السنة وتطبيقها في مجالات الحياة المختلفة.

٣ ـ دعوة المتخصصين من علماء الحديث إلى الدقة في وضع المناهج الدراسية ومفرداتها.

٤ ـ الدعوة إلى الالتزام بمنهج المحدّثين في تعاملهم مع السنة النبوية الشريفة.

٥ - الدعوة إلى التواصل العلمي بين أهل الفقه والحديث في الدراسات الشرعية المعاصرة.

٦ - الدعوة إلى فهم نصوص السنة في ضوء مقاصد الشريعة، وقواعدها العامة.

٧ - تصدّي المتخصصين للطعون الموجهة للسنة النبوية الشريفة في هذا العصر بالردود العلمية الموضوعية والمساعدة على نشرها.

٨ - مراعاة الدقة في استثمار الحاسوب في تداول الأحاديث النبوية.

٩ - الدعوة إلى إنشاء المجمع الحديثي على غرار المجامع الفقهية والمجامع اللغوية.

١٠ - تفعيل توصيات الندوتين، الأولى والثانية واستثمار ما قُدِّمَ فيهما.

١١ - العمل على أن تصبح السنة النبوية الشريفة ثقافة عامة وذلك بتبسيط أسلوب توصيلها إلى المجتمع.

١٢ - الإكثار من الملتقيات والبحوث في مجال خدمة الحديث النبوي الشريف.

١٣ - البعد عن تجريح العلماء المسلمين ومناقشة آرائهم بالأسلوب العلمي.

١٤ - الحرص على طباعة أعمال الندوة وتوزيعها على الجامعات المتخصصة قدر الإمكان تقريباً للأفكار والمناهج، ونشرها على موقع الكلية.

١٥ - العمل على تطوير معاجم المصطلحات الحديثية.

١٦ ـ ترجمة بحوث هذه الندوة أو ملخصاتها إلى بعض اللغات الأجنبية، لنشرها في كتيب حتى يطلع عليه من لا يحسن العربية.

١٧ - إقامة مثل هذه الندوات في بعض الدول الأوروبية وغيرها، كلما أتيح ذلك.

١٨ - إتاحة الفرصة لتقديم البحوث باللغة الإنجليزية مع الترجمة المباشرة إلى العربية.

١٩ - وضع ميثاق علمي للشركات المنتجة لبرامج السنة النبوية.

ثالثاً: شكر وتقدير:

وأخيراً فإن اللجنة المنظمة للندوة العلمية الثانية بجميع أعضائها تسجل شكرها الجزيل وثناءها العاطر وتقديرها الوافر لمعالي جمعة الماجد رئيس

مجلس أمناء الكلية، راعي الندوة على الجهود التي بذلها وما زال يبذلها للرقي بالمستوى العلمي في مجال هو من أعزّ وأعظم مجالات البحث العلمي ألا وهو الحديث الشريف، وتشكر اللجنة له أيضاً قراره بإنشاء أمانة عامة للندوة الدورية للحديث الشريف.

كما تثمن مقترح معالي الدكتور عصام البشير وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية بالسودان الذي دعا فيه إلى إنشاء مجمع علماء الحديث، وتشكر له استعداده الكريم لاستضافة الندوة التأسيسية لهذا المجمع.

كما تتقدم اللجنة بالشكر الجزيل لسعادة مدير كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي الذي أشرف وتابع بكل اهتمام سير أعمال الندوة، وإلى الأساتذة الفضلاء المشاركين في هذه الندوة، ومن خلالهم إلى دولة الإمارات العربية المتحدة، وإلى حكومة دبي على كرم الضيافة وحسن الاستقبال، وإلى جميع الشركات والمؤسسات التي أسهمت في رعاية هذه الندوة وإنجاحها.

والله من وراء القصد. . .





كلمة الضيوف :
الأستاذ الدكتور جعفر عبدالسلام
أمين عام رابطة الجامعات الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فبادئ ذي بدء، لا يسعني إلا أن أعبر عن سعادتي الغامرة بوجودي معكم أثناء هذا الملتقى الكريم، والذي - بلا شك ـ أهم شيء سيبقى منه هو هذه الذكريات الغالية والأماني الطيبة، ولم لا، وهو مناسة قيمة، شاء القدر أن يجمع شملنا خلالها، فيستفيد بعضنا من بعض بما سيعرض من محاضرات مفيدة ومداخلات وتعقيبات بناءة، أقول : أنا سعيد جداً بهذا الحدث العظيم الذي سيضطلع بمدارسة أهم دعامة من دعائم الإسلام الحنيف ألا وهي الحديث الشريف.

ودون أن أطيل، والحديث ذو شجون، كما يقال، أعود فألخص سريعا ما تميزت به هذه الندوة.

فأول ميزة أراها في هذه الندوة هي هذا البعد الحضاري، الذي يتمثل في أنها جمعت بين علماء من جنسيات مختلفة، لكنهم يلتفون جميعا حول كلمة الإسلام؛ فأمامي أتراك وهنود، وكثير من أبناء الدول العربية المختلفة،

علماء ومحدثين، كنت أسمع عن البعض، والآن رأيتهم وتحدثت معهم، وعرفت الكثير منهم. ثم إن هذا الجمع يمثل الأمة الإسلامية من الشرق والغرب؛ فالمغرب العربي له وجود قوي، والمشرق العربي له وجود قوي، والهند لها وجود قوي... وهكذا. وهذا التنوع في رأيي له ميزاته الكبرى، فعندما تجتمع الأمم المتحدة حتى بدون فائدة، يقولون: يكفيها أنها تحقق البعد الحضاري في أنها جمعت الناس بعضهم ببعض رغم تعدد الجنسيات والأديان والأفكار المختلفة. تلتقي وتتعارف هذا بالفعل يذكرني بالآية الكريمة بسورة الحجرات: ظ﴿يأ أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ [سورة الحجرات] هذا هو البعد الأول الذي أردت أن أتحدث عنه الآن باسمكم ومعكم.

أما البعد الثاني فإني أقول: إن هذه الندوة مست بشكل مباشر إحدى المشاكل العلمية على مستوى العالم كله. في هذا السياق نفسه نجد من يمارسون الإرهاب ويستندون إلى بعض الأحاديث التي أؤكد أنها غير صحيحة، وتعلمون أنتم أيضاً أنها غير صحيحة. والإسلام هو دين السلام والأمن، لا دين القهر وإرجاف الناس وتخويفهم.

إن المسلمين إذا رفعوا السيف رفعوه بقانون، وإذا أغمدوه أغمدوه بقانون، حتى إن أحد العلماء وصف سلاح المسلمين بأن السلاح نفسه ذو أخلاق، وليعلم العالَم أننا لسنا شعوبا بربرية تمارس القتل والسحل بلا إبصار ولا تبصر. واستخدام السنة لهذا الغرض أمر غير سديد، ولا علاقة له بالدين لا من قريب ولا من بعيد، ومن حقائق الإسلام الدعوة إلى الهداية والرشد ونشر المبادئ المهمة والقيم الرفيعة، التي يعيش عليها الإنسان، مثل العدالة والمساواة ورفع الحرج عن الناس ونشر العلم بين ربوع العالم كله.

قلت إذن إن هذه الندوة دارت حول محور أساسي يتصل بالشبهات التي توضع الآن وتبذر في داخلنا الشكوك في مصادر شريعتنا، ومنها السنة النبوية التي تقوم جنبا إلى جنب بجوار القرآن، رغم أن القرآن - كما نعلم جميعا - ثبت بشكل يقيني، وأنه حتمي وقطعي الثبوت والدلالة .

لكن السنة عندنا تحتاج إلى بعض الجهد، الذي أرى أنه يقوم به - بإذن الله تعالى ـ غير قليل من العلماء في كثير من ديارنا شرقا وغربا.

ويجدر بنا في هذا المقام أن نشير إلى قضية العقل والنقل وأنا سعيد بما ذكر حولهما؛ فالنقل أساسي ومنهج رئيسي يميز المسلمين عن غيرهم، نحن نؤمن بالوحي، ونؤمن بما أنزله الله تعالى على نبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولكننا نؤمن أيضاً بأن العقل صنو النقل، وأننا يجب أن نستخدم هذا العقل الذي هو هبة إلهية في سبيل التبصر فيما يوحى إلينا، ومعرفته بشكل جيد، ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا باستخدام العقل، إلى جوار النقل.

هذه هي أهم الميزات التي أستخلصها باسمكم، وأرى أننا نجحنا إلى حد ما في إبرازها في هذه الندوة، ونحتاج أيضاً إلى أن نواصل الجهد والعمل لنرد على كل هذه الشبهات في المستقبل.

أما ما أريد أن أؤكده الآن، وفي ختام هذه الجلسة ـ وأنا أراها فرصة مناسبة لبث ما يعن لنا من مفاهيم وأفكار تتصل بالسنة والتحديات المتصلة بها ـ هو أنني جئت ومعي ورقة، أو عدة ورقات، لأعلن عن تجربة مركز السنة بجامعة الأزهر، والتي تهدف إلى إنشاء موسوعة للحديث الشريف، تلك التجربة التي تحدث عنها بعض الأساتذة الأفاضل هنا، ونعترف أن هذه التجربة لم تنجح كل النجاح لتحقق الأهداف التي سطرتها، لكن أعتقد أن من المهم أن توزع عليكم هذه الورقة، لأن الهدف الأساسي هو الرد المباشر على كل هذه الشبهات الموجهة إلى السنة المطهرة، فإذا ما توصلنا إلى إنشاء موسوعة للحديث الشريف محققة ومبوبة، وملائمة لمفردات العصر في التبويب، ومنهجية استخدام الحاسب الآلي لها، فإننا سنصل إلى ردود حاسمة على معظم المشكلات التي تواجهنا؛ فالموسوعة عددها ستة وثلاثون كتاباً، موجودة في هذه الورقة، وقد أقرتها اللجنة العلمية المشكلة، بجامعة الأزهر، من أكابر علماء الحديث في مصر، والبعض من غير مصر، وبالمناسبة أشير إلى أن الدكتور الأعظمي زارنا، وأخذت رأيه في هذا

العمل، ولا زلت أذكر أهم توصياته، التي هي الاهتمام بالمخطوطات إلى جانب الكتب التي أدخلت، وعددها الستة وثلاثون كتابا، التي وضعت الخطة على أساسها، وأدخلت في الحاسب أولاً، ثم بعد هذا تقوم اللجنة بالتحقيق، والتحقيق وضعنا له مراحل. المرحلة الأولى تحقيق إملائي ولغوي بشكل عام، والحقيقة وجدت عجبا، أنا لست متخصصاً في السنة، لأن الأخطاء الموجودة في متون الأحاديث وحواشيها كثيرة، واحتاجت إلى جهد كبير، وهو الذي نقوم به حتى الآن، فالذي أدخل منها حوالي ثلاثة وعشرون كتابا، والذي حقق أقل من هذا، وهذا تحقيق مبدئي، ويبقى التحقيق الفني الذي يجب أن يقوم به رجال من لجنة السنة، من مصر ومن خارج مصر، لأن مثل هذا العمل، كما أكد الكثير اليوم وبالأمس وقبل ذلك، لا يمكن أن تقوم به مؤسسة واحدة ولا فرد واحد، ولا بد أن تتكاتف الأمة على القيام به، واستكماله، بل إنني وضعت بعض المشكلات الفنية المتصلة بالحاسب، والتي صادفتنا في أثناء هذه المراحل، أمام حضراتكم في هذه الورقة، لعلنا نجد إجابة عليها. إذن التجربة تحتاج إلى التكملة، وأستطيع أن أقول: إن هذا المؤتمر الموقر أنتظر منه أن يتحملَ مسؤولية إتمام هذه الموسوعة التي تحتوي على الأحاديث الصحاح المحققة باستخدام الحاسب، وقد وضعت مفردات عديدة من قبل الفنيين لكي نصل إلى السند الصحيح، ولربط المتن بالسند، ولكي يجمع العلماء على المتن بعد ذلك... وهكذا مراحل عديدة موضوعة في هذه الورقة، والتي لم أرد أن أحضر كافة التفاصيل الخاصة بها، لكي يكون لنا عودة وعودة.

الحقيقة: من ميزات هذه الندوة أيضاً - ولا بد أن نذكرها بكل فخر، إذ أعمالنا، وندواتنا، تكون سريعة ومنقطعة، وليست دائمة ـ أنه أعلن من خلال هذه الندوة تدشين أمانة عامة للحديث، هذا يذكرنا جميعاً بما يجب علينا في هذه المرحلة. ففي عام ١٩٩٥م، صدر قرار من منظمة المؤتمر الإسلامي في دولة قطر، وقد أشار إليه البعض في هذا اليوم. هذا القرار يكلف الأزهر للاضطلاع باستضافة ندوة السنة، التي يجب أن تَتَبَع المؤتمر الإسلامي، وقد بذلنا، بعض الجهود في هذا الشأن. لكن لا بد أن

أصارحكم بأن هذه الجهود لا زالت متعثرة، وقد قمت بعدة اتصالات وقت أن كنت أدير هذا المشروع، الذي هو حصيلة فكر مصري سعودي؛ فاتصلنا بثلاثة مراكز: في قطر، وفي الأردن، في المدينة المنورة، وفي غيرها، لكن لم ينجح التنسيق بين هذه المراكز بسبب عدم وجود تقدم فعلي في العمل فيها من ناحية، وعدم وجود خطة واحدة تجمع بينها.

ودعوني أقول لكم، حتى لا أطيل في الكلمة: مشكلتنا في العالم الإسلامي الأولى هي مشكلة التشرذم؛ فكل يعمل على شاكلته، هذه الأعمال لن تنجز إطلاقاً بجهود منفردة، نختار جهة للتنسيق وتوزيع الأعمال خلال هاتين السنتين بين مختلف المراكز. والتساؤل المطروح ما هي جهة التنسيق؟ هل هي الأمانة التي ستنشأ هنا؟ أنا ضد إنشاء هيئات جديدة، مللنا من كثرة الهيئات التي لا تعمل شيئاً. نريد أن نبني أسساً قوية، ولا نريد مؤسسات ومنظمات جديدة.

وما أراه مناسبا هو أن تتابع هذه الأمانة بالتعاون مع اللجنة الموجودة بالأزهر، فهناك لجنة بالأزهر ولجنة بجامعة الأزهر، وكل واحدة تعمل بمفردها، وبالتعاون مع اللجنة الموجودة في المدينة المنورة، وفي أم القرى.

وأذكر مرة أخرى أنه إذا أردنا أن نصدر توصيات، مع احترامي لكل التوصيات التي صدرت فنحن نحتاج إلى ضرورة التنسيق بين مركز السنة في العالم الإسلامي، والأمانة التي تكون هنا، ومختلف لجان المؤسسات التي تتواجد بكثرة في عالمنا الإسلامي؛ إنه مطلوب التنسيق بينها وتوزيع الأعمال عليها؛ نوزع كتب الحديث وموضوعاته، ونأتي على كل ما كتب فيه، بالاعتماد على الستة والثلاثين كتابا، الموجودين بالأزهر ونتعاون معهم. وجامعة الأزهر سترحب بأي جهد يضاف، في هذا الشأن. وطبعاً جهد المؤسسات العلمية الكبيرة، مثل المؤتمر الإسلامي، أو الأزهر عندما يخرج للناس، ويتكاتف الجميع على إظهاره، أعتقد أنه سيلقى ترحيباً وقبولاً من الناس.

وأخيراً أشكر شكراً موصولاً لجميع من أسهموا في تنظيم هذه الندوة: مدير الكلية، وعميدها، وأيضاً الدكتور حمزة المليباري، وكذلك الشكر موصول لمعالي جمعة الماجد ـ حفظه الله تعالى ـ والذي أنشأ هذه الكلية، ويعمل على تنشيطها وإشعاع نورها في كل مكان، والمركز العظيم الذي أصبح رمز التقدم العلمي في منطقتنا حيث تجيء إليه ثمرات العقول والأفئدة من مخطوطات ومن كتب ومن مجلدات. أقول: إن هذا الرجل لَيستحق أن نشكره، وندعو له، ليثيب الله خيراً، وأن يجزيه عن الأمة خير الجزاء، وندعو الله أن يوفق الأمة الإسلامية في سبيل أن تبلغ رشدها، وأن تقوم بالمهمة السامية التي أنيطت بها. لقد نزل علينا الوحي ذات يوم لنعيد الإنسانية إلى رشدها، فكانت حضارة الإسلام، التي أنقذت العالم من ظلمات الضلال والجهل والفتن، وما أحوجنا اليوم إلى أن نتكاتف ونشحذ الهمم، ونشد على أيدينا، لكي نعيد حضارتنا وقوتنا.

وبالله التوفيق، وكل ندوة، وكل عام وحضارتكم بخير، ونلتقي في مناسبات علمية مقبلة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،





كلمة الختام .. نيابة عن اللجنة المنظمة للندوة
أ.د/ عيادة بن أيوب الكبيسي

الحمد لله الذي تكفل بحفظ الدين، وحماه من أعدائه الحاقدين، فاستمر شامخا بصفائه ونقائه على تباعد السنين، والصلاة والسلام على من بلغنا ذلك عن رب العالمين، حيث قال في كتابه الكريم: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1]، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه، وأنصاره وأحبابه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد :

فلا يخفى ما للحديث الشريف من منزلة في الدين الحنيف، فهو المصدر الثاني بعد القرآن الكريم، بل إن فهم كثير من آيات القرآن متوقف عليه، كما نص على ذلك القرآن نفسه، حيث يقول تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2]، ولذا كانت العناية به، والحفاظ عليه، من مقتضيات الإيمان بالدين، الأمر الذي جعل علماء الأمة يسهرون الليالي الطوال، ويقطعون شاسع المسافات، ويصرفون نفائس الأوقات، من أجل جمعه وضبطه ونقد أسانيده ومتونه، بقواعد دقيقة، وجهود جبارة لا نظير لها في دنيا الناس من قديم أو حديث، حتى بلّغوه

---

(١) سورة الحجر، آية: ٩.

(٢) سورة النحل، آية: ٤٤.

إلى من بعدهم كما سمعوه، ومن ثم فازوا بنضارة الوجوه، تلك دعوة رسول الله ﷺ إذ يقول: «**نضر الله امرأ سمع منا شيئاً فبلغه كما سمع**»[1].

ولمكانة الحديث هذه، سهر أعداء الله - أيضاً -، وبذلوا ما يستطيعون من وقت ومال، متفننين في حربه، ومثيرين الشبهات المتنوعة حوله، تلك الشبهات التي أخذت بعدا شاسعا، تضافرت جهود أعداء الدين على صياغتها ونشرها، من مستشرقين ومستغربين، بل وحتى من أبناء جلدتنا، ممن يتكلمون بألسنتنا، ويتسمون بأسمائنا!! ممن كانت لهم جرأة على خوض مجال البحث والتأويل والفهم، واقتحام ميدان التصحيح والتضعيف، والقبول والرد من غير ما أهلية ولا استعداد، فزيفوا الحقائق، وتلاعبوا بالنصوص، وهدموا الثوابت، وخرقوا الإجماع، ومن أخطر ما أفرزته هذه الجرأة التشكيك بالحديث النبوي الشريف وعدم الوثوق به، ومن ثم لم يعدوه مصدرا من مصادر الدين الحنيف!!

غير أن الله تعالى الذي تكفل بحفظ القرآن، لم يهمل ما يفهم به القرآن، فتكفل سبحانه بحفظ السنة، وقيض لها من رجال العلم، وجهابذة النقاد، وصيارفة الحديث، من تصدوا لتلك الشبهات بالدحض والتفنيد، حتى تهاوت شبهة بعد شبهة، وبقيت السنة النبوية بحمد الله تعالى صافية نقية من كل ما يشوبها، يتناقلها رجال الحديث جيلا إثر جيل.

وإن من نصر الله تعالى للدين، وحفظه لسنة سيد المرسلين ﷺ،

---

(١) أخرجه الترمذي من حديث ابن مسعود - رضي الله تعالى عنه - وقال: هذا حديث حسن صحيح ٥/ ٣٤، وله ألفاظ مختلفة، أشرنا إلى مواضعها في كتب الحديث في كتابنا: (الأربعون المنيرة) ص ٢١ هامش ١. وقد قام بدراستها الشيخ الأستاذ عبد المحسن بن محمد العباد، وذكر أنه متواتر عن رسول الله ﷺ، وقد رواه عنه أربعة وعشرون صحابيا. انظر دراسة حديث: (نضر الله امرأ سمع مقالتي) - رواية ودراية ص٢٢٧.

قيام هذه الندوة المباركة في رحاب هذه الكلية العامرة (كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي)، تلك الندوة التي سارت في خط الدفاع عن الحديث الشريف، تتبوأ مكانها ضمن سلسلة أنصار السنة وحماتها عبر القرون، مواكبة لما يجري في عصرنا من تحديات، وما يثار من شكوك وشبهات، فكانت بعنوان : (الحديث الشريف وتحديات العصر).

ومن حفظ الله تعالى للسنة ـ أيضاً ـ أن هب علماء الأمة وأساتذة الجامعات، في شرق الأرض وغربها في عالمنا الإسلامي الكبير، ملبين النداء، ومغتنمين الفرص، من أجل الإسهام في خدمة سنة الحبيب المصطفى ﷺ، من على هذا المنبر الأغر، فهنيئا لهم قربهم من رسول الله ﷺ غدا إن شاء الله، فقد صحبوه ﷺ بكثرة ما يلهجون بذكره، وبما يذبون عن سنته، وينافحون عن شريعته ﷺ، وقد أحسن من قال:

أهل الحديث همُ صحب النبي فإن لم يصحبوا نفسه، أنفاسه صحبوا

فقد وصلت إلى الندوة بحوث متنوعة كثيرة، تناولت جوانب متعددة في الدفاع عن السنة المطهرة، وعرض المشكلات والتحديات التي تواجهها، وبيان أسبابها ودوافعها، والاجتهاد في وضع الحلول المناسبة لها، وقد تم اختيار (أكثر من خمسة وعشرين) بحثا منها، أجيزت حسب التقارير العلمية المقدمة من قبل لجنة التحكيم الموقرة، وفق المعايير العلمية المتبعة بهذا الخصوص.

وبعد أن مرت أعمال الندوة بسلام، وفاح علينا من شذاها مسك الختام، لا يسعني إلا أن أتقدم باسم اللجنة المنظمة للندوة خاصة، وباسم كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي عامة، بالشكر الجزيل والدعاء الصالح لمعالي أبي خالد السيد جمعة الماجد، لما قدم ويقدم من دعم مالي سخي لهذا الصرح العلمي الشامخ، حتى يبلغ البنيان تمامه ـ بإذن الله تعالى ـ على أحسن الوجوه وأكملها، فهنيئا له بفضل الله تعالى عليه ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ

مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾[1].

ولا يفوتني ـ أيضاً ـ أن أشيد بجهود مدير الكلية وعميدها، وأنوه بدعمهما هذا المشروع المبارك، الذي يرجى له بإذن الله تعالى وتوفيقه الديمومة والاستمرار.

وأختم بالذكر الجميل للأخ الفاضل الأستاذ الدكتور حمزة المليباري ـ رئيس اللجنة ـ، فقد بذل جهودا مضنية لإنجاح هذه الندوة، لا تقل عن الجهود التي بذلها في إنجاح الندوة الأولى، ولا غرو فهو ابن بلاد حملت لواء نشر الحديث الشريف ونصرته، في زمن تقاعس فيه كثير ممن جاء الحديث بلسانهم !!

وأما أعضاء اللجنة المنظمة وهم الأساتذة الفضلاء (الدكتور محمد القرشي والدكتور أبشر عوض والدكتور قاسم سعد ومعهم كاتب هذه السطور عيادة بن أيوب الكبيسي)، فقد كان لهم دور لا ينكر في القضايا العلمية المتعلقة بالندوة، وتعاون مستمر مع رئيس اللجنة، فأجزل الله مثوبتهم، وبارك في سعيهم.

ولا ننسى أن نذكر بهذا الشكر والدعاء زملاءنا رؤساء اللجان المتنوعة وأعضاءها فقد سهروا وثابروا وجدوا واجتهدوا من غير كلل ولا ملل في تيسير أعمال الندوة وفق ما رسم لها، ونذكر ـ أيضاً ـ إخواننا الطلاب وأخواتنا الطالبات الذين تابعوا جلسات الندوة، وكانوا على صلة وقرب من العلم وأهله.

ولنختم بما جاء عن خير الأنام ﷺ حيث قال: «**من لم يشكر الناس لم يشكر الله**»[2]، فنتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من ساهم في دعم هذه

---

(١) سورة الحديد، آية: ٢١.

(٢) أخرجه الترمذي برقم ١٩٥٥ في كتاب البر والصلة باب ٣٥ وقال: هذا حديث حسن صحيح ٤/٢٩٩.

الندوة من شركات وبنوك ومطابع ومؤسسات، ووسائل إعلام من صحف ومجلات وقنوات وإذاعات، فلهم أجرهم عند ربهم، والله غني عن أسمائهم.

وإذا كان أبلغ الثناء أن يقال لصانع المعروف: (جزاك الله خيرا)[1]، فلنمد أكف الضراعة إلى الله الكريم المتعال، مجيب السؤال عظيم النوال، فنقول: اللهم اجز الجميع خير الجزاء، على ما قدموا في خدمة سنة نبيك المصطفى وحبيبك المجتبى محمد بن عبدالله، الرحمة المهداة ﷺ، مَن لم يجد الزمان بمثله ولن يجود.

لقد عقمت أم الزمان فلم تلد ... ولن تلد الأيام مثل محمد ﷺ

فاللَّهم إنا نسألك أن تنظمنا في سلك حماة سنة نبيك ﷺ، وأن تحشرنا في زمرة المنتصرين لها والمدافعين عنها، تحت لواء حبيبنا الأعظم، ورسولنا المكرم، سيدنا محمد ﷺ، بفضلك وجودك وكرمك آمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



---

(١) أخرجه الترمذي برقم ٢٠٣٥ في كتاب البر والصلة باب ٨٧ بلفظ: (من صنع إليه معروف فقال لفاعله: جزاك الله خيرا فقد أبلغ في الثناء)، وقال: هذا حديث حسن جيد غريب، لا نعرفه إلا من حديث أسامة بن زيد إلا من هذا الوجه، وقد روي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بمثله، وسألت محمدا فلم يعرفه ٣٣٣/٤.



كلمة الختام

أ.د. يوسف غِيوَة

عميد كلية الدراسات الإسلامية والعربية، دبي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين وعلى آله الطاهرين وصحابته الطيبين، وبعد،،

سادتي العلماء، زميلاتي زملائي،،

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مما يشرف المرء به هذه المقامات التي يقف فيها بين أيدي العلماء الأجلاء ـ ورثة الأنبياء عليهم السلام - على ما لها من هيبة ووقع في النفس، من ثم لم نكن نعجب من رد عبدالملك بن مروان على من قال له: لقد عجل عليك الشيب يا أمير المؤمنين. كيف لا وأنا أعرض عقلي على الناس في كل جمعة مرتين.

على الرغم من ذلك أجدني أقف بين أيديكم الكريمة وفيكم الأستاذ القدوة، وفيكم الأخ الزميل، لأعبر لكم عما يختلج في النفس وما يعمر الفؤاد، وأصدقكم القول إن شعورا يعتريني في هذا المقام، فياضا بالسعادة المفعمة بالاعتزاز، سعادة الساعي إلى الخير، المجتهد في سبيله، الذي يرى ثمارا يانعة تعقب الزرع، ونجاحا يخرج من رحم البذل الصادق، والجهد المخلص، إنه زرع أبناء هذه الكلية من إخوانكم يؤمهم سعادة مدير الكلية الذي كان خير عون للقائمين على تحضير هذا الحدث المبارك، والذي عهدناه متطلعا إلى آفاق التحديث والتطوير. يدفعهم معالي رئيس مجلس

الأمناء جمعة الماجد مؤسس هذه الكلية وراعيها، الذي أبدى من الإصرار على بلوغ الغايات، ومن الحنو علينا ما جعل الصعاب تذلل والعقبات تقتحم، وبذل في سخاء ما جعلنا نمضي قدما في السعي إلى اللقاء بكم معشر العلماء، في رحاب هذه الكلية لتتعانق الأفكار، وتتواصل العزائم، وتتآزر الهمم. فيغمرنا هذا الفيض من نفحات السنة الشريفة، ويروينا هذا الغيث من المعرفة، فكان بتوفيق من الله جل وعلا هذا الحفل الكريم.

إن ما حققتموه معشر العلماء من إنجاز عظيم في هذه الندوة العلمية بتوفيق من المولى عز وجل، وما قدمتموه من بذل سخي وأفكار نيرة في مجال الحديث الشريف وعلومه، يرفع مؤسستنا الأكاديمية درجات، ويجعلها تطمح إلى تحقيق إنجازات أعظم، وتتطلع إلى التحليق في فضاءات أسمى.

إن ما تحقق اليوم في كلية الدراسات الإسلامية والعربية ـ بفضل جهودكم الطيبة ـ بعد الفتح الذي أنعم الله به عليها بالأمس حين جعلها في صدارة المؤسسات الأكاديمية بالدولة، وذلك بالمن عليها بفتح برنامج الدكتوراه بها، لتكون أول مؤسسة أكاديمية تشرف بذلك في دولة الإمارات العربية المتحدة، إن هذا وذاك يجعلنا في كلية الدراسات الإسلامية والعربية نشعر بهذه السعادة العامرة وذاك الاعتزاز الذي يزيدنا يقينا بأننا نمضي في الطريق الصحيح، ويقوي من عزيمتنا، ويضاعف من طموحنا، فنبذل أكثر ونمضي بخطى أوثق، شاخصة أبصارنا إلى غاياتنا، مطمئنة أفئدتنا إلى مساعينا، بعيدا عن الغرور والزهو، سلاحنا الرغبة في التعلم والتطور، ووسيلتنا البحث والحوار، وتقبّل النصح والمشورة، يحذونا الأمل في الارتقاء بهذا الصرح العلمي إلى أسمى الدرجات.

لقد قصدت إلى الحديث عن مشاعرنا وآمالنا، ولم أشأ التطفل عليكم معشر علماء الحديث فأقحم نفسي في أمر أفنيتم الأعمار في البحث فيه، وتحصيل معارفه، فأنتم أهله وحماته، وخير من يتحدث فيه، وينافح عنه، وليس بعد ما تفضلتم به من مداخلات ونقاشات حول الحديث الشريف وعلومه، على مدى الأيام الثلاثة التي فضتم علينا فيها بفيض معارفكم ما يقال في هذا الشأن ومن ثم فإن كان لجهد المقل أن يضاف فكلمة موجزة

حول حقل البحث العلمي، ذاك المجال الحيوي الذي لم يعد لأمة من الأمم أن تنهض بمنأى عنه، لذا أصبحنا نرى الأمم على اختلاف مقاصدها، وتفاوت قدراتها تبذل فيه الجهد، وتنفق عليه المال، وتدفع إليه أبناءها دفعا.

والغريب في الأمر أننا ونحن أمة الإيمان والعلم والعمل، دفع بنا تقاعسنا عن مبادئ ديننا إلى ذيل الأمم، بعد أن كنا الأنوف، وبعد أن سطعت شمس حضارتنا تحت راية «الله أكبر» على مشارق الأرض ومغاربها بفضل نجوم حركتنا العلمية، وصرنا نتلقى بعد أن كنا المبدعين في زمن ترتفع فيه درجة حمى المنافسة بين الأمم في الشرق (اليابان، الصين، الهند، كوريا) والغرب (أوربا، وأمريكا). وها هي أوربا، تخصص ما يفوق ٤٪ من ناتجها القومي للبحث العلمي (نصفها من القطاع الخاص)، الذي يعمل في حقله عشرات الملايين، فكم يا ترى نخصص في أقطارنا العربية والإسلامية من موارد مادية وبشرية لهذا المجال؟ إن الأرقام مخجلة والحقيقة مفجعة، ٠٠٥٪ من ناتجنا القومي تخصص لهذا المجال منها ٥٪ من القطاع الخاص!!.

إن هذا الأمر يقع على كواهل علمائنا بقدر ما يقع على كواهل ولاة أمورنا وحملة أموالنا، وإن الصحوة التي ننشدها منذ قرنين لن يكون لها أثر فعال إلا إذا شمرنا عن سواعدنا، وخضنا غمار هذا المجال، وأنزلناه المكانة التي هو أهل لها في عقولنا وأموالنا ومناهج تصريف شؤوننا فمؤسساتنا العلمية المجذبة تستغيث وتستقي ولاة أمورنا قطرات من النفقات الضرورية لإحياء ما أماته سوء تدبيرنا، وأخمد ناره انحرافنا عن مبادئ ديننا، وتخاذلنا عن حمل أمانة نبينا صلى الله عليه وسلم على مر قرون عديدة.

وإننا في كلية الدراسات الإسلامية والعربية نتطلع إلى مكانة للبحث العلمي في انشغالاتنا، ونعقد العزم على مضاعفة جهودنا في مجاله بإقامة المؤتمرات العلمية ـ إضافة إلى ندوة الحديث التي أصبحت مكسبا ثمينا ـ وتنظيم الندوات والمحاضرات، وتطوير سبل الحصول على المعرفة، وتنويع

مصادرها، وتنمية الدراسات العليا بها، ويراودنا الأمل أن نحصي طلاب هذه المرحلة بالمئات. فالله نسأل التوفيق والسداد.

معشر العلماء، زميلاتي، زملائي!

لا يسعني في ختام كلمتي، إلا أن أعبر لضيوفنا الكرام عن أسمى آيات التقدير والاحترام، وأعظم مشاعر الامتنان والعرفان، على ما تكبدوه من مشاق السفر، وتحملوه من عناء البحث والسهر، ليكون هذا الحدث الهام في مسيرة هذه الكلية، ولننعم بفرحة اللقاء. ونطرب بمتعة التعلم فجازاكم الله خيرا، ونفع بكم الأمة، وجعلكم لها ذخرا.

ولإخواني القائمين على تحضير هذا الحدث وتنظيمه، أزف إليهم عبارات التهنئة بالإنجاز الموفق وأهدي إلهم أمنياتي بالمزيد من الانتصارات والإنجازات، وإلى القائمين على الكلية أقول إن خير الجزاء عند الله جل وعلا. أملي أن نحظى بلقائكم جميعا في مناسبات علمية قادمة.

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾.

والسلام عليكم ورحمة الله.





الملحق الأول في البحوث المرسلة إلى الندوة:

- **الحديث الشريف وأهميته في مواجهة تحديات العصر ومكانته في حياة المسلمين ومساهمة علماء الهند فيه:**

فضيلة الشيخ محمد الرابع الحسني.

- **قضايا في طريق دراسات الحديث الشريف والسنة النبوية:**

أ.د. فاروق حمادة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط.

- **أحاديث الفتن بين الفقه الصحيح والتأويلات الخاطئة في دراسات المعاصرين:**

د. أبو بكر كافي، جامعة الأمير عبدالقادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر.

الملحق الثاني:

- **في كشاف موضوعات كتاب الندوة الأولى: علوم الحديث ـ واقع وآفاق ـ.**

إعداد: د. صبري أبو حسين، كلية الدراسات الإسلامية والعربية، دبي.

الفهرس.

الحديث الشريف وأهميته
في مواجهة تحديات العصر
ومكانته في حياة المسلمين
ومساهمة علماء الهند فيه

بقلم: السيد محمد الرابع الحسني الندوي
رئيس جامعة ندوة العلماء لكنؤ ـ الهند



بسم الله الرحمن الرحيم

إن حياة المسلم الملتزمة بمبادئ دينه مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بكتاب الله تعالى وتوجيهات رسوله الكريم ﷺ، وهذه التوجيهات تأتي من التراث القولي والعملي الذي بقي محفوظاً بأمانة ودقة في كتب الحديث الشريف الذي دوّنه وحفظه أئمة الدين الإسلامي الثقات، واشتمل على جوانب حياة الرسول ﷺ المتنوعة، فقد عاش الرسول ﷺ في أحواله المختلفة مما يمر من خلالها أكثر الناس في حياتهم البشرية، وكان مطبقاً لما ورد في كتاب الله تعالى من هداية وتزكية، وما كان ينزل عليه من وحي ربه رب العالمين، وجعله الله تعالى أسوة للعبدالمؤمن المطيع لربه، وأمر المسلمين جميعاً أن يتخذوه أسوة لهم وقدوة في أحوال حياتهم فإنه لا تصلح حياة المؤمن إلا بالتزامه بهذه الأسوة الكريمة قولاً كان أو عملاً، فقد ورد في كلام الله تعالى عنه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[1]، وقد جاء أيضاً: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾[2].

وإن كلام الله تعالى في كتابه هو وحي متلو. أما قول رسول الله ﷺ الذي ورد في حديثه فهو بمثابة وحي أيضاً، ولكن غير متلو، وكلا الكلامين يضع لنا قانوناً شاملاً لحياة المسلم، ولقد ضمن الله تعالى بحفظ كلامه جل

---

(١) الأحزاب: ٢١.

(٢) النجم: ٣ - ٤.

وعلا، وذلك بقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾[1]. وضمان الله تعالى بحفظ كتابه هو في الأصل ضمان لحفظ دينه الذي أكمله الله تعالى على نبيه الأخير محمد ﷺ، فأصبحت مبادئ هذا الدين ثابتة مقررة، وأصبح الدين بذلك كاملاً لا يتغير، وباقياً إلى يوم القيامة للعمل به، حينما نجد أن الأديان الأخرى التي جاءت قبل الإسلام قد تغيرت، لأن الكتب التي جاءت معها تغيرت بسبب عدم اعتناء حملتها بها بعد حياة أنبيائها. وإذا كان الدين الإسلامي يأخذ مبادئه من كتاب الله تعالى فإنه يأخذ التفصيل والإيضاح من سنة رسوله ﷺ، وإرشاداته الموضحة، فتقرر أن الذي جاء في كتاب الله تعالى، والذي جاء في حديث رسول الله ﷺ كلاهما ينيران طريق الهداية والإرشاد في مجالات الدين، ويؤديان غرضاً أساسياً في تبيين سمات الحياة الإسلامية الرشيدة، وترشيد العمل الديني، كما أنهما يحيطان بأطراف حياة المسلم في كل زمان ومكان، والحديث الشريف بسعته ووفرة مادته يؤدي ما تقتضيه حياة المسلم من ترشيدها واستقامتها في أدوار الزمن المختلفة، وحالات الإنسان المتنوعة، وبذلك يستطيع الكلام النبوي الشريف أن يقبل التحديات المختلفة لتطور الزمان وتنوع أحوال الإنسان، فإنه ليس أمراً قديماً يركد ركود الماء الآسن، وليس أمراً جديداً جدة تزيله عن أسسه ومبادئه القويمة، وهي التي قررها كتاب الله تعالى وأوضحها وأكد على ثباتها حديث رسوله الصادق الأمين ﷺ.

والدين الإسلامي دين اختلف عن الأديان السماوية الأخرى، وذلك من جهتين: أولاهما أنه يحيط بجميع جوانب الحياة الإنسانية وأحوالها فردية كانت أو اجتماعية مثل ما هي خاصة بالفرد الإنساني يقوم به في إطار ذاته وأعماله لنفسه، ومثل ما هي عامة يقوم به مع الناس من معاملات سلوكية واجتماعية. أما الجهة الأخرى من اختلافه عن الأديان الأخرى فهو أنه دين اكتمل وتم فلم يعد يقتضي في شأنه إلى أي تغيير أو تبديل. أما بالنسبة إلى

(١) الحجر: ٩.

الجهة الأولى وهي إحاطته الشاملة لكافة أحوال الحياة الإنسانية فهو يتضمن لتعليمات وأحكام دقيقة وجليلة كلتيهما، حتى تعجب بعض أهل الأديان الأخرى على هذه الإحاطة الواسعة لأنحاء الحياة في الإسلام، فقد قال بعض المشركين لسلمان الفارسي رضي الله عنه **قد علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة، قال سلمان: أجل، نهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول، أو أن نستنجي باليمين، أو أن يستنجي أحدنا بأقل من ثلاثة أحجار، أو أن نستنجي برجيع أو بعظم**[1].

فإن الإسلام يحيط بجوانب مختلفة من حياتنا، ويدلنا على أحسن طريق في أحوالنا الفردية والعائلية والاجتماعية، وأوفقها لحاجاتنا الاجتماعية والمدنية، وجاءت تعليمات وتوجيهات واضحة في حديث الرسول ﷺ، وأمرنا الله تعالى باتباعه، فقد ورد في القرآن الكريم: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾[2]. وورد ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[3]، وذلك لأن القرآن الكريم كتاب دعوة وهداية وتزكية كذلك، وليس كتاب قانون وحده حتى يقصر بيانه بأجزاء الأحكام الإسلامية وحدها، ولو جمع القرآن جميع قوانين الحياة مما يكون المطلوب منها العمل بها في الحياة لأصبح ضخماً جداً ومقصوراً في نطاق الشؤون القانونية وحدها، كما تكون كتب القوانين، فإن أمره ليس هكذا، ولذلك اكتفى القرآن الكريم ببيان المهمات والدعائم لقوانين الحياة الإسلامية، وتناول جوانب أخرى مما هو المطلوب من القرآن الكريم، ألا ترى أنه جاء عن عبادة الصلاة: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾[4]، وقرر الرسول ﷺ وحدد الصلوات الخمس وأوقاتها، وهي تندرج كلها في ما بعد دلوك الشمس إلى غسق الليل

---

(١) مسلم ٥٧ - (٢٦٢)، أبو داود كتاب الطهارة (٧)، الترمذي كتاب الطهارة (١٦)، ابن ماجه (٣١٦) واللفظ للترمذي.

(٢) الأحزاب: ٢١.

(٣) سورة الحشر: ٧.

(٤) الإسراء: ٨٧.

وقرآن الفجر، ولكن الرسول ﷺ تلقى هذه التحديدات مما أوحي إليه في الإسراء، وعن طريق رسول الله إليه جبريل عليه السلام. وكذلك التحديدات في نصاب الزكاة وبيان كيفية العمل في الصيام والزكاة والحج.

وبذلك احتاج المسلمون إلى التوجيهات الصادرة من الرسول ﷺ، سواء كانت قولية أو عملية أو تقريرية، وبناءاً على ذلك يتقرر لهذه التوجيهات أنها عمود أساسي واسع للدين الإسلامي. ولما أراد الله تعالى أن يبقى هذا الدين إلى آخر الزمان وقد اكتمل وتم، قرر له كلام الرسول ﷺ وتوجيهاته، ولما قرر لهذا الدين أن يبقى بكماله وتمامه بدون نقص وتحوير، قدر لصيانته وشرح أحكامه وإرشاداته أئمة أعلاماً في معرفة أحاديث الرسول ﷺ محققين مخلصين أمناء ليصونوه عن عبث عابث فيه، وحفظه وصيانته عن المحتالين لتغييره وطمسه، وقد أدى هؤلاء الأئمة الأعلام عملاً جليلاً ببحث وتنقيح شديدين بأمانة كاملة، وأوضحوا ما هو صحيح نقي منها، وما تعرض منه لشئ لا يوثق به كل الثقة، فحفظوا بذلك أحكام الدين التي علّمنا رسول الله ﷺ عن طريق صحابته رضي الله عنهم، وذلك بقوله في حجة الوداع «**بلغوا عني ولو آية**»[1]، وقال أيضاً: «**نضّر الله امرءاً سمع منا شيئاً فبلّغه كما سمعه، فرب مبلغ أوعى من سامع**»[2]، وقال في شأن أخذ الاحتياط في تبليغ أحاديثه إلى الآخرين «**من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار**»[3]، ولذلك نرى أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يخافون أشد خوف من أن يتحدثوا عن رسول الله صلى الله عليه إلا بعد ما كانوا يثقون كل ثقة بأن القول هو قول رسول الله ﷺ بدون شك.

وبذلك أصبحت حياة المسلم مستندة ومؤيدة بالأحكام الدينية المنبثقة

---

(١) صحيح البخاري كتاب أحاديث الأنبياء (٣٤٦١) والترمذي (٢٦٦٩).

(٢) الترمذي: أبواب العلم (٢٦٥٧) والبخاري (١٧٤١) وابن ماجه (٢٣٣) واللفظ للترمذي.

(٣) هو حديث متواتر رواه مسلم عن أنس رقم الحديث (٢) وعن أبي هريرة رقم الحديث (٣) وعن المغيرة بن شعبة رقم الحديث (٤)، ورواه أحمد عن الزبير بن العوام رقم الحديث (١٤١٣).

من كتاب الله تعالى وحديث رسوله العظيم ﷺ، قام بإسنادها وتأييدها صحابة الرسول ﷺ، ثم ما تلاهم وتبعهم من علماء الأمة الإسلامية الأعلام الأمناء المخلصون، وكان عملهم أوسع مجالاً وأكثر تفصيلاً وإيضاحاً. لقد أدى الرعيل الأول منهم مسئوليته في نقل ذلك إلى القادمين، ولم يقع كل ذلك بصورة هينة غير مضبوطة، بل إنما وقع بسعي بليغ ودقة وأمانة شديدتين في النقل والإبلاغ، وبذلك قدر الله تعالى لهذا الدين الذي أوجبه على البشر السلامة من أي تبديل أو تحوير، والبقاء للناس إلى آخر الزمان للعمل به، ولما قرر الله تعالى ذلك هيأ له الأسباب المطلوبة، كما قرر في أحكام هذا الدين ما يحل مشكلات ناجمة في حياة البشر بحكم تطور الحياة وتغير الأحوال لئلا يبرز سؤال كيف نعمل بسبب عدم وضوح في ظاهر حكم إسلامي عند تغير الأحوال.

وقد رأينا وقد مضت على بزوغ شمس الإسلام أكثر من أربعة عشر قرناً أن أحكام الدين الإسلامي لم تعجز في أي حال من أحوال الحياة المتطورة والمتجددة رغم أن هذا الدين قد تقرر في عهده الأول عندما كانت الأمة تعيش في البادية وبعيدة عن التعليم والكتب، وكان رسول الله ﷺ الذي نزل عليه القرآن، ووقعت عليه مسئولية تبليغ الدين وإيضاحه لم يتلق علماً إلا بالقرآن وحده، النازل إليه من عند ربه، وقام رسول الله ﷺ على أساس الوحي من الله بتوسيع عمله الدعوي والتربوي، واتسع نجاحه وفتوحه حتى وصل الإسلام إلى بلدان كانت قد قطعت أشواطاً في العلم والمدنية والسياسة والاقتصاد، وغلب على هذه المدنيات، فوقع لها تحد كبير منها، ولكن لم يعجز نظام الإسلام في أي جانب من جوانب الحياة العالمية الواسعة من تحقيق متطلباتها، لإخراج الناس من أحوال الفساد والخلاعة، وإعطائهم بديلاً حسناً ذا رقي وعلم وتمدن، وذلك عن طريق أولئك الرجال الذين عكفوا على دراسة كتاب الله وسنة نبيه العظيم، فحينما نستعرض ما شرحه واستنبطه علماء الإسلام، وقد احتكوا واتصلوا بالحضارات المجاورة والعلوم الواسعة التي عالجها علماء تلك البلدان المتمدنة المجاورة، نجد ما قاموا به أضخم وأوسع عمل، فقد التقطوا من القرآن والحديث حلاً لكل ما

تتطلبه الحياة الراقية المتشعبة الجوانب من الحل، وبه قامت حضارة إسلامية راقية أمام حضارة سائدة لدى الأمم الأخرى، وبذلك قامت أمام مدنيات سائدة مدنية إسلامية عملاقة، وكانت مدنية الإسلام تابعة للأسس الأصيلة التي وضعها كتاب الله، وشرحتها وأوضحتها سنة رسوله ﷺ.

ولما كان الإسلام قد قبل التحدي العظيم في بداية عهده، وكان تحدياً عظيماً بناءً على الفرق الواسع بين العجم الراقي بمدنياتهم وبين العرب الأميين، وأعطى الإسلام الحل المقنع عند مخالطة المسلمين البدويين السذج بحضارات طبخت في قرون زاهرة لليونان والرومان والساسان والهند، ولم يعجز عن مواجهة تحديات ذلك العهد، بل قام على توجيهات رسوله الأمين وتوجيهاته المرشدة عن طريق أحاديثه ﷺ، وقام بترشيد الحياة وترسيخ قواعد الحياة الإنسانية الربانية الخالدة، فلما كان الإسلام لم يعجز في ذلك العهد الغني بالثقافات الزاهرة وأطوار الحياة المتنوعة فكيف يعجز في هذا العهد الحضاري الجديد الذي أصبح مسلحاً بأدوات الدمار الشامل، وحاملاً لأسباب تذويب للقيم الإنسانية الرفيعة، بل إنما يصبح الحديث الشريف أكبر ذريعة لحل أزمات الحياة الراهنة، وأجدى دواء لشفاء الإنسان من الأوضار التي أوقعته فيها المدنية الغربية الراهنة.

ولقد شمل حديث الرسول ﷺ كل أنحاء الحياة الإنسانية، وحمل هداية الإنسان إلى ما هو أصوب وأليق بإنسانيته، ولقد وجدنا في تاريخ الأديان أن النطاق الديني فيها يبقى محدوداً بصورة عامة، قاصراً بالعقيدة والعبادة وحدهما، ولا تهتم هذه الأديان اهتماماً بغيرهما من السداد والصواب في كافة جوانب السيرة ومناهج الحياة، ولكن الدين الإسلامي جاء أشمل وأجمع لكافة الأنحاء، وهو منبثق من كتاب الله تعالى المنزل على آخر رسله ﷺ، ومفصل تفصيلاً شاملاً وجامعاً عن طريق حديث رسول الله ﷺ، ومنهج السيرة الأقوم هو هدف هذا الدين. ونجد الحديث شاملاً لهذا المنهج الكريم في جميع أنحاء الحياة الإنسانية، ويدل عليه التنوع الذي حمله الحديث الشريف في إرشاد الناس، ومثال ذلك ما جاء في حديث لرسول الله ﷺ أن رجلاً من الأنصار أتى النبي ﷺ يسأله، فقال:

أما في بيتك شئ؟ قال: بلى، حلس نلبس بعضه ونبسط بعضه، وقعب نشرب فيه من الماء، قال: ائتني بهما، قال: فأتاه بهما، فأخذهما رسول الله ﷺ بيده وقال: من يشتري هذين؟ قال رجل: أنا آخذهما بدرهم، قال: من يزيد على درهم؟ مرتين أو ثلاثاً، قال رجل: أنا آخذهما بدرهمين، فأعطاهما إياه، وأخذ الدرهمين فأعطاهما الأنصاري وقال: اشتر بأحدهما طعاماً فانبذه إلى أهلك، واشتر بالآخر قدوماً فأتني به، فأتاه به، فشد فيه رسول الله ﷺ عوداً بيده، ثم قال له: اذهب فاحتطب وبع، ولا أرينك خمسة عشر يوماً، فذهب الرجل يحتطب ويبيع، فجاء وقد أصاب عشرة دراهم، فاشترى ببعضها ثوباً، وببعضها طعاماً، فقال رسول الله ﷺ: هذا خير لك من أن تجيئ المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة، إن المسألة لا تصلح إلا لثلاثة لذي فقر مدقع، أو لذي غرم مفظع، أو لذي دم موجع[1]. وبذلك دل على أن المسلم يجب عليه أن لا يكون عائلاً على غيره فيتكفف أمام الناس، بل عليه أن يسعى ويجتهد للكسب بطرق حاصلة له، وحمل هذا الحديث موعظة وإرشاداً إلى اختيار حياة الشرف والكرامة، وإلى اختيار وسائل الوصول إليها. كما دل على جواز هذا النوع من البيع.

ولقد شرح رسول الله ﷺ أمر التوكل على الله بأنه ليس انقطاعاً عن اختيار الوسائل اللائقة في شأن ما يفيده الإنسان، فقد قال لحفظ الإبل من الضياع والهروب (اعقلها وتوكل)[2] يعني يجب أولاً أن يختار المسلم الوسائل المجدية لحفظ الشئ ثم يتوكل على الله أن لا يضيع جهده.

وكذلك نرى أن رسول الله ﷺ قد أوصى بأمور لم يهتد أهل الفكر والقيادة إليها إلا بعده بزمن طويل، ومن ذلك أنه أمر بالمساواة الإنسانية التي كان الناس يهدرونها بصورة شاملة، فقد قرر أن كل فرد من أفراد الإنسان مساو لفرد آخر، فلا يجوز الفرق بين إنسان وإنسان، ولا بين

---

(١) سنن أبي داود (١٦٤١).

(٢) أخرجه ابن حبان، رقم الحديث (٧٣١)، وأخرجه الحاكم في المستدرك ج٣ ص ٧٢٢، رقم الحديث (٦٦١٦/٢٢١٤).

أسود وأبيض، ولا بين غني وفقير، ولا بين أمير وعامي، إلا إذا كان أكثر من غيره في أعمال الخير، فقد قال: «**ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى**»[1]، مع أنه كان من أشرف قبيلة في العرب، وكان العرب يرون في فروق النسب شرفاً وذلة، ومع ذلك قام بنفي ذلك، وكان يساوي بين شريف عربي وبين أسود حبشي. وأما الآخرون من أبناء الأمم الأخرى فقد استمروا على تقسيم الناس بين شريف ووضيع على أساس اللون والوطن والنسب إلى القرون الأخيرة، ولم يتشجع أصحاب القيادة والفكر منهم على قبول مبدأ المساواة إلا أخيراً جداً، وذلك على مبدأ أعلن به رسول الله ﷺ قبل أربعة عشر قرناً، وجرى المسلمون عليه، فكم من ملوك وسلاطين في الإسلام كانوا أرقاء عبيداً حررهم سادتهم، ووصل عدد منهم إلى الملوكية والحكم، وقبلهم المسلمون، نالوا نفس الاحترام الذي كان يناله سادتهم في مناصب سيادتهم.

وكذلك أمر رسول الله ﷺ المسلمين بالإحسان إلى الأرقاء وهم الذين كان يلحقهم الرق عند هزيمتهم في الحروب ووقوعهم في الأسر، وكان ذلك عادة متبعة لدى الجميع، فقرر رسول الله ﷺ أسباباً عديدة لتحررهم من الرق، وجعل تحررهم ذريعة للفضيلة الدينية ينال صاحبها عليها أجراً من الله تعالى، فقال ﷺ: «**من أعتق رقبة مسلمة كانت فكاكه من النار عضواً بعضو**»[2] وأمر للأرقاء ماداموا لم يتحرروا من الرق بالإحسان إليهم، وهذا الخير الإنساني لم يحصل لغير المسلمين في العالم إلا قبل يومنا هذا بقليل.

وكذلك أوصى رسول الله ﷺ بالنساء خيراً، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**استوصوا بالنساء، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن**

---

(١) رواه أحمد، رقم الحديث (٢٣٤٨٩).

(٢) أخرج الإمام أحمد، رقم الحديث (١٩٤٤١).

تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء»[1]، وذلك في حين أن العالم بجميع بقاعه كان الناس فيه يعاملون أزواجهم ونساءهم شر معاملة، ولم يتنبهوا لعيبهم هذا إلا في الزمن الأخير، ومع ذلك لم يقوموا إلا بتقرير ظواهر سطحية لإكرام المرأة. أما الإسلام فقد وضع قانوناً واسعاً فيه كرامة المرأة في كل أحوالها وأطوارها، عندما تكون بنتاً صبية، وعندما تكون شابة باكرة، وعندما تكون زوجة، وعندما تكون أماً، وعندما تكون أيماً وعجوزاً. ولم يجعل الإسلام بعض القيود على الاختلاط الحر بين الجنسين إلا حفاظاً على الكرامة النسوية للمرأة، لأن الرجل على أساس تفوقه في القوة عليها يتلمس الفرصة لاستغلال ضعفها في الدفاع عن عرضها. على كل فإننا نجد أمثلة رائعة لكفاية الحديث الشريف لمقتضياتنا المعقولة للحياة، وكذلك لتقديمه الحلول للمشاكل الطارئة والمتجددة في الحياة يمكن اقتباسها من آثار الرسول ﷺ وأحاديثه الشريفة، فالحديث الشريف يعطي حلولاً ناجعة لتحديات مختلفة تأتي في الحياة الإنسانية، ولا يعجز عن التوجيه والإرشاد فيها مهما تغير الزمان والمكان.

وذلك بعدما أنزل الله عليه كتابه، ووضع فيه مبادئ هذا الدين الخالد وقوانينه الأساسية، فقد أنزل الله عليه كتابه بالوحي الذي كان يأتي به رسوله جبريل عليه السلام، وأرسل الله إليه وحياً آخر في كثير من الأمور، وكان مما لم يدخله في كتابه، وأخبرنا به رسول الله صلى الله عليه بحديثه الشريف، وقرر الله تعالى لرسوله أن يكون أسوة يقتدى به من أبناء الملة الإسلامية، وبذلك أصبح حديث رسول الله ﷺ وسنته مصدراً للهداية في كل ما تقتضيه الحياة، ومرجعاً لحل كل ما يتجدد من القضايا، وذلك عن طريق أولئك العلماء الذي أحرزوا من فهمهم لمعاني كتاب الله وحديث رسوله ﷺ ما يكفيهم في شرح ما يتعسر الوصول إليه لعامة الناس، وعن طريقهم وبجهودهم المدركة لمفاهيم الدين الإسلامي يتصدى الحديث الشريف للتحديات.

---

(١) متفق عليه، وأخرج البخاري في الأنبياء، رقم الحديث (٣٣٣١).

ويشهد التاريخ بأن هذا النموذج المطلوب لعلماء الدين الأعلام وجد في كل عصر بل في كل قطر من الأقطار الإسلامية، وأنهم أدوا دوراً رائعاً في مجال ما اقتضاه العصر والمكان، وبهم حفظ الله تعالى كتابه ودينه، وبهم جعل الله تعالى كتابه منبع هداية وإسعاف ديني، وجعل حديث الرسول ﷺ بياناً وهداية إلى الحلول الناجعة في ما اقتضته ظروف الإنسان المتغيرة والمتطورة.

فكلما احتمى المسلمون بحمى الحديث الشريف استقامت سيرتهم، وصح طريقهم، وكلما تهاونوا في الاحتماء به اختلط أمرهم الديني بأحوال لا سند لها مما أوحى الله به لعباده.

يشير الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله إلى هذه الناحية بقوله: «ويشهد بهذه الحقيقة تاريخ الإسلام والمسلمين نفسه، فكلما ضعفت صلتهم بكتب الحديث والسنة ومعرفتهم بها، على كثرة وجود الدعاة إلى الله، والمشتغلين بتزكية النفوس وتهذيب الأخلاق، والزهد في الدنيا والعمل بالسنة، وطالت هذه الفترة، غزت المجتمع الإسلامي - الزاخر بأصحاب الاختصاص في العلوم الإسلامية، المتبحرين في العلوم الحكمية والأدبية، وفي عهد غلبة الإسلام وحكم المسلمين - بدع طريفة وتقاليد عجمية، وأعراف دخيلة، حتى يكاد يكون نسخة من مجتمع جاهلي، وصدقت النبوة المحمدية والحديث الصحيح: **«لتركبن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع»**[1]، وخفت صوت الإصلاح، وخبا مصباح العلم[2].

وجاء في إحدى كتاباته:

«إن الحديث زاخر بالحياة والقوة والتأثير الذي لم يزل يبعث على

---

(١) رواه الحاكم.

(٢) الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي: رجال الفكر والدعوة في الإسلام، الجزء الرابع ص ١٣٧.

الإصلاح والتجديد، ولم يزل باعثاً على محاربة الفساد والبدع، وحسبة المجتمع، ولم يزل يظهر بتأثيره في كل عصر وبلد من رفع راية الإصلاح والتجديد، وحارب البدع والخرافات، والعادات الجاهلية، ودعا إلى الدين الخالص والإسلام الصحيح، لذلك كله كان الحديث من حاجات هذه الأمة الأساسية، وكان لا بد من تقييده وتسجيله وحفظه ونشره، وقد ظلت كتب السنة والحديث ـ ولا تزال ـ مصدراً من مصادر الإصلاح والتجديد والتفكير الإسلامي الصحيح في الأمة الإسلامية، تلقى منه المصلحون في عصورهم العلم الديني الصحيح والفكر الإسلامي النقي، واحتجوا بأحاديثه، واستندوا إليها في دعوتهم إلى الدين والإصلاح، وفي محاربتهم للبدع والفتن والفساد، ولا يستغني عن هذا المصدر كل من يريد إرجاع المسلمين في عصره إلى الدين الخالص والإسلام الكامل، ويريد أن يوجد صلة بينهم وبين الحياة النبوية، والأسوة الكاملة، وكل من تلجئه الحاجة وتطورات العصر إلى استنباط الأحكام الجديدة[(١)].

«والحديث ميزان عادل يستطيع المصلحون في كل عصر أن يزنوا فيه أعمال الأمة واتجاهاتها، ويعرفوا الانحراف الواقع في سير هذه الأمة، ولا يتأتى الاعتدال الكامل في الأخلاق والأعمال إلا بالجمع بين القرآن وبين الحديث الذي هو يملأ هذا الفراغ الذي وقع بانتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى[(٢)].

«فلولا الحديث الذي يمثل هذه الحياة المعتدلة الكاملة المتزنة، ولولا التوجيهات النبوية الحكيمة، ولولا هذه الأحكام التي أخذ بها الرسول المجتمع الإسلامي لوقعت هذه الأمة في إفراط وتفريط، واختل الاتزان، وفقد المثال العملي الذي حث الله على الاقتداء به بقوله: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[(٣)]. وبقوله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ

---

(١) المدخل إلى دراسات الحديث النبوي الشريف ص ٢٨ - ٢٧ ورجال الفكر والدعوة في الإسلام ج ١ ص ٩٨.

(٢) رجال الفكر والدعوة في الإسلام ج ١ ص ٩٨.

(٣) الأحزاب: ٢١.

﴿...ٱللَّهُ﴾[1].

والذي يطلبه الإنسان ويستمد منه الثقة والقوة في الحياة، ويقتنع بأن تطبيق الأحكام الدينية على الحياة ميسور وواقع[2].

و الواقع أن وقائع حياة النبي ﷺ المباركة، وإرشاداته وتعاليمه تخلق ذلك الجو الذي تخضر فيه شجرة الدين وتورق وتثمر، إن الدين ليس مجموعة من الضوابط الخلقية الجافية، إنه لا يبقى حيا بدون العواطف والروح والوقائع والأمثلة العملية، وخير مجموعة موثوق بها لهذه العواطف والوقائع والأمثلة العملية هي مجموعة الحديث النبوي الذي أصبحت من خصائص الأمة الإسلامية التي لا يشاركها فيها أمة من أمم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وأصحاب ديانة من الديانات السماوية التي لا يزال بقايا أتباعها والمنتمين إليها على اختلاف أنواعهم ومستوياتهم على وجه الأرض[3].

وذلك لأن الدين الإسلامي دين أكمله الله تعالى على آخر أنبيائه ﷺ هو دين شرعه الله تعالى للإنسان، وهو يعرف طبيعة هذا الإنسان فقد خلقه وقدر حياته، وعنده علم للماضي والمستقبل لأحوال الدنيا وأطوار الحياة الإنسانية، ولكل زمان ولكل الأجيال، وبذلك يتقرر أن الدين الذي شرعه هو دين يتفق لكل الأحوال، وقد ثبت ذلك ثبوتاً عملياً في التاريخ الماضي، فكلما مرّ هذا الدين من خلال تحديات مختلفة لجأ علماء هذا الدين إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فتوصلوا إلى حلول ناجعة لها، ولم يعجزوا أمام نظم معاصرة ومنجزات قديمة أو أمام أحداث ومقتضيات متجددة، بل ودونوا علوماً وآداباً، ووضعوا فلسفة مكان فلسفة وتنظيمات أمام تنظيمات ونظريات أمام نظريات، وكانوا في هذا العمل بارعين مقيمين للحجة على غيرهم، أوفياء لدينهم في أداء مسئوليتهم، فقد وجدوا حديث رسول الله ﷺ

---

(١) آل عمران: ٣١.

(٢) المدخل إلى دراسات الحديث النبوي الشريف ص ٢٢ - ٢١.

(٣) دور الحديث في تكوين المناخ الإسلامي وصيانته ص ١٨ - ١٧.

نبراساً لهم واسعاً، ومنوراً لهم الطريق الذي أراد الله تعالى منهم السلوك فيه، وكان الحديث الشريف بتوجيهاته المرشدة إلى ما فيه خير الإنسانية وفلاحها، والهادية إلى ما فيه تحقيق الإنسان لأغراضه الرشيدة، والمنيرة لطرق الخير للإنسان في مختلف أطوار حياته وجوانب سلوكه أوفق مرجع وأنجح مصدر، وبالاعتماد على الحديث الشريف استطاع علماء الدين الإسلامي حفظ هذا الدين من التغير والتبدل، وبذلك بقي سليماً ناصعاً مع أنه مر عليه أربعة عشر قرناً خلافاً لأديان أخرى، فقد وقع في كافتها تبدل بتبدل الزمان وتتابع الأجيال، وذلك لأن توجيهات أنبيائها ومشرعيها لم تبق محفوظة، بل لم تدون بتلك السعة والإحاطة بجوانب الحياة ومقتضيات العصور والأزمان كما حصل تدوين الحديث الشريف وحفظه على مر الزمان وتتابع الأجيال، وذلك لأن الله تعالى لما أراد لهذا الدين البقاء والاستمرار سخر له رجالاً مهتمين به عاكفين بدقة وأمانة على حفظه، ثم سخر له رجالاً قاموا باقتباس الهداية والتوجيه منه في كل ما اقتضته أطوار الحياة الإنسانية وأحوالها جيلاً بعد جيل وقرناً بعد قرن وبلداً إلى بلد، فنجد أعداداً من هؤلاء الرجال الفطاحل حيناً في آسيا العربية وحيناً في آسيا الغربية والوسطى، وحيناً في آسيا الجنوبية، وحيناً في إفريقيا الإسلامية، وحيناً في بلاد الغرب الأندلسية، إنهم استخرجوا من تراث الحديث الشريف الواسع المأمون علوماً متنوعة مما اقتضتها حياة المسلمين الفكرية والسلوكية والحضارية حتى الشؤون المادية من مالية وعملية كلها، فإنما نجد في هذه الأنحاء كلها هداية وتوجيهاً من الحديث الشريف.

ووجدنا منهم الاعتناء البالغ بالاستفادة من الحديث الشريف وخدمته وحفظه ثم تعليمه وتطبيقه في مجالات الحياة عن طريق الدراسة والبحث والتعليم، وقد ضرب اعتناؤهم هذا رقماً قياسياً في مناطق مختلفة من العالم الإسلامي، ومنها الهند.

وأذكر هنا كمثال لعناية المسلمين الشاملة بحفظ الحديث الشريف والاستفادة منه مما قام به علماؤه في شبه القارة الهندية، فقد اشتهر وامتاز شبه القارة الهندية بما فيه الهند وباكستان وبنجله ديش منذ عهده الماضي في

تدريس الحديث الشريف والاهتمام بدراسته وتأليف شروح أمهات كتبه، وكان هذا الاهتمام يشغل حيزاً كبيراً في المنهج التعليمي للمدارس الإسلامية الدينية الأهلية، فبرز علماء كبار وحملوا النشء الإسلامي على النهل من مناهل هذا العلم الشريف المنتشرة في أنحاء البلاد، وكان أعظمها وأكثرها في المنطقة الشمالية الوسطى والغربية منها، يؤمها الطلاب من أصقاع الهند والبلدان المجاورة لها، وكان من أهم هذه المراكز التعليمية الجليلة وأعظمها شهرة دار العلوم بديوبند ومظاهر العلوم في سهارنفور وندوة العلماء في لكنؤ ومعاهد وجامعات أخرى على غرارها في غربي الهند وفي جنوبيها امتازت بخدمتها وتدريسها لعلم الحديث.

وذلك بعدما كانت الهند قبل أربعة قرون متخلفة في الاهتمام بالحديث الشريف، وكان أكثر علمائها يهتمون في اشتغالهم العلمي الإسلامي بالفقه الإسلامي والعلوم الأخرى ذات الصبغة العقلية، فساق ذلك إلى ضعف التركيز على الاهتمام بالمصدرين الأساسيين، وساق ذلك إلى شيوع البدع في حياة المسلمين وتهاونهم في التأسي الصحيح بأسوة الرسول ﷺ إلى أن أكرم الله تعالى هذه البلاد برجلين عظيمين من العلماء وهما الشيخ عبدالحق المحدث الدهلوي والشيخ الإمام أحمد بن عبدالرحيم الملقب بولي الله الدهلوي، وكانت مساهمة الإمام ولي الله في تعميم الاهتمام بالحديث الشريف والاشتغال به أعظم وأوسع تأثيراً، وقد ذكر ذلك مقدراً لفضله في هذا المجال عدد من المؤرخين لأعلام المسلمين وخدماتهم، أذكر على سبيل المثال ما كتب عنه السيد عبدالحي الحسني في كتابه «الثقافة الإسلامية في الهند» ما يدل على أهمية عمله في دعم الاهتمام بخدمة الحديث الشريف في الهند: «ثم جاء الله سبحانه بالشيخ الأجل والمحدث الأكمل ناطق هذه الدورة وحكيمها، وفائق تلك الطبقة وزعيمها، الشيخ ولي الله بن عبدالرحيم العمري الدهلوي المتوفى سنة ١١٧٦هـ، فإنه رحل إلى الحجاز، وأخذ عن الشيخ أبي طاهر المذكور، وعن غيره من أئمة الحديث، ورجع إلى الهند، وشمر عن ساق الجد والاجتهاد لنشر ذلك العلم، فدرّس وأفاد، وخرّج وصنّف، وقد نفع الله بعلومه كثيراً من عباده المؤمنين، ونفى بسعيه المشكور كثيراً من فتن البدع

ومحدثات الأمور، لأنه بنى طريقته على عرض المجتهدات على الكتاب والسنة، وتطبيق الفقهيات بهما، وقبول ما يوافقهما من ذلك، ورد ما لا يوافقهما كائناً ما كان ومن كان. وكذلك أبناؤه الشيخ عبدالعزيز، والشيخ عبدالقادر، والشيخ رفيع الدين، وابن ابنه الشيخ إسماعيل بن عبدالغني الدهلوي، والشيخ عبدالحي بن هبة الله البرهانوي ختن الشيخ عبدالعزيز المذكور، فهؤلاء الكرام قد رجحوا علم السنة على غيرها من العلوم، وجاء تحديثهم حيث يرتضيه أهل الرواية، ومن يرتاب في ذلك فليرجع إلى ما هنالك، فعلى الهند وأهلها شكرهم ما دامت الهند وأهلها[1]:

وقال الأمير السيد صديق حسن خان في كتابه «الحطة بذكر الصحاح الستة» في ذكر من جاء بعلم الحديث في الهند: «ثم جاء الله سبحانه وتعالى من بعدهم بالشيخ الأجل والمحدث الأكمل ناطق هذه الدورة وحكيمها وفائق تلك الطبقة وزعيمها الشيخ ولي الله بن عبدالرحيم الدهلوي المتوفى سنة ست وسبعين ومائة وألف، وكذا بأولاده الأمجاد، وأولاد أولاده أولي الإرشاد، المشمرين لهذا العلم عن ساق الجد والاجتهاد، فعاد لهم علم الحديث غضاً طرياً بعد ما كان شيئاً فرياً، وقد نفع الله بهم وبعلومهم كثيراً من عباده المؤمنين، ونفى بسعيهم المشكور من فتن الإشراك والبدع ومحدثات الأمور في الدين ما ليس يخاف على أحد من العالمين، فهؤلاء الكرام قد رجحوا علم السنة على غيرها من العلوم، وجعلوا الفقه كالتابع له والمحكوم، وجاء تحديثهم حيث يرتضيه أهل الرواية، ويبغيه أصحاب الدراية، شهدت بذلك كتبهم وفتاويهم، ونطقت به زبرهم ووصاياهم، ومن يرتاب في ذلك فليرجع إلى ما هنالك، فعلى الهند وأهلها شكرهم ما دامت الهند وأهلها:

من زار بابك لم تبرح جوارحه ... تروي أحاديث ما أوليت من منن
فالعين عن قرة والكف عن صلة ... والقلب عن جابر والسمع عن حسن[2]

---

(١) السيد عبد الحي الحسني: الثقافة الإسلامية في الهند ص ١٣٩.

(٢) محمد اجتباء الحسيني الندوي: الإمام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بالشاه ولي الله الدهلوي ص ٥٢ - ٥٣.

«وقد ذكر الشيخ محمد قاسم النانوتوي رحمه الله بأنه سافر للحج فأرست باخرته على ميناء «يمن» لأيام، وأخبر الشيخ بأنه في إحدى مساكن الميناء القريبة عالم ومحدث كبير السن فذهب تواً لزيارته، وطلب منه إجازة للحديث فسأله الشيخ: على من قرأت الحديث؟ قال: على الشاه عبدالغني، ولم يكن يعرفه، فقال: على من قرأ الشاه عبدالغني؟ قال: قرأ على الشاه إسحاق، ولم يكن يعرفه أيضاً، فسأله: من كان أستاذ الشاه إسحاق؟ قال: كان أستاذه الشاه عبدالعزيز الدهلوي، فاهتز الشيخ وتهلل وجهه بشراً وبشاشة، فقال: نعم، إني أمنحك إجازة الحديث، وقال: إن الشاه ولي الله كان كشجرة الطوبى، فحيثما وجدت غصونها وجدت الجنة تحتها، وليست الجنة في غيرها، كذلك حيثما وجدت طريقة الشاه ولي الله وجدت الجنة هناك، وإن خلا المكان من طريقته خلا المكان من الجنة[1].

وجدير بنا أن نقرأ كلمة سجلها العالم الباحث والمحقق الدارس من علماء الأزهر الشريف وهو العلامة رشيد رضا تحدث فيها عن خدمة علماء الهند للحديث فيقول:

«و لولا عناية إخواننا علماء الهند بعلوم الحديث في هذا العصر لقضي عليها بالزوال من أمصار الشرق، فقد ضعفت في مصر والشام والعراق والحجاز منذ القرن العاشر للهجرة حتى بلغت منتهى الضعف في أوائل هذا القرن الرابع عشر[2].

أما المتخصصون بالسنة النبوية الشريفة من أساتذة وخريجي المراكز التعليمية الواقعة في شبه القارة، فإني أذكر نخبة منهم بصورة خاصة وهم

---

(١) الأرواح الثلاثة ص ٢٠٧، الشيخ مناظر أحسن الكيلاني: مقال ص ٢٢٢ نقلاً عن محمد اجتباء الحسيني الندوي: الإمام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بالشاه ولي الله الدهلوي ص ٥٣ ـ ٤٥.

(٢) مقدمة مفتاح كنوز السنة وسيرة الإمام الدهلوي: ١٠٤ محمد اجتباء الحسيني الندوي: الإمام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بالشاه ولي الله الدهلوي ص ٥٤.

الذين قاموا بالتأليف شرحاً لكتب الحديث، وبحثاً وتحقيقاً فيها بجنب قيامهم بتدريسها، وبالتوعية بها على المستوى التخصصي المفيد، ومن أشهر المؤلفين فيها في القرن الماضي العلامة شبير أحمد العثماني الذي له كتاب «فتح الملهم» في شرح صحيح مسلم، وأكمله تلميذه الشيخ محمد تقي العثماني. والشيخ عبدالحق المحدث الدهلوي الذي لـه «أشعة اللمعات شرح المشكاة»، والعلامة الشيخ محمود حسن الديوبندي الذي له «الفيض الجاري شرح صحيح البخاري»، والشيخ الجليل ظفر أحمد العثماني التهانوي الذي له كتاب «إعلاء السنن»، والشيخ رشيد أحمد الكنكوهي الذي له «الكوكب الدري على جامع الترمذي» و«الحل المفهم لصحيح مسلم»، والشيخ محمد يحى الكاندهلوي الذي له «لامع الدراري في شرح صحيح البخاري»، والعلامة محمد إدريس الكاندهلوي الذي له «التعليق الصبيح على مشكاة المصابيح»، والشيخ محمد يوسف الكاندهلوي الذي له «أماني الأحبار في شرح معاني الآثار»، والعلامة محمد زكريا الكاندهلوي الذي له «أوجز المسالك في موطأ الإمام مالك»، و«تراجم أبواب البخاري»، و«جزء الحج والعمرة»، و«شرح الشمائل النبوية للإمام الترمذي».

والشيخ خليل أحمد السهارنفوري الذي له «بذل المجهود في حل سنن أبي داود». والعلامة محمد يوسف البنوري الذي له «معارف السنن شرح سنن الترمذي»، و«فيض الباري على صحيح البخاري» إفادات للعلامة أنور شاه الكشميري. والشيخ بدر عالم الميرتهي الذي له «ترجمان السنة». والعلامة حبيب الرحمن الأعظمي الذي له دراسة وتعليق على عدد من كتب الحديث، منها «كتاب الزهد والرقاق لعبد الله بن المبارك»، و«كشف الأستار عن زوائد البزار للحافظ نور الدين الهيثمي» وكتابه «نصرة الحديث». والشيخ محمد أشرف الديانوي الذي له «عون المعبود في شرح سنن أبي داود». والشيخ عبدالرحمن المباركفوري صاحب «تحفة الأحوذي في شرح سنن الترمذي». والشيخ عبيد الله الرحماني المباركفوري الذي له «مرعاة المفاتيح في شرح مشكاة المصابيح». والعلامة ظهير أحسن النيموي صاحب «آثار السنن». والشيخ بدر عالم الميرتي الذي له «ترجمان السنة». والعلامة الشيخ

عبدالحي الفرنجي محلي صاحب «التعليق الممجد على موطأ الإمام محمد». والعلامـــة السـيد عبدالحي الحسني الذي له «تهذيب الأخلاق»، والدكتور محمد حميد الله الذي له «صحيفة ابن همام بن منبه»، والشيخ شبير أحمد أزهر الميرتي الذي له «نهاية التحقيق في شرح مسند أبي بكر الصديق»، والشيخ محمد عاشق إلهي البلند شهري الذي له «إنعام الباري في شرح أشعار البخاري»، والنواب صديق حسن خان القنوجي الذي له «فتح العلام لشرح بلوغ المرام»، والشيخ محمد منظور النعماني الذي له «معارف الحديث» في مجلدات عديدة في الأردية.

وقام العلامة المغفور له السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي بخدمة هذا العلم الشريف بتدريس كتبه في جامعة ندوة العلماء، وبكتابة مقدمات على عدد من شروح الحديث الشريف، وبتأليفه حول أهمية الحديث الشريف كتباً عديدة ومقدمات ومقالات قيمة على عدد من شروح الحديث.

وساهم الشيخ الجليل عبدالرشيد النعماني في خدمة هذا العلم بكتابه «ما تمس إليه الحاجة لمن يطالع سنن ابن ماجه»، وهؤلاء كلهم لقوا ربهم، رحمهم الله رحمة واسعة.

أما الباقون منهم وهم تلاميذهم ففي مقدمتهم فضيلة الشيخ الدكتور تقي الدين الندوي الذي قام بعمل التحقيق والتحشية والإخراج لعدد من شروح الحديث مثل أوجز المسالك في موطأ الإمام مالك للعلامة الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي رحمه الله رئيس قسم الحديث سابقاً في جامعة مظاهر العلوم بسهارنفور، وشرحه هذا بمثابة موسوعة جليلة في شرح كتاب الموطأ، وكذلك كتاب بذل المجهود في حل سنن أبي داود للعلامة الشيخ خليل أحمد السهارنفوري أستاذ العلامة الشيخ محمد زكريا، وكان عمل الدكتور الشيخ تقي الدين الندوي في خدمة الكتابين عظيماً وجليلاً اتسم بمهارة فائقة ودقة متناهية، وألف مع ذلك كتباً في ترجمة عدد من أعلام الحديث الشريف، وقام بتحقيق وإخراج عدد من كتب الحديث وقضى مدة من الزمن في تدريس هذا الفن في جامعات مختلفة.

وفضيلة الشيخ محمد يونس رئيس قسم الحديث الشريف في جامعة سهارنفور الهند ذو شهرة وصيت بعلمه الجم ونبوغه في تعليم هذا الفن وإيضاحه.

وقام الشيخ أبو سحبان روح القدس الندوي أيضاً بشرح واف لكتاب العلامة عبدالحي الحسني والد الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي باسم تهذيب الأخلاق، شرحه باسم «روائع الأعلاق» والشيخ أبو سحبان من مدرسي هذا الفن الشريف في دار العلوم ندوة العلماء.

ويوجد في مجال تدريس الحديث رجال آخرون أيضاً يشتغلون به في جامعات إسلامية أهلية، وعددهم لا بأس به.

وقد قامت ندوة العلماء باختيار منهج خاص يوافق متطلبات الأوضاع المتغيرة، وهي أنشئت في مدينة لكنؤ منذ أكثر من قرن وجعلت منهجها التعليمي جامعاً لأطراف من العلوم الإسلامية، بشئ من الاختلاف عن الجامعات الإسلامية الأخرى التي كانت حصرت منهجها التعليمي في مواد العلوم الدينية البحتة وفي العلوم العقلية وحدهما، فإن ندوة العلماء قللت في المنهج التعليمي جانباً من العلوم الآلية القديمة وأضافت في محلها معارف من علوم نافعة يفتقر إليها العلماء بمقتضى العهد الراهن مع صلتها بالدين والحياة الإسلامية، وحصل لها ذلك بتقليل جانب مما خفت أهميتها من العلوم العقلية القديمة بحكم الزمن وأوضاع العصر الحديث، وأضافت مواد من المعرفة العلمية والأدبية المحتاج إليها بحكم العصر والبيئة.

أما علوم القرآن والحديث وما يتفرع منهما فأبقتها ندوة العلماء بمقدار ما هي في الجامعات الدينية الأخرى، فيجري تدريسها في ندوة العلماء وفروعها بالأهمية التي تلتزم بها الجامعات الدينية الأخرى، وكان منهجه فيها منهجاً مفصلاً.

ولقد قام بخدمة علوم الحديث الشريف فيها عدد من كبار علمائه ومدرسيه، كان في العهد الأخير في مقدمتهم سماحة الشيخ حيدر حسن خان الطونكي ثم فضيلة الشيخ محمد حليم عطا السلوني.

أما الشيخ حيدر حسن خان الطونكي فقد كان أستاذ الجيل الذي كان فيه سماحة الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي، درس سماحته منه كتب الصحاح في الحديث الشريف وبخاصة منه صحيح الإمام البخاري دراسة إمعان ونظر، ولم يكتف سماحته بذلك بل سافر أيضاً إلى جامعة دار العلوم بديوبند التي كانت في ذلك الحين معروفة بالتوسع في دراسة الحديث، فاستفاد من أكبر أساتذتها في الحديث، ثم عين مدرساً في ندوة العلماء، وكانت دائرة عمله للتدريس علوم القرآن والحديث والآداب العربية، وقام بتدريس الجامع الصحيح للبخاري، وكانت طريقته في تدريسه بتطبيق كلام الرسول ﷺ على ما تفتقر إليه حياة المسلم وما يلزم لها من هداية وإرشاد، وهذه الطريقة تستلزم الاستفاضة في أبواب الكتاب التي تتصل بالأخلاق والسلوك والمعاملات كذلك، وفي الوقت الذي كانت الجامعات الأخرى تميل إلى التوسع في أبواب العبادة توسعاً كثيراً، والطريقة التي تبنتها جامعة ندوة العلماء في تدريس هذا العلم الشريف هو بسط الاستفاضة في مختلف أبواب الكتب، وكذلك كان عملها في غيره من العلوم الدينية الأخرى أيضاً من تفسير وفقه وغيرهما.

كما قام سماحته بالكتابة في خصائص الحديث الشريف من هذه الجهة وفي استنباط جانب الهداية والإرشاد في شؤون الحياة من أحاديث الرسول ﷺ، فمن مؤلفاته في هذا الشأن:

(١) كتاب الإمام محمد بن إسماعيل البخاري وكتابه صحيح البخاري.

(٢) وكتاب دور الحديث في تكوين المناخ الإسلامي وصيانته.

(٣) وكتاب المدخل إلى دراسات الحديث الشريف.

(٤) وكتاب نظرات في الجامع الصحيح للإمام البخاري وميزات أبوابه وتراجمه..

إن استفاضتي هذه في ذكر ما كان للهند من دور في خدمة علم الحديث الشريف جاءت من ناحية أنني من هذه المنطقة نفسها، كما أنها تلقي ضوءاً أيضاً على الموضوع الذي يتصل بذكر أهمية علم الحديث الشريف ومكانته في مواجهة قضايا الحياة من الوجهة الإسلامية وحلها وقبوله لتحديات العصر بكفاءة ونجاح. فإن الحديث الشريف أيها السادة! هو المعقل العظيم الذي حفظ هذا الدين عن طريق أحداث سيرة الرسول ﷺ وتوجيهاته الكريمة التي أحاطت بسائر أنحاء حياة المسلمين باستمرار، ويدل على ذلك أن الآية الكريمة ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[1] عندما نزلت في السنة الأخيرة من حياة خاتم أنبياء الله تعالى تقرر بنزولها بأن الدين الإسلامي الذي رضي به الله تعالى للإنسان وأكمله سيبقى إلى آخر عهد من عهود هذه الأرض، ويؤدي سائر مقتضيات الحياة الدينية والاجتماعية والسلوكية الثابتة منها والمتجددة، لأن إكماله من رب العالمين وإعلانه برضاه به للمسلمين هو أمر يؤكد على جدارته في كل عصر ومصر، فإنه الدين المختار فهو يستطيع أن يقبل التحديات ويضع قضايا الحياة كلا منها في محلها الجدير به، ويجعل الحياة سائرة مسايرة للأوضاع والأحوال التي تمر من خلالها، وقد أثبت هذا الدين جدارته لكل ذلك عن طريق اعتماده على ما قرره الله تعالى لحياة المسلم في كتابه الكريم، وعلى ما شرحه وأوصى به رسوله الأمين، عن طريق سنته وأسوة حياته الشريفة، فقد مضى على هذا الدين عصور وحقب، ومر من خلالها هذا الدين سالماً وغانماً، ناجحاً ومحفوظاً، وأعانه في ذلك الحديث الشريف في كافة مجالات حياة المسلمين ومقتضياتها، وسيواصل الحديث

---

(١) المائدة: ٣.

الشريف هذه الإغاثة والإسعاف عن طريق دارسيه ومحققيه وعلماء أسراره الأعلام، والله ولي التوفيق، وصلى الله على نبيه الكريم محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.





قضايا في طريق دراسات الحديث الشريف والسنة النبوية

بقلم

الأستاذ الدكتور فاروق حمادة

أستاذ السنة وعلومها بكلية الآداب والعلوم الإنسانية،

جامعة محمد الخامس ـ الرباط



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي حفظ لنا الكتاب، وهيأ لذلك كل الأسباب، من حفاظ وكتبة وطلاب، والصلاة والسلام على محمد بن عبد الله المؤيد بفصل الخطاب، صاحب الآيات الباهرة الظاهرة لأولي النهى والألباب.

وعلى آله الأطهار الأحباب، وصحابته البررة الكرام خير الأصحاب، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم يقوم الناس للحشر والحساب.

أما بعد: فقد سرت السنة النبوية في الأمة الإسلامية من عهد النبي ﷺ سريان الروح في الجسم، والحياة في الكائنات، فلم تنفك عن الأمة لحظة، ولن تنفك عنها أبدا، وذلك بصون الله تعالى للكتاب العزيز ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝﴾[1] وصيانتها تبعا له، تحقيقا لقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2]، وبهما يكون كمال الدين الذي هو حجة على العالمين، ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾، وخطابه يتناول الحاضرين والآتين إلى أن يجمع الشمس والقمر.وقد أكد الحق سبحانه وتعالى أن كلامه وحي مصون عن العبث والدخل، فقال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ

(١) الحجر ٩.

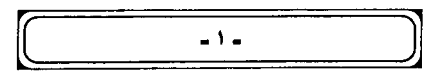
(٢) النحل ٤٤.

﴿عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝﴾[1].

وبهذا صح أن كلام رسول الله ﷺ كله في الدين وحي من عند الله عزَّ وجلَّ، لا شك في ذلك.

ولا خلاف بين أحد من أهل اللغة والشريعة في أن كل وحي نزل من عند الله تعالى فهو ذكر منزل، فالوحي كله محفوظ بحفظ الله تعالى له بيقين، وكل ما تكفل الله بحفظه فمضمون ألاّ يضيع منه، وألاّ يحرف منه شيء أبداً تحريفا لا يأتي البيان ببطلانه، إذ لو جاز غير ذلك لكان كلام الله تعالى كذباً، وضمانه خائسا، وهذا لا يخطر ببال ذي مسكة عقل[2].

وقد توالت عبر الحقب كتائب العلماء لتثبيت السنة مع الكتاب، ونفي الزغل والدغل عنهما، وبقيت السنة نقية حاضرة في الضمائر والقلوب، والأفكار والعقول، محبة ورواية وتطبيقا، محبة في البحث عنها، والتفاني في نشرها والدفاع عنها، وتطبيقا في حلقات الدروس والفتوى والاستنباط والتأليف والتصنيف، في كل عصر بما يناسبه ويلائمه، حتى وصلتنا بأسانيدها الوثيقة، وتصانيفها الشمولية والعميقة.



- ١ -

وكان للسنة نهضة قويّة بدءاً من الربع الأخير في القرن الرابع عشر الهجري وما بعده، أي منتصف القرن العشرين الميلادي وإلى يومنا هذا، أخذت مظاهر عديدة وكسبت ميادين جديدة، وقد عرضنا لتطور دراسة السنة عبر العصور في بحث قائم بذاته متداول، ونلخص مظاهر القوة والانبعاث للسنة في العصور الحاضرة بإيجاز كالتالي:

---

(١) النجم: ٣ ـ ٤.

(٢) انظر فصلا مهماً في الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم الأندلسي ١/١٢٠ وما بعدها.

١- الكتب: فقد نشر من كتب السنة الكثير، ومن مختلف العصور بدءاً من القرن الثاني كموطأ الإمام مالك (ت ١٧٩ هـ)، ومسند الطيالسي (ت ٢٠٤هـ)، وسنن الشافعي(ت ٢٠٤هـ) التي أخذت من كتبه، وقد صدر في هذا الباب أمهات كتب السنة في جميع شعبها: النصوص والرجال، والعلل، والمصطلح، وتاريخ السنة والتصحيح والتضعيف والتخريج. . . ، وفي هذا الباب يمكنني القول: **إن مصادر السنة لم يبق منها في حيز المخطوط إلا النزر اليسير، وبهذا تجمعت كتب السنة بين يدي الباحثين والدارسين، ويمكن لمن يريد الانصاف أن يأخذ صورة حقيقية عن السنة النبوية ووصولها إلينا، وبذلك تمت حجة البلاغ على هذا العصر ولأمد طويل**، ليحيا من حيا عن بينة، ويهلك من يهلك عن بينة، وهناك في هذا المضمار كتب كثيرة صدرت في تقريب السنة وبسط أنوارها من منطلقات عديدة بل وتوجهات عديدة، فصدر العديد من الكتب في تاريخها، وعلومها، وأعلامها- رجالا ونساءً- وترتيب كتبها واختصارها وفهرستها، وتثبيت حجيتها، ودفع الشبه عنها، وما يستنبط من فقهها، وإعجازها الأدبي والعلمي والكوني والاجتماعي،والحضاري. . . إلخ، وهي جهود بارزة وأعمال جليلة، أثاب الله أصحابها ومن أسهم فيها بوجه من الوجوه. . . .

٢- وقد دخلت السنة النبوية في أدق التطورات (التكنولوجيا) العلمية واستفادت منها، فصدرت كتبها على أقراص مدمجة ضمت كتبها وفنونها، وتنافس كثير من التجار في ذلك، وهذا يدل على أن السنة النبوية تساوق الزمن، وتسري في كيان الأمة، وتحتل الصدارة في العناية والرعاية والتجدد، وتؤكد حفظ الله تعالى لها، واستمرارها مع الزمن كما هي.

٣ - نشأت معاهد للبحث في السنة النبوية وعلومها، وكليات جامعية أكاديمية، تضم نخبة من المتخصصين في السنة وعلومها، وتبث معارفها إشعاعها وهديها في ضمائر الأجيال المتلاحقة، وتحملها هذه الأمانة كما كان السلف الصالح يفعلون، إذ كان عمر بن الخطاب وأضرابه من الصحابة الكرام والسلف الصالح يقولون للناشئة: «تفقهوا قبل أن تسوَّدوا»، وقال أبو

عبد الله البخاري: وبعد أن تسوّدوا[1]. وهذا نوع آخر يؤكد على استمرار الحفظ والصيانة...

وهنا يحق لكل واع منصف أن يقول: إن الخلافات والردود والمناقشات بين المتخصصين في السنة النبوية ليست ظاهرة سيئة، بل هي ظاهرة محمودة تظهر الحقائق، وتكشف الزيوف، وترد الغواة وستبقى، وهذا ما يؤكد أن السنة كانت على الدوام نقية صافية لا يستطيع أحد أن يكذب في السنة، أو يدلس، أو يغير أو يبدل أو يزيد فيها، أو ينقص منها؛ لأن هذه الجهود الحثيثة، والعقول الكثيرة المبثوثة في الأرض كلها يستحيل كل الاستحالة أن تتفق على الخطأ أو الزور أو البهتان، وكذلك كان الأمر من أيام المصطفى عليه الصلاة والسلام إلى قيام الساعة.

٤ ـ برزت في المعاهد والكليات دراسات وأطروحات تناولت السنة النبوية من جوانبها الكثيرة، فكانت عطاءً محموداً، ورواقاً ممدوداً تستظل به الأمة في كثير من محطات حياتها ومسيرتها، وقد كانت هذه الدراسات، أو بعضها سدا قويا في وجه الوضاعين الجدد، وأعداء السنة النبوية المعاصرين، فأطفأت كثيرا من آرائهم وشبههم، وتخرصاتهم جعلتها أثرا بعد عين، أو ضيقت مسالكها، وقلَّصت من أتباعها والمقبلين عليها، وكفأت كثيرا منهم إلى جحورهم.

٥ ـ لم تتأخر السنة النبوية بما قيضه الله عزَّ وجلَّ لها من رجال وأبطال عن فتح مواقع على الشبكة المعلوماتية (الإنترنيت) تتبنى هذه المواقع قضاياها وأخبارها، وتضع على بساط البحث أفكارها، وتعرف بما صدر من كتبها... وبتعدد هذه المواقع وكثرتها تنزاح رقعة الشر، وتتقلص رقعة أعداء السنة النبوية، ويبدو لي والله أعلم، أن هناك عدداً غير قليل من المواقع[2]. وهذا أمر مفيد، وعمل سديد إن شاء الله.

---

(١) علقه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب الاعتباط في العلم والحكمة ١/١٦٥.
(٢) لم يتسن لي الاطلاع إلا على عدد قليل من مواقع متخصصة.

ومع مظاهر القوة والانبعاث للسنة النبوية هذه وغيرها، فإن هناك في عصرنا الحاضر جوانب ضعف لا تزال تؤثر في مسيرتها، وتعيق انتشارها والاهتداء بسناها، ويمكن تصنيفها بإيجاز كالتالي:

١ - العبث في إخراج كتبها ومصادرها، فلا زالت هناك أيدٍ لا تنشر كتب السنة إيمانا بها أو حبا في صاحبها عليه الصلاة والسلام، بل تجارة رابحة، وسلعة نافقة، ويبدأ هذا بمن يتصدون للتحقيق ولا يعرفونه، أو لإخراج النص ولا يفهمونه، أو العمل في كتاب يشوهونه أو يحرفونه[١].

٢ - نجد عددا من الناشرين يطبعون كتبا سبق طبعها بإشراف باحثين متخصصين، فيزوررون ويبترون، ويشوهون ويخرجون الكتاب، بل الكتب محرفة مشوشة، كل ذلك لأن الكتاب مرغوب، وعند الباحثين والطلبة مطلوب، ولو رحنا نتقصى هذا الباب لطال بنا الكلام، وخرجنا إلى ميدان آخر، ويمكنني أن أضيف في هذا الأمر، أن بعض الكتب تطبع طبعات متعددة بأسماء محققين متعددين، ولا يبدو كبير فرق بين هذه الطبعات... إن هناك عبثا يجب أن ينتبه له الباحثون المخلصون، ويعملون على محاربته، ووقف مده، وهو خطر من نواح كثيرة.

٣ - لا تزال الحملات التشكيكية، والأفكار العدائية تتسلل إلى عقول كثير من المسلمين وغير المسلمين فيما يتعلق بالسنة النبوية، في تدوينها، ومناهجها، ومصنفاتها، وأعلامها، بل الصحابة الذين عاشوها وحملوها...

وقد مرَّت عليها فترات همدت فيها وخمدت، ولكنها في السنين الأخيرة انبعثت من جديد، بل قويت وتبنتها في بلاد المسلمين جهات عديدة من علمانية وغير علمانية باسم البحث العلمي، وغير ذلك من الأسماء،

(١) انظر أنموذجاً مصغراً لهؤلاء في كتابنا منهج البحث في الدراسات الإسلامية تأليفا وتحقيقا ط دار القلم بدمشق.

والحق أن لهذه الحملات قوة كبيرة، وتأثيرا لا يستهان به، في تيار الحياة، ومسيرة السنة.

٤ - هناك قصور واضح في تغطية الساحة الإسلامية، بل العالمية بأبحاث ودراسات السنة النبوية، والتعريف بها، وإثبات صلاحيتها، وضرورة الأخذ بها...

فمؤتمراتها محدودة، وندواتها - فيما أعلم- نادرة، والمجلات المتخصصة قليلة، ويبدو لي والله أعلم أن هناك تراجعا في التصنيف المقصور على السنة، والذب عن حماها، وذلك حسب تقديري لأمور عديدة ليس هذا مكان تفصيلها.

ومع كل ما تقدم فإن السنة النبوية ستمضي بقدر الله وقدرته حجة على العالمين، وميزاناً عدلا بين العادلين والظالمين من الباحثين والمتعلمين، ومن يتول عن نهج السنة المشرفة فالله يهيئ غيره لتبقى الراية عالية، والمنارة هادية، ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم﴾.

وإيماناً مني بأن الراية ستبقى عالية، والحجة ماضية، فإن أمام دراسات السنة النبوية في العقود القادمة ميادين وآفاقاً أحق بالسبق من غيرها، وأنفع -حسب رؤيتي- للناس في طرقها، وذلك في واقع المعرفة البشرية التي نحن فيها، وزخم الحياة التي نحياها، وسأحاول أن أبين أهم هذه الميادين والآفاق.


- ٣ -

قضايا دراسات السنة النبوية:

بناء على رسوخ السنة النبوية في العقول والقلوب، واستمرارها مصونة محفوظة عبر الحقب والقرون، وما تكفل الله تعالى بحفظ منه، لتقوم حجته على العالمين فسيهيأ للسنة دارسين يحملونها، وحماة يذودون عنها، وأعلاما

ينشرون رايتها، وعامة يتلقونها ويلوذون بأهلها، وسادة يرعون القائمين عليها. . .

وكم هو جميل ومهم أن تجتمع نخبة من محبي السنة ودارسيها، ممن قطعوا حياتهم أو جلها لخدمتها والقبس منها، ليقفوا وقفة تأمل وتقويم لما أنجز ولما يروج، وما هي الحاجة العاجلة والآجلة لدراسات السنة ونوعيتها. . .

ومن هذا المنطلق لابد لي من الإسهام بشيء من هذا أداءً للأمانة ونصحاً للأمة، ولنفسي وإخواني الدارسين في هذا الميدان، مؤكدا على نوعية خاصة من الدراسات الأكاديمية العالية التي تتوفر فيها شروط البحث العلمي الرصين، المؤثر، مضمونا ومنهجاً، وصياغة وغاية، بعيداً عن كتابات ركيكة، أو ضعيفة هزيلة لتعلي ضجيجا (أيديولوجيا)، أو ترفع سمعة، أو تروج تجارة، تسيء لأهل هذا العلم الشريف.

وتسير الدراسات الجادة فيما يحتاجه الواقع العلمي الاجتماعي المعاصر، ونرى أن ذلك يكون في عدة شعب:

١- أ- إبراز مناهج السنة التي حفظت لنا هذه النصوص الشريفة، وميزت علوم هذه الأمة المنيفة عن غيرها من الأمم، فصانتها من الزغل، وردت عنها العاديات والدغل، وميزت بين ما هو حديث ثابت، أو ما هو قول مردود لعاثر جهول، أو طامع يحب التزلف والوصول. . .

إن إبراز المناهج من خلال نظريات عامة، أو رؤية لأعلام هذا العلم، أو كتب مخصوصة لها الشأن ـ وهي كثيرة جداً بحمد الله ـ أو عصور، لها صدى ورنين في العصور الأخرى، وخاصة القرون الأربعة الأولى، أو محطات هامة بعد هذه القرون، مع جمع المتفرقات والتأليف بين ما يمكن أن يعتبره الغر الحدث من المتناقضات، وشرحها والتعريف بها في إطار رؤية شمولية أو نظريات، ستقطع الطريق على حملات التشكيك التي لا تزال مستمرة في دوائر البحث المتحيزة المتحاملة الحاقدة، وهي قائمة

مستمرة يشتد ساعدها حينا، ويضعف أحيانا أخرى، وأراه الآن في تنامٍ وتصاعد لظروف معلومة عند الفطناء النبهاء.

ولا يخفى على أهل العلم المنصفين خصوصا باحثي السنة الدراسين أن عظمة المنهج الحديثي هو الذي أعطى كتبا عصية على الذوبان، ومصنفات تزداد رسوخا على مر الزمان.

فمن لم يعرف هذا المنهج لا يستطيع أن يميز بين قدر صحيح البخاري ومسلم، والسنن والمسانيد، وبين غيرها من مؤلفات الأسمار، وتخيلات قطاع طرق المعرفة الشطار..

ولهذا فالحديث عن المنهج ومسالكه، في كلياته وجزئياته، في تأصيله النظري، وتطبيقه الواقعي، يكشف الحقائق التي لا يعرفها الكثيرون، ويجازف بعضهم فينفيها جملة من الوجود؛ (لأن الناس أعداء ما جهلوا).

وإني لأتساءل كم دراسة قامت حول مناهج السنة في عهد التابعين؟! وقبلهم عن السنة وتلقيها ومناهجها في حلقات الصحابة المرضيين؟! إنها دراسات معدودة جداً فيما أعلم، فلو كثرت ونمت، لكان من أنفع وأهم ما يقدم للأمة لتطمئن إلى سنة نبيها، وأعظم ما يطفئ شرر المغرضين والمتحاملين والحاقدين، وإن المنهج الحديثي حقيق أن يكون حاضرا ماثلا في كل ميدان لتأخذ المعرفة النظرية، بل التجريبية طريقها الصحيح...

أجل لقد كان هناك دراسات في هذا الميدان، ويبدو لي والله أعلم أنها ركزت على جانب الدفاع في بحث جزئيات معينة، كالتي تتعلق بالمتون، أو بعض مقارنات بين جزئيات من الأسانيد، والمناهج الغربية، وهي قليلة بالقياس إلى ما يجب أن يكون في كتب معدودات، وتتوارد على أمثلة ومصادر قليلة محدودة، فكيف وقد طبع من كتب السنة البحور والأمهات، والمجاميع الكبرى والموسوعات، من القرون الأولى والمتأخرات، **فالذي نراه أن يكون هناك بحوث تظهر كيفية البناء للمنهج الحديثي كما علا واستطال يوما بعد يوم من العهد النبوي الأنور إلى أن استوى شامخا في منتصف القرن الثاني، له حلقاته الواسعة، وأعلامه**

الشامخة، ومصطلحاته الدقيقة، ومصادره المدونة، إلى أن طبق في مصنفات قائمة في القرن الثالث.

وإذا كنا لا نزال نسمع الغمز واللمز، والطعن والنبز في أرفع الصحابة رواية،وأعظمهم في السنة أثرا، ويروج ذلك فيها كتب تطبع وتشترى، فوالله ما هذا إلا دليل على جهل هذه الأمة بمقدار ما تروج فيه هذه الكتب، وضعف أهل الحديث والسنة بقدر ما يتركون الساحة لهذا العبث أن يروح ويغدو.

إن هناك حاجة ملحة وسريعة لدرس رواية المكثرين السبعة أو العشرة من الصحابة دراسة منهجية مقارنة من جهات شتى،ومتسلسلة إلى أن دخلت الكتب المنقولة عن أصحابها بالتواتر، معروفة عند الأمة باليقين، وأن تتوسع هذه الدراسات، وتعمم نتائجها على أوسع نطاق وأبعد مدى، وسيكون بذلك منعطف جديد للدراسات الحديثية الآتية بعدها بإذن الله تعالى، وكذلك دراسة روايات المكثرين من التابعين، وخاصة الذين تعرضوا للطعن والتجريح كالزهري وأمثاله،ويكثر حتى تصبح نتائجها مشهورة مذكورة تقطع دابر كل معاند ومشكك..[1].

وإني لأتساءل على سبيل المثال كم دراسة بين يدي الباحثين والدارسين الأكاديميين والمثقفين حول الحديث الموضوع وتمييزه من الصحيح وغيره، وتتبع العلماء للوضاعين الكذابين والأساليب العلمية الدقيقة لرصد الموضوعات أحاديث وكلمات؟! . . . إنها قليلة جداً بالنسبة لخطورة هذه الفكرة وتأثيرها على المسلمين في جميع طبقاتهم واهتماماتهم وتوجهاتهم، ولهذا فالحديث عن ضبط السنة من مصدرها، والكشف عن بيان مسالكها، واستمرارها والإعلان بالمناهج المتفردة لأعمالهم فيها، من أجلٍ ما يخدم مقدسات هذه الأمة، ويصون وحدتها الفكرية، ويطوي سراب التيه والعبثية، ويطمئن القلوب والأفكار إلى سلامة عقائد وعبادات ومعاملات

---

(١) وقد رأيت ذكر دراسة عن أبي هريرة رضي الله عنه من خلال مروياته، ولكن تعدد الدراسات تعمق القضية، وتزيد من إيضاح الحقيقة.

وأخلاق هذه الأمة .**وكلما كثرت الدراسات في هذا الباب، كانت أشبه ما يكون بمساقط ضوء من جوانب كثيرة تنير ساحة السنة النبوية لكل الناظرين كيفما كانت مواقعهم أو ثقافاتهم...**

ب ـ إن مناهج السنة النبوية قد أفرزت مصطلحات خاصة تمثل شبكة معرفية متكاملة، لها دلالات دقيقة هي الناطق الفصيح، والمقول الصحيح لهذه المناهج، فدراستها في شبكتها المتكاملة، إسناداً ومتناً، وتاريخاً وتطوراً، وتطبيقاً وغاية، وشرحاً وتفصيلاً، ونشر ذلك في الأمة بشتى أنواع النشر والتبليغ، حتى تروج على الألسنة، وتظهر أنوارها بصرير الأقلام المتمكنة، وتغدو محور حلقات الدرس المختلفة.

وكم في هذا الميدان من متسع!! وكم له من أثر بناء وعاقبة محمودة تجعل لعلماء السنة والحديث وأعلامه هيبة في النفوس، لقاء جهودهم الزاخرة، وأعمالهم المباركة الطاهرة، المتواترة التي نحتت هذه المصطلحات خلال عقود متطاولة من السنين بل قرون طويلة من رحلات الراحلين، لوصل الأسانيد بالمسندين، حتى تبلغ منتهاها بسيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحابته أجمعين.

إن هذه المصطلحات الحديثية هي مفاتيح هذه المناهج وعنوانها، ونشر مفاهيمها يجعل الناس يدركون ما تحتها من معان صانت السنة، وحفظت الحديث من كل ما يمكن أن يخطر على بال البشر من فتوق العبث والخطر.

وإن أهم ما يمكن التركيز عليه والاعتناء به ليس المصطلح الحديثي في القرون المتأخرة بل في نشأته الأولى، في القرن الأول وتطوره بعد ذلك حتى اكتماله.

وإننا لنلاحظ إلى ساعتنا هذه أن كثيرا ممن يعدون من أهل العلم والثقافة، بل من المتخصصين في الدراسات الشرعية الإسلامية لا يميزون بين نشأة المصطلحات الحديثية وتطبيقها واستعمالها، وبين تدوينها وجمعها في كتب خاصة، وتلقينها مادةً قائمة بذاتها، وعلماً متفرداً بين العلوم، وهذا

يسبب كثيرا من الخبط والخلط، الذي سمح لكتب تتداول منذ سبعين عاما ويزيد، وهي تقرر أن السنة والسيرة النبوية دونت أول كتبها بعد قرنين من عصر النبي محمد ﷺ دسَّت أثناءها في سيرته وتعاليمه إسرائيليات كثيرة، ووضعت أثناءها ألوف الأحاديث المكذوبة... هذه الحقيقة[1] التي يرونها ويعتقدونها، عندهم وفي نظرهم وسعيهم.

ولا يزال كتاب أبو رية: أضواء على السنة المحمدية، مرجعا معتمدا لدى كثير من الذين يتحاملون على الإسلام، بل إنه لقوة الدعاية له أثر في عدد غير قليل من أصحاب الدراسات الإسلامية الذين يقومون بتدريسها وتلقينها للأجيال، فيأخذون من كلامه وآرائه، ومفترياته ويغلفونها بأساليب أخرى، ويقدمونها على أنها أبحاث رصينة، وأعمال مبتكرة، وآراء ناضجة تستحق الجوائز والترقيات؟!!

إن الكشف عن نشأة المصطلح الحديثي وتداوله في حلقات الدرس من القرن الأول والثاني، وبناء المؤلفات على ضوئه وهديه، وتحديد معانيه ودلالاته مفيد جداً للدارسين في السنة النبوية أولا ولغيرهم ثانيا، وللأمة كلها في مسيرتها المعرفية، وبنائها الفكري.

إننا لا نزال نجد الجدل محتدما بين دارسي السنة حول عدد من المصطلحات، كالمجهول والمنكر مثلا، وهذا يدل على أن البحث العلمي في هذه القضايا لم يكتمل في تحديد المصطلحات ودلالتها، وهذا له آثار تبدأ في التصحيح والتضعيف، وتنتهي بناء عليه في التحليل والتحريم، ويستفيد من هذا كل متصيد في الماء العكر طعناً في السنة وتحللا من الدين...

إن هناك قضايا عديدة في المصطلح الحديثي تستحق كثيرا من الجهود

(١) انظر حياة محمد، لمحمد حسين هيكل ص ٢١، ولا تزال طبعات هذا الكتاب وأمثاله تتداول في شرق الأرض وغربها، والغريب أنني أجد أثرها وصداها في أوساط المثقفين على تعدد اختصاصاتهم، ويؤمنون بذلك إيمانا شديدا مما يمهد الطريق للعلمانية الحديثة القوية...

والتأمل والبحث، من الذين أقامهم الله لهذا العلم. . .

٢- عقد الصلة بين السنة والواقع الذي نحياه، وقد حلَّت فيه مفاهيم جديدة، وسلوك طارئ، وتغيرات مؤثرة، وذلك في جوانب عديدة آخذ منها اثنين تذكيراً:

١- تنقيح الفقه الإسلامي مما فيه من الواهي والمنكر وما لا أصل له، وما لا يصح للاستنباط أو للاستئناس، فمسيرة الفقه الإسلامي والحمد لله قوية متعاظمة متصاعدة، ولكن إفادتها من دراسات السنة لا تزال محدودة. . .

لقد انطلق عند المحدثين والعاملين في خدمة السنة باب في غاية الأهمية والنفع، ألا وهو التخريج، ويتناول مصنفات معتمدة في كل مذهب، لها من القبول والرواج والعناية الشيء الكثير، فيأخذ الأحاديث التي اعتمد عليها المصنف في استنباط الأحكام، ويبينها من حيث الصناعة الحديثية بتفصيل وينتهي إلى ما يصح الاعتماد عليه في الأحكام أو ما لا يصح، وكان في هذا الباب كتب عظيمة ذات وزن وتأثير،ولعل أول من نبه إلى هذه المسألة الهامة حسب ما يحضرني هو الإمام الحافظ الكبير أحمد بن الحسين البيهقي المتوفى ٤٥٨ هـ، وذلك حين اطلع على ثلاثة أجزاء من كتاب معاصره أبي محمد الجويني، والد إمام الحرمين المتوفى ٤٣٨هـ، المسمى: المحيط، ووقع فيه على أحاديث غير صحيحة، ومنها الواهي وشديد الضعف. . .

فكتب له رسالة قال فيها[1]: ثم إن بعض أصحاب الشيخ أدام الله عزه وقع إلى هذه الناحية فعرض علي أجزاء ثلاثة مما أملاه من كتابه المسمى بالمحيط، فسررت به، ورجوت أن يكون الأمر فيما يوردون الأخبار على طريقة من مضى من الأئمة الكبار لائقا بما خص به من علم الأصل والفرع، موافقاً لما ميِّز به من فضل العلم والورع، فإذا أول حديث وقع عليه بصري

(١) انظر طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٥/٧٧-٨٣.

الحديث المرفوع في النهي عن الاغتسال بالماء المشمس، فقلت في نفسي: يورده ثم يضعفه، أو يصحح القول فيه، فرأيته قد أملى...

إلى أن قال: وعندي أن من سلك من الفقهاء هذه الطريقة في المساهلة أنكر عليه قوله، مع كثرة ما روي من الأحاديث في خلافه، فسبيله أدام الله توفيقه علي في مثل هذه الأحاديث: (روى عن فلان) ولا يقول: (روى فلان) لئلا يكون شاهدا على فلان بروايته من غير ثبت، هو إن فعل ذلك وجد نفسه متبعاً.

فقد أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال: سمعت أبا الوليد الفقيه يقول: لما سمع أبو عثمان الحيري من أبي جعفر بن حمدان كتابه المخرج على كتاب مسلم كان يديم النظر فيه فكان إذا جلس للذكر يقول في بعض ما يذكر من الحديث: قال رسول الله ﷺ، ويقول في بعضه: روي عن رسول الله ﷺ، وأبو عثمان الحيري يحتاط في هذا النوع من الاحتياط فيما يدير من الأخبار في المواعظ، وفي فضائل الأعمال، فالذي يديرها في الفرض والنفل.

ويحتج بها في الحرام أوالحلال أولى بالاحتياط، وأحوج إليه...

وقد صدر الإمام البيهقي رحمه الله رسالته بعد الثناء على الجويني بقوله:

وقد علم الشيخ أدام الله توفيقه اشتغالي بالحديث، واجتهادي في طلبه، معظم مقصودي فيه في الابتداء: التميز بين ما يصح الاحتجاج به من الأخبار، وبين ما لا يصح.

حتى رأيت المحدثين من أصحابنا يرسلونها في المسائل على ما يحضرهم من ألفاظها، من غير تمييز منهم بين صحيحها وسقيمها.

ثم إذا احتج عليهم بعض مخالفيهم، بحديث شق عليهم تأويله، أخذوا في تعليله مما وجدوه في كتب المتقدمين من أصحابنا تقليداً، ولو عرفوه معرفتهم لميزوا صحيح ما يوافق أقوالهم من سقيمه، ولأمسكوا عن كثير مما يحتجون به، وإن كان يطابق آراءهم، ولاقتدوا في ترك الاحتجاج برواية الضعفاء والمجهولين بإمامهم.

فشرطه فيمن يقبل خبره عند من يعتني بمعرفته مشهور، وهو بشرحه في كتاب (الرسالة) مسطور، وما ورد من الأخبار بضعف روايته، أو انقطاع سنده كثير، والعلم على من جاهد فيه سهل يسير، ... إلخ.

ولعل البيهقي كان له موقف سبق عظيم في هذا الميدان، إذ أخذ مختصر المزني الذي رتب فيه كلام الشافعي ودعمه، أو يمكن القول بأنه شرحه بالحديث والسنن والآثار، ودلل عليه بذلك في كتابه السنن الكبرى، ومعرفة السنن والآثار.

ولعلها أهم محاولة وصلتنا لبناء الفقه على الحديث، ولبيان القوي من الأقوال، والضعيف بناء على هذا الأصل المتفق عليه.

وكان هناك محاولة عاصرتها، وهي محاولة ابن حزم الأندلسي المتوفى **٤٥٦هـ**، إذ شرح مختصره الفقهي الذي سماه (المجلى) بالنصوص الصحيحة والآثار، متنكبا القياس وضعيف الروايات، والأخبار كما يقول في كتابه (المحلى) وقد بين في خطته في صدره فقال: رغبتم أن نعمل للمسائل المختصرة التي جمعناها في كتابنا الموسوم بالمجلى شرحا مختصراً، نقتصر فيه على قواعد البراهين بغير إكثار، ليكون مأخذه سهلا على الطالب والمبتدئ، ودرجا إلى التبحر في الحجاج، ومعرفة الاختلاف، وتصحيح الدلائل المؤدية إلى معرفة الحق مما تنازع الناس فيه، والإشراف على أحكام القرآن، والوقوف على جمهرة السنن الثابتة عن رسول الله ﷺ وتمييزها مما لم يصح، والوقوف على الثقات من رواة الأخبار، وتمييزهم من غيرهم... وليعلم من قرأ كتابنا أننا لم نحتج إلا بخبر صحيح، من رواية الثقات مسند، ولا خالفنا إلا خبرا ضعيفا فبينا ضعفه، أو منسوخا فأوضحنا نسخه..[١].

وقد خالف ابن حزم مخالفون، وعارضه في أحكامه الحديثية والفقهية معارضون، ولكن عمله من بناء الفقه على الحديث والسنة مع آي الكتاب،

---

(١) المحلى ١/٢.

محاولة رائدة تستحق أن تؤثر وتتبع، مع وضع الضوابط والقواعد الراسخة الواضحة لتكون معالم هادية في طريق تجديد الفقه وبعثه.

وقد سلف قبل هذين الإمامين في هذا الميدان الإمام العلم أبو جعفر أحمد بن سلامة الطحاوي المتوفى ٣٢١هـ، في كتابه شرح معاني الآثار، وعنوانه ينبئك عن مضمونه، ولنا معه وقفة في غير هذا الموضع.

وقد فتح البيهقي باب تنقيح كتب الفقه المذهبية، وبيان ما فيها من نصوص في ميزان المحدثين، فتلاه الحافظ أبو بكر بن موسى الحازمي المتوفى ٥٨٤هـ في تخريجه لكتاب المهذب للشيرازي في فقه الشافعية، وغير ذلك من المصنفات التي بدأت تتكاثر في هذا الباب بعده؛ ككتاب نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية، للحافظ جمال الدين الزيلعي المتوفى ٧٦٢هـ، والهداية من أجل كتب الفقه الحنفي، ألفه برهان الدين علي بن أبي بكر الفرغاني المتوفى ٥٩٣هـ.

ومثله: البدر المنير في تخريج الشرح الكبير لابن الملقن أبي حفص عمر بن علي بن أحمد المتوفى ٨٠٤هـ، والشرح الكبير وهو فتح العزيز شرح الوجيز للإمام أبي القاسم عبدالكريم الرافعي المتوفى ٦٢٣هـ، والوجيز كتاب للإمام أبي حامد الغزالي المتوفى ٥٠٥هـ في الفقه الشافعي.

وكذلك مختصره المسمى: التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الشرح الكبير للحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفى ٨٥٢هـ.

وهذا التوجه الذي ركز على أهم كتب الفقه الإسلامي وبيان مواطن الاستدلال الضعيفة في الفقه الإسلامي، كان الغرض منه تنقيح كتب الفقه الإسلامي من كل نقاط الضعف ونفضها من ذلك، وإعادة الفقهاء والمتشرعين إلى صحيح السنة وقويها، وفي هذا يقول الحافظ أبو حفص ابن الملقن الشافعي في صدر كتابه البدر المنير[1]: (لكنه ـ أي الإمام الرافعي ـ

(١) انظر البدر المنير ١/٣١٠.

أجزل الله مثوبته، مشى في هذا الشرح المذكور على طريقة الفقهاء الخلّص في ذكر الأحاديث الضعيفة والموضوعات، والمنكرة والواهيات، وهي التي لا تعرف أصلاً في كتاب حديث، لا قديم ولا حديث، في معرض الاستدلال من غير بيان ضعيف من صحيح، وسليم من جريح).

وقال قبل ذلك: اتفاق أهل الحل والعقد على أن شرط المجتهد من القاضي والمفتي، أن يكون عالما بأحاديث الأحكام ليعرف بها الحلال والحرام، والخاص من العام، والمطلق من المقيد، والناسخ من المنسوخ في شبه ذلك[١].

ويقول الحافظ ابن حجر العسقلاني في صدر كتابه التلخيص الحبير[٢]: وأرجو إن تم هذا التتبع أن يكون حاويا لجل ما يستدل به الفقهاء في مصنفاتهم في الفروع، وهذا مقصد جليل.

وقد امتد هذا التنقيح والتصفية والتصحيح إلى ميادين أخرى غير الفقه، في طليعتها علم الأصول، وإشادة بنائه وتفسير الكتاب العزيز، ولهذا كانت كتب التخريج لكتب الأصول متساوقة مع كتب الفقه في هذا نجد عددا غير قليل من تخريجات كتب الأصول بدأت مبكرا، ومن آخرها كتاب شيخنا السيد عبد الله بن الصديق الغماري: تخريج أحاديث اللمع لأبي إسحاق الشيرازي وهو مطبوع متداول.

ومع هذه الجهود النيرة والأعمال الباهرة المتكاثرة، نجد أن أثرها في الفقه المعاصر محدود، بل لو قال قائل إنه غير موجود لكان لكلامه قسط كبير من الصحة، إذ إننا لو تفحصنا كتب الفقه التي تؤلف حديثا لوجدنا جلها لا تختلف عن الكتب السالفة مثل الهداية والمهذب وما يتبعها من مصنفات فقهية، وقد أحزنني أن أرى كتابا جليلا في الفقه، بل هو أوسع كتاب صدر في العصر الحاضر، وقد اشتغل فيه باحثون كثيرون، وأنشئت له مؤسسة واسعة، وأنفقت فيه جهود وأموال طائلة ألا وهو: (الموسوعة

---

(١) انظر البدر المنير ١/٢٠٤.

(٢) انظر التلخيص الحبير ١/٩.

الفقهية) التي تصدرها وزارة الأوقاف بالكويت، وقد استمر العمل فيها عقوداً متطاولة من السنين، ويصدر في ثناياه الكثير من الأحاديث الضعيفة والواهية أو التي ذكرها الفقهاء ولا وجود لها في كتب الحديث القديم والحديث كما يقول ابن الملقن، ولا يكفي أن نقول في حاشية الكتاب عن الحديث: إننا لم نجده، بل يجب حذفه، وما انبنى عليه من أحكام شرعية، ولو كانت ندبا أو استحباباً أو كراهة... وكلها أحكام تشريعية.

وكذلك وجدت بعض الكتب الفقهية التي ألفها فقهاء معروفون، ومنها كتب سائرة، ولكنها أودعت أحاديث واهية وضعيفة ومنكرة كأي كتاب ألف قبل قرون في عصور الضعف وجمود الفقه، وهذا يدل على انقطاع أو شبه انقطاع بين هذه الحركة الحديثية المباركة، وبين الحركة الفقهية التي يتوجب عليها الاستفادة القصوى من عطاءات السنة المباركة، وجهود الباحثين فيها لتكوين نهضة معرفية إسلامية صحيحة إن شاء الله.

وكأن الأمر قد عاد إلى الوراء إلى زمن أبي سليمان الخطابي المتوفى ٣٨٨هـ، حين صور ذلك في صدر كتابه معالم السنن فقال[١]: ورأيت أهل العلم في زمننا، قد حصلوا حزبين، وانقسموا إلى فرقتين: أصحاب حديث وأثر، وأهل فقه ونظر، وكل واحدة لا تتميز عن أختها في الحاجة، ولا تستغني عنها في درك ما تنحوه من البغية والإرادة.

لأن الحديث بمنزلة الأساس الذي هو الأصل، والفقه بمنزلة البناء الذي هو كفرع، وكل بناء لم يوضع على قاعدة وعلى أساس فهو منهار، وكل أساس خلا من بناء وعمارة فهو قفر وخراب.

ووجدت هذين الفريقين على ما بينهم من التداني في المحلين، والتقارب في المنزلتين، وعموم الحاجة إلى بعض، وشمول الفاقة اللازمة لكل منهم، إلى صاحبه إخوانا متهاجرين، وعلى سبيل الحق بلزوم التناصر والتعاون غير متظاهرين...

---

(١) معالم السنن ٣-١/٤.

فأما الطبقة الذين هم أهل الأثر والحديث، فإن الأكثرين منهم، إنما وكدهم جمع الروايات... وأما الطبقة الأخرى، وهم أهل الفقه والنظر، فإن أكثرهم لا يعرجون من الحديث إلا على أقله، ولا يكادون يميزون صحيحه من سقيمه، ولا جيده من رديئه، ولا يعبؤون بما بلغهم منه أن يحتجوا على خصومهم إذا وافق مذاهبهم التي ينتحلونها، ووافق آراءهم التي يعتقدونها، وقد اصطلحوا على مواضعة بينهم في قبول الخبر الضعيف، والحديث المنقطع، إذا كان ذلك قد اشتهر عندهم، وتعاورته الألسنة فيما بينهم من غير ثبت فيه، أو يقين علم به، فكان ذلك ضَلَّةً من الرأي، وغَبناً فيه...

وإذا بقينا ندور في فلك الجمع بين السليم والسقيم، فلن يكون هناك أثر للدراسات الحديثية، وستبقي هذه الدراسات تدور حول نفسها في أهم حقل وميدان لها، ألا وهو ميدان الفقه والتشريع، ولابد من وقفة طويلة عميقة في هذه المسألة، وعقد صلة حقيقية بين الدراسات الحديثية والفقه والتشريع.

٢- لما كان القرآن الكريم والسنة النبوية فيهما المنهج السوي، والمشرع الرضي لشؤون الحياة خاصة وعامة، ترى لزاما أن تكون هناك دراسات أصيلة تقوم على الكتاب والسنة في جوانب الحياة المتجددة، في الأخلاق، والمجتمع والاقتصاد، والسياسية، والطفولة، والمرأة والتربية، وعلم النفس، والعلاقات الإنسانية والدولية... وتكون قائمة أساسا على آي الكتاب العزيز، وصحيح السنة وحسنها، وما يصلح للاعتماد من الأحاديث النبوية الشريفة، ويكون هذا على طريقة فقهاء السنة الأقدمين، وليس على طريق الفقهاء المذهبيين.

وإن أخذت هذه الدراسات التي يمكن أن نطلق عليها بمصطلح عصرنا: الدراسات الحضارية، المنهج السديد، في نفي الواهيات والموضوعات، والشواذ والمنكرات، والضعاف غير المقبولة، مع الأخذ بضوابط الفهم السليم، وسنأتي إليها فستكون هذه الدراسات مرحلة جديدة

في ربط السنة بالحياة، وبعث روح الفقه الإسلامي، بل في تجديد الحياة الإسلامية كلها.

ولاشك أن هناك دراسات بدأت تشق طريقها في هذا الميدان، ولكنها تحتاج إلى شيء من التركيز والتعميق، والتوسعة.

وهنا نصل إلى أمر لابد أن يسير إلى جانب نصوص السنة النبوية، ويلازمها لما له من خطورة وتأثير، وبيان لها وتفسير ألا هو:

٣- إبراز القواعد والضوابط لفهم السنة النبوية-فهما صحيحا- وتجاوز الفهم السطحي البسيط الذي يقترب من فهم الأميين والعامة، هذه القواعد والضوابط التي كان يسلكها الأئمة من عصر التابعين إلى أن استقر في المكتبة الإسلامية علم اسمه (فقه السنة) بمؤلفاته المتميزة، وعناوينه البارزة، ومصادره الخاصة التي تداولتها حلق الدرس في المشرق والمغرب، وأصبحت مطمح أبصار الباحثين في كل مكان.

وعلى ضوء هذه القواعد والضوابط، كان تنقيح الفهم للإسلام عامة، والسنة النبوية خاصة يعتري الأمة فتنفض ما علق بالإسلام من غبار وأوضار، وتأكيداً لهذا الذي أقول ألفت نظر الباحث المنصف إلى الأئمة الكبار الذين وسموا بسيما التجديد للإسلام بناء على ما بينه النبي ﷺ أن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها[1]. إن هؤلاء المجددين، والمتفق على تجديدهم هم الذين كانوا يعيدون للسنة النبوية مكانتها في النفوس، وحيويتها في المجتمع، ونضارتها في حلقات الدروس، ويعيدون الربط الحقيقي للمجتمع بها، وذلك بتأكيد وتجديد ضوابط الفهم وقواعد التأصيل، وإلا فالسنة كانت دائما موجودة سائرة، ولكن الفهم الصحيح لها هو الذي كان يتجدد في العقول والحنايا والضمائر.

وقد كانت عناية السلف الصالح رضوان الله عليهم في البحث عن هذه القواعد المؤصلة شديدة ودؤوبة، وكان أول أصولهم بعد تثبيت النص

(١) أخرجه أبو داود في سننه: الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة رقم ٤٢٩١.

وتصحيحه أن يضعوه الموضع الصحيح، وهل هو ناسخ أو منسوخ، أو راجح أو مرجوح، وهل هو قوي أو أقوى، وهل هو على جهة المباح أو الأمر. . . ،ولذلك نجد أمثال الإمام الزهري حافظ التابعين يقول لهم[1]: كانوا يرون أن آخر الأمرين من رسول الله ﷺ هو الناسخ للأول.

ولشدة فحصهم عن ذلك وتنزيل النصوص منازلها، وتتبعهم لمواردها ومواطنها، كان يقول لهم كذلك ـ أي الزهري ـ[2]: أعيا الفقهاء، وأعجزهم أن يعرفوا ناسخ حديث رسول الله ﷺ من منسوخه، وقد كان إبراهيم النخعي مبرزا في هذا.

قال الشافعي رحمه الله تعالى[3]: وفي الحديث ناسخ ومنسوخ. . . ولا يستدل على الناسخ والمنسوخ إلا بخبر عن رسول الله ﷺ، أو بقول أو بوقت يدل على أن أحدهما بعد الآخر، فيعلم أن الآخر هو الناسخ، أو بقول من سمع الحديث، أو بقول العامة أو بوجه آخر. . .

ومنها ما يكون اختلافاً في الفعل من جهة أن الأمرين مباحان، كاختلاف القيام والقعود، وكلاهما مباح. . . ومنها ما جاء جملة، وآخر مفسراً، وإذا جهل جعلت الجملة على أنها عامة عليه رويت بالشيء منه عاما تريد به الخاص، وهذان يستعملان معاً.

ويزيد الإمام الطحاوي الأمر إيضاحاً وإفصاحاً أمام أهل العلم فيقرر في صدر كتاب شرح مشكل الآثار فيقول: وإني نظرت في الآثار المروية عنه ﷺ بالأسانيد المقبولة التي نقلها ذو التثبت فيها، والأمانة عليها، وحسن الأداء عليها، فوجدت فيها أشياء مما يسقط معرفتها والعلم بها عن أكثر الناس، فمال قلبي إلى تأملها، وتبيان ما قدرت عليه من مشكلها، ومن استخراج الأحكام التي فيها، ومن نفي الإحالات عنها. . . وما كان من

---

(١) انظر الناسخ والمنسوخ لابن شاهين ص ١٠٥ ـ ١٠٦.
(٢) انظر الناسخ والمنسوخ لابن شاهين ص ١٠٥ ـ ١٠٦.
(٣) انظر اختلاف الحديث ملحق بالأم ٨/٥٩٩.

الشافعي والطحاوي ومن سلك هذا المهيع الشريف، من وضع الضوابط والقواعد المؤصلة التي يستهدون بها لاستنباط الأحكام الشرعية هو الذي أعطى لهؤلاء الذكر الحسن، ولكتبهم القبول والإقبال، والانتشار والاهتبال، ولم يتركوا الباب مفتوحاً لكل مجازف جهول، أو لكل غافل غير مسؤول. . . وحرصا من السلف الصالح على ضبط هذا الباب، تنامت أعمالهم المباركة مع الأيام، وقطعت الطريق على كثير من العابثين والزائفين.

وللباحث المنقب أن يلاحظ أن كتب فقه السنة عبر العصور، **كان أصحابها من أهل الحديث المنتسبين إليه، ولكنهم أضافوا إليه معرفتهم بضوابط الاستنباط وقواعد الفهم، فجمعوا بين الفقه والحديث، وهو مطلب عزيز، وشرف عال، فعلا شأنهم، وغلا في سوق المعرفة فكرهم، وإنتاجهم وعطاؤهم**، وحري بالباحثين والدارسين حصر هذه الكتب، وهي كثيرة والتعريف بها وبأصحابها، وإشاعة ذكرها، وبعث مخطوطها لتكون نبراساً مضيئاً في طريق الأجيال القادمة إن شاء الله.

٤- حقيق بأهل السنة النبوية اليوم إحياء حلقات درسها في الأصقاع والربوع، في المساجد والبيوت، والربط والزوايا، في المدن والقرى. . . لتعم بركتها، وينبعث أثرها، ولقد كان الأوائل لهم في كل مدينة حلقات لإملائها، فكان مجدهم عاليا،وصرحهم غاليا، وكلما كانت الأمة تمر بمحن كانوا يجددون فيها حلقات السنة، ويذكرون رجالاتها، ويعرفون نقلتها وروادها، وهم نجوم الهداية، فتبعث في الأمة روح جديدة، وقوة فريدة فتهب عليها رياح الرخاء والهناء، والنصر والفلج على الأعداء الماديين والمعنويين.

وما أحوج المسلمين اليوم إلى تحويل ساحة هذا العالم المضطرب المضطرم، المتعارك المزدحم، إلى ميدان فسيح لدراسة السنة النبوية، وإعلاء منارها، وإن كانت الأمة لا تخلو من خير، فما أحوجنا إلى توسيع دائرته، ومد رواقه وآفاقه!.

وما أحوج الأمة إلى تشجيع حلقات البحث والتدريب على السنة النبوية

ومصادرها ومسالكها، وطريقة تخريجها، وتطوير المسالك الرشيدة للتعامل معها في دورات علمية أكاديمية تحتضنها مراكز مرموقة، وبنخبة راسخة موثوقة، لنتجاوز الغلو والإسراف، أو الجمود على الرأي أو التطرف به والانحراف، ولنزيح من طريق السنة ما تراكم فيه ويمنع انسيابها، وباسمها من تشويه وعبث من محب جهول، أو عدو دؤوب صؤول. . .

إن الدورات التدريبية اليوم في المعرفة في أنواعها المختلفة، وتتابع هذه الدورات قد غدا جزءاً من المعرفة وارتفاع شأنها واستمرار مسيرتها، أفليست السنة النبوية حقيقة بهذا وأكثر منه؟!!

أليست حرية بأن تبذل في سبيلها المهج والأرواح وما دون ذلك من كل غالٍ ونفيس لتكوين أجيال تعيد الأمر إلى نصابه، وترجع عصر السنة النبوية- وهي قاعدة المعرفة- إلى فتوته وشبابه؟!!

إنها حقيقة بذلك وزيادة، والأمر يحتاج إلى تنسيق الجهود، وضبط الإمكانيات وتصرفات الراشدين الحكماء، ولو حصلت هناك بعض ثغرات فيمكن تجاوزها مع الأيام إن صحت العزائم وصلحت النيات.

٥- إن هناك عوادي متكاثرة، أثرت في عدوانها على السنة النبوية، وأساءت جراء ذلك إلى هذه الأمة كلها، ولها رؤوس مختلفة، ويمكن تصنيفها إلى عدة شعب:

أ ـ العدوان على كتب السنة بطبعها بأنواع الطباعة قديمها وحديثها، مشوهة مبتورة، ويدخل في ذلك الدس فيها مما ليس منها، إما بعناوين أو إضافات أو شروحات، وتدخل في النصوص، فالناشئون الأغرار يعتقدون أن ذلك من السنة، أو من المصنفين الأوائل فيها، هذه إساءة بليغة، وعلى توالي الأيام يمكن أن تزاح هذه الإشارات الباهتة البسيطة التي يختبئ بها واضعوها، وتدمج في النصوص، فتفقد الثقة بهذه الكتب قيمتها، وتصبح محل شك كبير، واضطراب خطير، وأس المسألة بسيط يمكن تفاديه بوقوف كل واحد من أهل العلم عند حدِّه..

ب ـ ويدخل في هذا الغيض المتكاثر من تخريجات هذه الكتب بشكل

يعلن عن الجهل بل والعناد، كمن يأتي لكتاب جليل، ويخرج أحاديثه ويحيل إلى مجموعة من الكتب ليست من هذا المهيع بسبيل عنوانا للتكثر، ويقيني أن فاعل ذلك داخل في قول المصطفى عليه الصلاة والسلام المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور[١].

ولأنبه إلى هذه الطائفة غير قليلة العدد، وهي كثيرة الوسائل والعدد، والعدوان على هذا الميدان بمثال: فهم يحيلون في تخريجاتهم إلى: إتحاف السادة المتقين في شرح إحياء علوم الدين، وإلى الموضوعات لابن الجوزي، والعلل المتناهية، ومجمع الزوائد، وكنز العمال، وكشف الخفا للعجلوني، واللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، والدر المنثور، والشفا، وتفسير القرطبي، وتفسير ابن كثير، ومشكاة المصابيح، والأمالي لابن الشجري، والأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة للقاري، والبداية والنهاية لابن كثير، فتجد بعضاً من هذه الكتب مصادر للتخريج، بجانب الصحيحين، والسنن والمسانيد، وغيرها من مصادر السنة، وهذا خطل في الرأي، وجهل عظيم.

ويضاف إلى هذا من يخرج حديثا وهو في الصحيحين أو السنن، أو الكتب الستة فيجعل تخريجه في صفحات متوالية تكثراً وتسويداً للورق، ومعلوم عند طلاب العلم المبتدئين أن للتخريج أصوله، وقواعده وضوابطه، درج عليه الأئمة منذ قرون، وتوارثوه مع الأيام، فإذا تعداه الإنسان نظروا إليه باشمئزاز واستهجان.

وأنقل هنا تبصرة وتذكرة نصاً جليا لأحد أئمة التخريج، وهو ابن الملقن المتوفى ٨٠٤هـ، إذ قال رحمه الله[٢]: فإن كان الحديث أو الأثر في صحيحي الإمامين، أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، وأبي مسلم بن الحجاج القشيري، أو أحدهما، اكتفيت بعزوه إليهما، أو إليه، ولا

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما، من حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما.

(٢) انظر البدر المنير في تخريج أحاديث الشرح الكبير ١/٣١٨.

أعرج على من رواه غيرهما من باقي أصحاب الكتب الستة والمسانيد، والصحاح لأنه لا فائدة في الإطالة بذلك.

وإن لم يكن الحديث في واحد من الصحيحين، عزوته إلى من أخرجه من الأئمة كمالك في موطئه، والشافعي في الأم، ومسنده الذي جمع من حديثه، وسننه التي رواها الطحاوي عن المزني، وسننه التي رواها أبو عبد الله محمد بن الحكم عنه، وأحمد في مسنده، وعبد الله بن وهب في موطئه، وأبي داود في سننه، وأبي عيسى الترمذي في جامعه، وأبي عبدالرحمن النسائي في سننه الكبير والصغير المسمى بالمجتبى، وأبي عبد الله بن ماجه القزويني في سننه، وأبي عوانة في صحيحه، وإمام الأئمة محمد بن إسحاق في القطعة التي وقفت عليها من صحيحه، وأبي حاتم بن حبان في صحيحه المسمى بالتقاسيم والأنواع، وفي كتابه وصف الصلاة بالسنن،وأبي بكر الإسماعيلي في صحيحه، وأبي عبد الله الحاكم في المستدرك على الصحيح... إلخ.

وهكذا يكشف عن طريقته في التخريج من أهم الكتب وأقدمها، ولا يذكر ما هو تكرار إلا لإضافة فائدة، تعود على القارئ بصلة زائدة، أما هذا الحشو والإطالة،والخبط والخلط، فإنه والله شوه كثيراً من الكتب التي تخرج نصوصها بهذه الكيفية.

وصنو هذا العمل من يتكلم عن الرجال، فينقل الصفحات الطوال، ويخبط في تراجم المحدثين ظاناً أن تكثير الصفحات، وتكبير الكتيبات إلى مجلدات يضع صاحب هذا العمل في عليا المقامات، وهيهات هيهات، فما ذلك إلا اعتداء على العلم وطرائقه ومنهج أهله الذين كانوا يقتصدون حتى بالكلمات..!!

وقد دخل في هذا الميدان نفر ليسوا من أهله، بل هم من تخصصات أخرى، تارة بضاعتهم من الأدب وشؤونه،وتارة من التاريخ وفنونه، وتارة من الطب وأحزانه وهمومه. فأساءوا من حيث شاءوا أم لم يشاءوا،وظنوا وظن معهم نفر من الناس أنهم قد أحسنوا وأجادوا، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

٣- ومن أهم العوادي حملات التشكيك والطعن في السنة النبوية، ثبوتا ونقلا وحجية،وتعدوها اليوم إلى التملص من مضامينها تحت أسماء كثيرة وعديدة، تارة باسم اجتهاد الرسول ﷺ، وتارة باسم تصرفاته بالإمامة، أو بالمصلحة، أو... وتارة باسم التفسير العلمي والتجديد... إلخ.

وإن الناظر في هذه الحملات سواء كانت من ديار المسلمين، أو كانت من تخرصات المستشرقين يجد أن أكثرها تكرار وترداد، لما كان في الماضي الذي بدأ مع الترجمة والأفكار الوافدة، في القرن الثاني للهجرة، وقد لخص الإمام الشافعي في مصنفاته، وعلى وجه الخصوص (الرسالة) و(جماع العلم) جل ما كان يروج في عصره، وهو يناظرهم، ويسمع دعواهم، وقد تبعه على هذا النهج آخرون من هداة هذه الأمة، فكلما نبغت شبهة، وأطلت فتنة وجدت من يرد عليها ويقمع رؤوسها، وكان ذلك بفضل الله تعالى عبر العصور، يأخذون كلام الخصوم بأمانة ويدمغونه بالحجة.

وخذ على سبيل المثال ما سطره الإمام ابن قتيبة الدينوري في كتابه: تأويل مختلف الحديث، مصدراً بقوله: وأعدت ما ذكرت في كتبي من هذه الأحاديث ليكون الكتاب جامعاً للفن الذي قصدوا الطعن به، وتوقف قبل ذكر الأحاديث، وكشف معانيها، وصف أصحاب الكلام، وأصحاب الحديث بما أعرف به كل فريق.

وأرجو ألاّ يطلع ذو نهى مني على تعمد لتمويه، ولا إيثار لهوى، ولا ظلم لخصم...[1].

ثم تتبع فرق الطاعنين في الحديث كلا أو بعضاً، وبين طعن كل فريق بإيجاز وتركيز، فبدأ بذكر الفرق ثم بأصحاب الكلام والفلسفة، كأبي هذيل العلاف، والنظام والنجار، وهشام بن الحكم، وثمامة بن أشرس ومويس... وغيرهم، وذكر أصول انحرافاتهم في الأسماء والصفات، ثم

---

(١) انظر كتاب تأويل مختلف الحديث ص ١٢.

في الأحكام الشرعية والفقهيات، ثم طعنهم في الصحابة وما ادعوه عليهم من التناقض والخطأ، وردَّ عليهم ضلالاتهم بإحكام وإفحام، وما أنكروه من أن ثبوت الخبر لا يكون إلا بنقل العدد الكثير والجمع الغفير، بدءاً من اثنين وانتهاءً بسبعين أو يزيد،ثم أتبعهم بأصحاب الرأي ومجانبتهم للأحاديث والسنن، وما كان موقف السلف منهم، وخص بالذكر الإمام الحافظ إسحاق بن راهويه المتوفى **٢٣٤هـ**.

ثم ذكر اعتراضات الرافضة على السنة وأمثلة من تفاسيرهم العجيبة للقرآن الكريم، ثم ذكر أصحاب الحديث، وما تجشموه في طلب الآثار والأخبار، والبحث عنها، ومعرفة صحيحها وسقيمها وناسخها ومنسوخها، وكشف عن مخالفها من أصحاب الرأي.

وذكر ما يعيبهم به الطاعنون من حمل الضعيف والغريب والموضوع، وما قد ينساه بعضهم من الحديث بعد تحديثه به، أو ما يحصل لبعضهم من التصحيف واللحن، وحمل الغلط والمتناقض... إلخ.

فكشف عن عوار هذه الاعتراضات، وأثبت أنها من المغالطات، ونثر في كتابه الكثير، وأقول: إن من تأمل ما ذكره الإمام الشافعي في كتبه من الرد على الطاعنين في السنة وشبههم، وما ذكره ابن قتيبة، يجد أن هذه الاعتراضات تتكرر عبر العصور، حتى عصرنا الحاضر الذي بدأت فيه سهام التشكيك في الإسلام عامة وفي السنة خاصة، فكانت من أسباب هذه النهضة القوية والحمد لله إذ حركت الهمم وعبأت العزائم للدفاع عن السنة ونصرتها.

وقد عرف المسلمون التشكيك في العالم العربي بأقلام إسلامية قبل أن يعرفوه من المستشرقين، وبدأ ذلك مع الشيخ محمد عبده، ثم رشيد رضا الذي كانت مواقفه مضطربة، وفيها الكثير الذي لا يوافقه عليه أهل الحديث، بل جمهور أهل السنة والجماعة[1] ومن ذلك أنه يقصب أي راو

---

(١) انظر في بيان مواقفه وتفصيلها وتتبعها، كتاب موقف المدرسة العقلية من الحديث النبوي الشريف، دراسة تطبيقية عن تفسير المنار، تأليف شفيق بن عبد الله شقير ط المكتب الإسلامي ١٩٩٨م.

مهما قال فيه أئمة الحديث من ألفاظ العدالة والثقة، إذا جاء بحديث أو أحاديث تعترض هواه وإصلاحه المزعوم؛ كطعنه في عبدالرزاق الصنعاني، ووهب بن منبه، وهمام بن منبه وغيرهما، وهذا يجره إلى الطعن في مصادر حديثية لها وزنها الذي لا يقتحم حماها كالصحيحين، وغيرهما من كتب الحديث.

ويصل به الأمر إلى قصر عدالة الصحابة على بعض دون بعض، ولم يدخر وسعاً في الانتقاء من الأحاديث واستبعاد بعض منها باسم حديث الآحاد، وعدم حجيته.

ورد عدداً من المتون التي بلغ بعضها حد التواتر، ومنها أحاديث اعتقادية، ومنها أحاديث من أشراط الساعة، وأحاديث المهدي، وأحاديث انشقاق القمر، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام، وغير ذلك، ورجوعه إلى التعسف في تأويل عدد غير قليل من النصوص الحديثية.

وعلى النهج نفسه سار عدد من المعاصرين، وتعلقوا بكلام الشيخ رضا وشيخه الشيخ محمد عبده وقد انبثت أفكارهما في المعاصرين، وتعلق بهما في معاداة السنة والحديث أبو رية وجميع العلمانيين، وبعض ذوي النيات الحسنة المجازفين...

ولو أجريت مقارنة بين حملات السابقين والمعاصرين، لوجدت أن المعاصرين يتلقفون كلام السابقين ويتشبعون به وينسبونه إلى أنفسهم، لأنه وافق هواهم، وناسب مسعاهم.

وقد صدرت والحمد لله من المعاصرين كتب جليلة وحفيلة في الرد على من زاغ أو انحرف، ومن أساء القول في السنة النبوية أو في بعض قضاياها وانجرف جزاهم الله كل خير.

والميدان يتسع للمزيد نظرا لكثرة المحاربين للسنة في العقد الأخير من السنين.

وهنا يمكن القول: **إنه لجدير بأهل السنة والحديث أن يصنفوا** -

فرادى أو مجتمعين-موسوعة خاصة تشمل كل هذه الاعتراضات والتشكيكات- كما هي- ويرتبوها حسب ظهورها مع بيان أسبابها، ومن باء بإثمها، ويذكروا من رد عليها من العلماء حسب العصور، مع تلخيص هذه الردود، ودمجها وترتيبها بمنهج ميسر موثق، مع مقدمة جامعة في تاريخ السنة ونقلها في القرن الأول والثاني لتكون مرجعاً ينهل منه كل محبي السنة، وكل من أراد أن يعرف الحقيقة، ويوضع بين يدي الباحثين، وإذا أمكن ترجمتها إلى اللغات العالمية، فستكون خدمة عظيمة للسنة النبوية، وللأمة الإسلامية جمعاء، بل خدمة للإنسانية في حالتها المترنحة التي تحياها. وتبحث عن طريق للخلاص، ولن يكون الخلاص إلا بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ.

وفي الختام أقول: إن هذه أفكار لعلها تراود الكثيرين، ولعل عند بعضهم مزيدا عليها نافعا ومفيدا، دونتها تذكرة لنفسي وتبصرة لمحبي السنة النبوية الشريفة والغيورين عليها.

وإني لعلى يقين أنَّ الله الذي حفظ الكتاب، وحفظ معه السنة الشريفة؛ لتتم الحجة على الخلائق، سيهيئ لها رجالاً وأجيالاً تحفظ آثارها، وتنقل أسفارها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، لأن السنة منهج للسعادة وطريق للأمن.

وقد روينا بالسند المتصل إلى العرباض بن سارية السلمي رضي الله عنه قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع، فأوصنا، قال: أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم، فإن من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة[1].

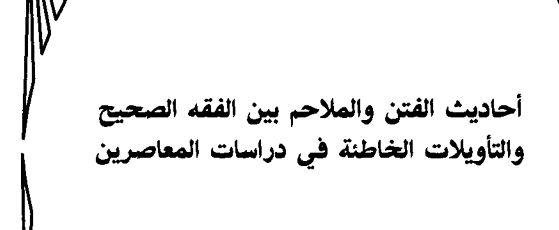
---

(١) أخرجه أبو داود، والترمذي وقال: حسن صحيح، وابن ماجه، وابن حبان في صحيحه وأحمد في مسنده وغيرهم.

وعنه ـ رضي الله عنه ـ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك[1].

اللَّهم إنا نسألك أن تجعلنا من حملة كتابك وسنة نبيك العاملين بهما الذابين عنهما الداعين إليهما القائمين عليهما، ياقريب يا مجيب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في كتاب السنة بإسناد حسن.



أحاديث الفتن والملاحم بين الفقه الصحيح والتأويلات الخاطئة في دراسات المعاصرين

إعداد الدكتور أبو بكر كافي

رئيس قسم الكتاب والسنة ـ

بجامعة الأمير عبدالقادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة - الجزائر



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

أحاديث الفتن والملاحم هي جزء من ميراث النبوة، ومن العلم الشرعي الذي يدين به المسلم ربه تعلماً وتعليماً، يقوي به إيمانه ويحسن به ظنه بربه، ولا يسوغ إهمال هذا الجانب من السنة النبوية، أو تحذير الناس منه بسبب ردة فعل من بعض الجهلة الذين يسلكون منهجا غير سليم وطريقة غير صحيحة في تناول ما ورد في هذا الباب من أحاديث وفقهها بالتعسف في إسقاطها على الوقائع والأحداث الواقعة والمستقبلة، والجزم بذلك دون بينة أو برهان عقلي أو شرعي أو كوني، أو تأويلها وحملها على معان بعيدة لغة وشرعا، لذا أحببت أن أتناول هذه القضية بإبراز الموقف الشرعي الصحيح في التعامل مع ما ورد في السنة من أحاديث الفتن والملاحم، ثم نعرج على المناهج الخاطئة في دراسات بعض المعاصرين، لأنها أصبحت ظاهرة تحتاج إلى الدراسة وبيان الضوابط الشرعية عند أهل الحديث ومنهجهم في هذه الأخبار والمرويات، وقد تناولت هذه القضايا وفق الخطة الآتية: - تعريف الفتن والملاحم.

- عناية علماء الحديث بهذا الجانب من السنة.

- فوائد معرفة أحاديث الفتن والملاحم.

- التعامل الصحيح مع أحاديث الفتن والملاحم.

- التعامل الخاطئ مع أحاديث الفتن والملاحم ومظاهره.

- اعتقادها سنة وقدرا لازما.

- إسقاطها على الأشخاص والوقائع.

- نشوء هذه الظاهرة وحكمها في ميزان الشرع.

- خطورتها وآثارها السيئة.

- نماذج من هذه الظاهرة (كتاب «هرمجدون» دراسة ونقد).

تعريف الفتن والملاحم: قبل الخوض في تفاصيل هذا الموضوع حري بنا أن نضبط المصطلحات ونحدد المفاهيم، فما المراد بالفتن والملاحم؟

قال الراغب: «أصل الفتن إدخال الذهب في النار لتظهر جودته من رداءته، ويستعمل في إدخال الإنسان النار، ويطلق على العذاب»، كقوله تعالى: ﴿ذُوقُواْ فِتْنَتَكُمْ﴾[1].

وجاء في مختار الصحاح: «الفتنة: الاختبار والامتحان»[2].

وقال الفيومي: «والفتنة: المحنة والابتلاء والجمع فتن، وأصل الفتنة من قولك: فتنت الذهب والفضة إذا أحرقته بالنار ليبين الجيد من الرديء»[3].

فالفتنة هي الابتلاء والامتحان والاختبار بالخير والشر والشدة والرخاء، وفي الشدة أظهر معنى وأكثر استعمالا، فكل ما يصيب العبد من بلية

---

(١) فتح الباري ١٣/٥.
(٢) ص٣١٤.
(٣) المصباح المنير: ٤٦٢.

ومصيبة وقتل وعذاب ومعصية وغيرها من المكروهات فهو فتنة[1].

والمراد بها هنا تلك البلايا والمصائب التي تصيب الناس في آخر الزمان قبيل الساعة.

تعريف الملاحم: مفردها ملحمة وهي القتال[2].

وقيل الملحمة هي الوقعة العظيمة في الفتنة[3].

وقال الفيروز آبادي: الملحمة هي الوقعة العظيمة القتل[4].

فالملحمة هي الوقعة التي فيها قتال كبير، ينجم عنه قتل عظيم، والمراد بها هنا في هذا البحث تلك الوقائع العظيمة التي يشترك فيها الفئام من الناس في آخر الزمان بين يدي الساعة.

عناية علماء الحديث بهذا الجانب من السنة: إن الأحاديث والأخبار في الفتن والملاحم من الكثرة والاستفاضة والشهرة بين أهل الحديث بحيث لا يمكن الإعراض عنها أو إغفالها.

وعناية علماء الحديث بها كانت على ثلاثة مستويات:

أولاً: تدوينها وتصنيفها في الكتب حتى لا تندرس، فما فتئ علماء الحديث وأهل السنة والأثر يدرجون في كتبهم أبوابا في الفتن والملاحم، فهذا الإمام البخاري أفرد كتابا للفتن في صحيحه ضمَّنه ٨٦ حديثاً في ٢٨ باباً، والإمام مسلم بن الحجاج خصص في صحيحه كتابا للفتن وأشراط الساعة اشتمل على ٩٥ حديثا في ٢٨ بابا، والإمام أبو داود أفرد في سننه كتابا خاصا للفتن ضمنه ٣٨ حديثا في ٧أبواب وكتابا آخر للملاحم به ٥٩ حديثا و٨ أبواب، كما خصص الإمام أبو عيسى الترمذي كتابا للفتن في

---

(١) انظر مفردات الراغب والفتح ١٣/٥.

(٢) المصباح المنير: ٥٥١.

(٣) مختار الصحاح: ٣٧٧.

(٤) القاموس المحيط: ١٧٦/٤.

جامعه اشتمل على ١١٢ حديثا موزعة على ٧٩ بابا، والإمام ابن ماجه أفرد هو أيضاً كتابا للفتن في سننه اشتمل على ١٧٢ حديثا موزعة على ٣٦ بابا.

ومن أهل الحديث من أفرد كتبا مستقلة في هذا الموضوع منها: كتاب الفتن لنعيم بن حماد الخزاعي، وسيأتي الحديث عنه، والسنن الواردة في الفتن لأبي عمرو الداني، والفتن والملاحم لابن كثير وهو خاتمة كتابه البداية والنهاية.ولقد كان هؤلاء الأئمة أسوة وقدوة لمن جاء بعدهم، وصنيع هؤلاء الأئمة يدل على أنهم عنوا بهذه الأحاديث والأخبار وأولوها اهتمامهم كسائر أبواب العلم.

ثانياً: تمييز الصحيح الثابت، والتحذير من المنكر والموضوع، ففي أحاديث الفتن والملاحم جملة كثيرة صحيحة وأخرى صالحة مخرجة في دواوين السنة المعتبرة؛ كالصحيحين والسنن الأربعة وغيرها، وإلى جنب ذلك نجد جملة كبيرة من الأحاديث الضعيفة الواهية، والموضوعة المنكرة، والباطلة الساقطة. لذا قال الإمام أحمد رحمه الله: «ثلاثة كتب ليس لها أصول: المغازي والملاحم والتفسير»[١] ومراده بذلك كثرة الكذب والروايات المردودة في هذه الأبواب الثلاثة وقلة ما يصح فيها من الأحاديث خاصة المرفوعة.

قال الخطيب: «وهذا الكلام محمول على وجه، وهو أن المراد به كتب مخصوصة في هذه المعاني الثلاثة غير معتمد عليها، ولا موثوق بصحتها؛ لسوء أحوال مصنفيها، وعدم عدالة ناقليها، وزيادات القصاص فيها»[٢]. قال: «أما كتب الملاحم فجميعها بهذه الصفة، وليس يصح في ذكر الملاحم المرتقبة والفتن المنتظرة غير أحاديث يسيرة اتصلت أسانيدها إلى الرسول ﷺ من وجوه مرضية، وطرق واضحة جلية»[٣].

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي ٢ /١٦٢.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه: ١٦٢-١٦٣.

ثالثاً: التفقه فيها الفقه الصحيح واستنباط ما فيها من حكم وأحكام، ولو تأملنا تراجم أئمة الحديث وتبويباتهم لهذه الأحاديث لاستخرجنا منها دررا ودروسا و فوائد كثيرة.

فوائد معرفة أحاديث الفتن والملاحم:

إن لدراسة أحاديث الفتن والملاحم فوائد جمة يمكن أن نجملها فيما يلي:

١ ـ معرفة كثيرٍ من دلائل نبوته، وصدق دعوته لإخباره بمغيبات ووقوعها كما أخبر، وهذا مما يثبت الإيمان ويرسخه.

٢ ـ معرفة الاحتياطات والتدابير الواقية من الفتن قبل وقوعها.

٣ ـ معرفة الموقف الشرعي عند وقوع الفتن، وكيفية التعامل معها عند حلولها، لضمان النجاة والسلامة في الدين والدنيا.

٤ ـ كشف رؤوس الفتن والضلال للحذر منهم، وعدم الانسياق وراءهم، كإخباره ﷺ عن المتنبئين والدجالين في آخر الزمان فمن ذلك قوله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة، دعوتهما واحدة، وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله[(١)]، ومن ذلك أيضاً إخباره عن الدجال الأكبر وعن علاماته، ومخاريقه، وسبيل النجاة من فتنته في أحاديث كثيرة صحيحة مستفيضة في كتب السنة[(٢)] وفي ذكره ﷺ للخوارج وأوصافهم حتى لا يفتتن بهم[(٣)].

٥- إظهار أماكن الفتن للبعد عنها وعنهم كإخباره ﷺ بأن الفتنة من

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب ٢٥ رقم (٧١٢١) ١٣/٨٨.

(٢) انظر صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال رقم (٧١٢١) ١٣/٦٩-٩٧.

(٣) انظر صحيح مسلم كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم ٢/٧٤٠-٧٤٦.

قبل المشرق[١].

٦- إظهار فضائل بعض الأمكنة التي تكون بعيدة عن الفتن للزومها والحض على سكناها فمن ذلك ما ورد عن النبي ﷺ أن الدجال لا يدخل المدينة[٢]، وما ورد عنه أيضاً في فضل الشام، وأن الطائفة المنصورة الظاهرة على الحق تكون فيه[٣]

٧- إظهار فضائل ومناقب بعض الأشخاص في القضاء على الفتن والوقوف أمامها مثل ما ورد في فضل عمر أنه باب أمام الفتن.

فعن حذيفة رضي الله عنه قال: قال عمر رضي الله عنه: أيكم يحفظ حديث رسول الله ﷺ عن الفتنة؟ قال: قلت: أنا أحفظه كما قال. قال: إنك عليه لجريء فكيف قال؟ قلت فتنة الرجل في أهله وولده وجاره تكفرها الصلاة والصدقة والمعروف. قال سليمان: قد كان يقول الصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.قال ليس هذه أريد ولكني أريد التي تموج كموج البحر. قال: قلت: ليس عليك بها يا أمير المؤمنين بأس، بينك وبينها باب مغلق، قال: فيكسر الباب أو يفتح؟ قال: قلت: لا بل يكسر قال: فإنه إذا كسر لم يغلق أبداً قال: قلت: أجل، فهبنا أن نسأله من الباب فقلنا لمسروق: سله قال فسأله فقال: عمر رضي الله عنه. قال: قلنا: فعلم عمر من تعني؟ قال: نعم، كما أن دون غد ليلة.

وذلك أني حدثته حديثا ليس بالأغاليط[٤]. وفي قتال علي للخوارج وذلك في قوله ﷺ: «**تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين يقتلها أولى**

---

(١) انظر صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب الفتنة من قبل المشرق ١٣/٤٩-٥١.

(٢) انظر صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب لا يدخل الدجال المدينة رقم (٧١٣٢) ١٣/١٠٩.

(٣) انظر الكتب المصنفة في ذلك كتخريج الألباني لأحاديث فضائل الشام ودمشق للربعي، وترغيب أهل الإسلام في سكنى الشام للعز بن عبد السلام.

(٤) صحيح البخاري كتاب الزكاة باب: باب الصدقة تكفر الخطيئة رقم الحديث: (١٤٣٥)٣/٣٥٣.

الطائفتين بالحق»[1]، والحسن بن علي وكونه سببا في الإصلاح بين فئتين عظيمتين من المسلمين[2]، والمهدي وغيرهم.وفي هذا معرفة لقدر هؤلاء والتحيز لهم ونصرتهم

٨- معرفة حرص النبي ﷺ على أمته ورحمته ورأفته بهم؛ إذ أخبرهم عن الفتن و أسبابها والملاحم التي تكون في آخر الزمان وكيفية النجاة منها.

ولهذه الفوائد وغيرها ندرك أن أهل الحديث قد أحسنوا صنعاً بتدوين هذه الأحاديث وإيرادها في دواوين السنة بخلاف ما يراه بعض المعاصرين من أن أهل الحديث قد أساءوا في ذلك كله وكان عليهم أن يتنكبوا هذه الأحاديث جملة وتفصيلا.

التعامل الصحيح مع أحاديث الفتن والملاحم:

إن التعامل الصحيح مع أحاديث الفتن والملاحم يكون بالتزام الضوابط الآتية:

أولاً: تحري الأحاديث الصحيحة الثابتة في هذا الباب، والحذر من ترويج الأحاديث الموضوعة والمنكرة وما أكثرها في هذا الباب! وعدم روايتها إلا للتحذير منها؛ لأن كتب الفتن أحد أودية الوضع كما ذكر الإمام أحمد وغيره من أهل الحديث.

ثانياً: عدم التحديث ونشر ما يمكن أن يفهم من أحاديث الفتن فهما سقيما عند من تقصر عقولهم ومداركهم من العامةفينبغي للداعية الموفق ألا يحدث الناس بكل ما يعرفه من الأحاديث وإن كانت صحاحا، فإن العامة قد لا تدرك المعاني المقصودة منها وتضل في فهمها وهذا فقه صحيح مأخوذ عن السلف فقد أفرد الإمام البخاري في كتاب العلم من صحيحه بابا في

---

(١) صحيح مسلم كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم ٧٤٥/٢-٧٤٦.

(٢) انظر صحيح البخاري كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ للحسن بن علي «**إن ابني هذا لسيد ولعل الله أن يصلح به بين فتين من المسلمين**» رقم (٧١٠٩) ٦٦/١٣.

ذلك ترجم عليه بقوله: «باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية ألا يفهموا»[1] وأورد فيه قول علي - رضي الله عنه - معلقا: «حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟» وأورد فيه حديث أنس: أن النبي - ﷺ - قال لمعاذ وهو رديفه على الرحل: «ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله صدقا من قلبه إلا حرمه الله على النار» قال: «يا رسول الله أفلا أخبر به الناس فيستبشروا؟» قال: «إذن يتكلوا»، فأخبر به معاذ عند موته تأثماً.

قال الحافظ ابن حجر: «وفيه دليل على أن المتشابه لا ينبغي أن يذكر عند العامة، ومثله قول ابن مسعود: «ما أنت محدثاً قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة» رواه مسلم[2].

وممن كره التحديث ببعض دون بعض، الإمام أحمد، خاصة في الأحاديث التي ظاهرها الخروج على الأمير، ومالك في أحاديث الصفات، وأبو يوسف في الغرائب، ومن قبلهم أبو هريرة كما روي عنه في الجرابين، وأن المراد ما يقع في الفتن، ونحوه عن حذيفة، وعن الحسن: أنه أنكر تحديث أنس للحجاج بقصة العرنيين، لأنه اتخذها وسيلة إلى ما كان يعتمده من المبالغة في سفك الدماء، بتأويله الواهي.

وضابط ذلك أن يكون ظاهر الحديث يقوي البدعة، وظاهره في الأصل غير مراد، فالإمساك عنه عند من يخشى عليه الأخذ بظاهره مطلوب»[3].

ولما كان النهي للمصلحة لا للتحريم، أخبر به معاذ لعموم الآية بالتبليغ[4].

فأحاديث الفتن التي يوهم ظاهرها اليأس من كل إصلاح، والقعود عن

---

(١) انظر صحيح البخاري مع الفتح: ٢٧٢/١.
(٢) مقدمة صحيح مسلم: ١/١.
(٣) فتح الباري ٢٧٢/١.
(٤) فتح الباري ٢٧٤/١.

أي عمل لمقاومة الفساد، أو غير ذلك من الأحاديث التي يدق معناها على جمهور الناس، وليس لهم بها حاجة، ولا يترتب عليها حكم، لا ينبغي أن تذكر عند العامة من الناس.

وإذا احتيج إلى شيء من هذه الأحاديث لسبب من الأسباب، فينبغي أن توضع في إطارها الصحيح، وأن يلقي عليها من أشعة البيان والتوضيح، ما يجلي معناها، وينفي الاشتباه والإشكال عنها[1].

ثالثاً: ينبغي فهم هذه الأحاديث في حدود لغة العرب وفهوم علماء الحديث، دون تكلفات سمجة، وتأويلات بعيدة، تخرج النص الحديثي عن مدلوله اللغوي والشرعي، فمن ذلك ما ذهب إليه بعض المعاصرين من أن المراد من الدجال الأعور هو الحضارة الغربية المادية، لأنها ذات شق واحد وهو الجانب المادي دون الجانب الروحي فهي بذلك عوراء.

ومن ذلك ما قاله الشيخ محمد الغزالي - رحمه الله - بعد إيراده جملة من الأحاديث الواردة في الدجال: «ويظهر لي أن الدجال من زعماء اليهود، وقد يكون من كبار علمائهم الكونيين، وهو يمثل عوج الضمير اليهودي، وانقطاعه عن الله بل عداوته له»[2].

رابعاً: عدم التسرع في تنزيل هذه الأحاديث على وقائع معينة، وأشخاص بأعيانهم مثل أحاديث المهدي والدجال والقحطاني والسفياني والرايات السود وغيرها مما صح أو لم يصح قبل التأكد من ثبوت هذه الأحاديث أولا ثم التحقق من الأوصاف، والعلامات التي وردت مما يقطع به أو يغلب على الظن بأن هؤلاء هم المعنيون بهذه الأحاديث.

خامساً: فهم أحاديث الفتن والملاحم التي تحدث عنها الرسول ﷺ على أنها ليست جبرا وقدرا لازما يحيق بالناس دون أن يقدموا من الأسباب والعلل ما يجعلهم يجنون تلك النتائج، ويصلون إلى تلك الحال،

---

(١) انظر كتاب كيف نتعامل مع السنة النبوية معالم وضوابط للدكتور يوسف القرضاوي: ٨٦.

(٢) السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث: ص١٢٤.

فليست الفتن إلا بما كسب الناس أنفسهم كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۝٣٠﴾[1] ومن ثم فإن دفع الفتن يكون بتوقي أسبابها وعللها بالقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالفتن والملاحم التي أخبر عنها الرسول ﷺ إنما هو إخبار بمغيبات ستقع وفقا لسنن كونية، وهذا لا ينافي أنها من قدر الله تعالى، فهي مرتبطة بالأسباب التي يكتسبها الناس في واقع الحياة، فالأخذ بسنن الله الكونية وقوانينه في الأنفس والآفاق، مع التزام بسننه الشرعية يكون صمام الأمان من الفتن.

مظاهر التعامل الخاطئ مع أحاديث الفتن والملاحم:

إن التعامل الخاطئ مع أحاديث الفتن والملاحم يظهر في أمرين بارزين: أولهما اعتقادها سنة وقدرا لازما، وثانيهما: إسقاطها على الأشخاص والوقائع.

أولاً: اعتقادها سنة وقدراً لازماً، فمن أخطر الفهوم لأحاديث الفتن والملاحم اعتقاد بعض الناس أنها قدر لازم ومصير محتوم لا مفر منه ومن ثم يتركون العمل للإسلام وينعزلون ويتقاعسون في سلبية مقيتة، يقول الشيخ عبدالفتاح أبو غدة مشيراً إلى هذه الظاهرة وآثارها السيئة:

«وهناك فكرة شائعة لدى عدد من عوام المسلمين، وهي أنهم يتخذون من إخبار الرسول بهذه العلامات، متكأ لهم في ترك العمل الجدي إلى إعادة الحياة الإسلامية الصحيحة، وقد ربطوا بعلامات الساعة أمرا لا صلة له بها، وهو أن العمل الآن لا يجدي، لأنه لابد أن يزداد الفساد، وينتشر الضلال وتأتي الخوارق التي تتقدم الساعة، من ظهور المهدي ونزول عيسى عليه السلام... ، وحنيئذ يعود الإسلام وينتصر الدين، وينتشر الحق ويقوى أهله، ويسود الحكم بالإسلام على وجهه، فلا جدوى الآن من

---

(١) الشورى: ٣٠.

مقاومة الباطل وأهله مهما حاول الإنسان المسلم!

«وهذه الفكرة الضالة الخبيثة - وقد تكون دخيلة على المسلمين بمخارز أعدائهم الناعمة - أسقطت السعي الجدي الواجب، والوعي الإسلامي الصحيح، عند هؤلاء الجاهلين ومن يدور في فلكهم من المسلمين المغفلين! فقد أثرت فيهم تأثيراً سلبياً، وأحبطت منهم العمل الجدي، والسعي المتواصل لإعادة الحياة الإسلامية.

وكثيرا ما خدع هؤلاء الجاهلون الأغرار من المسلمين أشباههم بقولهم لهم: إن العالم قد اقترب من نهايته، وإن الأحاديث النبوية تدل على استمرار التدهور في شأن الإسلام والمسلمين، ولما كان الأمر هكذا، كان لا جدوى من السعي لعمل شيء في وقف هذا التيار الفاسد، ومنع هذا الانحدار، إذ هو أمر قدره الله تعالى وبلغه رسوله ـ ﷺ ـ ولا بد أنه واقع، فما علينا سوى التسليم والسكون، حتى يأتي أمر الله الذي لا مفر منه»[1].

ثم ذكر ضرورة معالجة هذه الفكرة وإبطالها فقال: «وهذه الفكرة الخاطئة الزائفة تجب معالجتها في نفوس المصابين بها لدفع هذا التأثير السلبي، الذي أثرته في إرادة هؤلاء المسلمين الشعورية واللاشعورية، فضلا عن المعوقات التي تنثر في طريقها من خارجهم.

ولو كانت هذه الفكرة صحيحة سليمة ثابتة، لما كان الجهد والجهاد من السلف في دفع كل زيف وانحراف، من أي مبطل كان: أجنبيا أو عربيا، مسلما في الصورة أو كافرا، لأننا إذا مشينا في ظل هذا الفكر الزائغ، لزمنا أن نستسلم لكل ما يواجهنا من صعوبات وتحديات، في مختلف الشؤون والمستويات! وهذا أمر لا يقول به عاقل، فضلاً عن أن يكون الشرع الإسلامي أراده منا، وحاشا شرع الله أن يضاف إليه ذلك.

فلماذا يسعى هؤلاء الجاهلون المصابون بهذه الفكرة المريضة، في

---

(١) مقدمة تحقيق التصريح بما تواتر من نزول المسيح للشيخ محمد أنور شاه الكشميري، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب ط ٥، ١٩٩٢، ص و- ز.

تنمية أموالهم وأحوالهم، وتحسين عيشهم ومسكنهم، وما إلى ذلك من أمور الدنيا ومرافق الحياة؟ فإذا جاءوا إلى أمور الدين والجهاد لبستهم هذه الفكرة الشيطانية، فضلوا وتخاذلوا عن نصرة دينهم، فأين عقلهم وفهمهم من صريح قول النبيـ ﷺ ـ: «الجهاد ماض إلى يوم القيامة»، وأمثاله من الأحاديث الصحيحة الكثيرة، وقد علم العالمون البصراء أن سنة الله في عباده: الجهد والجهاد، والأخذ بالأسباب، كما هو بدهي عند كل مسلم فاقه لدينه وإسلامه.

فترك الجهد والعمل في نصرة الدين والإسلام جريمة، وترك دفع المبطلين والظالمين والكافرين المستولين على المسلمين ـ بسبب هذا الاعتقاد الباطل جريمة فوق جريمة، ومصيبة عظيمة أصيب بها عقل المرضى بهذا الاعتقاد، ويجب الإسراع بعلاجهم وإنقاذهم من هذا الداء الوبيل»[١].

ثانياً: إسقاطها على الأشخاص والوقائع.

ومن الفهوم الخاطئة والتأويلات المتعسفة إسقاط أحاديث الفتن والملاحم وتنزيلها على الوقائع المحددة، والأحداث المعينة، وقد نشط أصحاب هذا المنهج منذ حرب الخليج الثانية ثم حرب أفغانستان ثم حرب الخليج الثالثة، وأصدروا عددا من المؤلفات، راجت وانتشرت بأيدي العامة والجهلة، فأثرت في تصورهم للأحداث، وإدراكهم لطبيعة الصراع وساهمت في اتخاذ المواقف السلبية، وعاش الكثير منهم في خوف وذعر وترقب.

حكم هذه الظاهرة في ميزان الشرع:

لا خلاف في جواز تنزيل أحاديث الفتن و الملاحم على وقائع معينة وأشخاص معينين إذا توافرت شروط ذلك مع الاعتقاد بأن هذا التنزيل هو أمر اجتهادي محض وهو مجرد رأي يصيب ويخطئ ولا يمكن الجزم والقطع بشيء من ذلك أبدا، فمن ذلك ما رواه الإمام مسلم عن شعبة عن

(١) المصدر نفسه.

سعد بن إبراهيم عن محمد بن المنكدر قال: رأيت جابر بن عبد الله يحلف أن ابن صائد الدجال، فقلت: أتحلف بالله؟، قال: إني سمعت عمر يحلف على ذلك عند النبي - ﷺ - فلم ينكره النبي - ﷺ -[1]، ومع ذلك فلم يكن الأمر كما توقع جابر وعمر ولم يكن ابن صياد هو الدجال الذي يأتي في آخر الزمان وهذا مما يدل على أن هذا الأمر اجتهاد صرف، وإن غلب على ظن قائله حتى يحلف عليه، فليس بالضرورة أن يكون مطابقا للواقع.

ومن ذلك أيضاً ما رواه الإمام البخاري قال: حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا عمرو بن يحيى بن سعيد بن عمرو بن سعيد قال: أخبرني جدي قال: كنت جالسا مع أبي هريرة في مسجد النبي ﷺ - ومعنا مروان قال أبو هريرة: سمعت الصادق المصدوق يقول: هلكة أمتي على يد غلمة من قريش، فقال مروان: لعنة الله عليهم غلمة، فقال أبو هريرة: لو شئت أن أقول بني فلان بني فلان لفعلت، فكنت أخرج مع جدي إلى بني مروان حين ملكوا بالشام فإذا رآهم غلمانا أحداثا قال لنا عسى هؤلاء يكونوا منهم، قلنا أنت أعلم[2].

قال الحافظ ابن حجر في الفتح وفي رواية ابن أبي شيبة أن أبا هريرة كان يمشي في السوق ويقول: اللّهم لا تدركني سنة ستين ولا إمارة الصبيان.

وفي هذا إشارة إلى أن أول الأغيلمة كان في سنة ستين وهو كذلك؛ فإن يزيد بن معاوية استخلف فيها، وبقي إلى سنة أربع وستين فمات، ثم ولده معاوية ومات بعد أشهر. . . ، وقد وقع الأمر كما أخبر - ﷺ - وهذا التنزيل من أبي هريرة - رضي الله عنه - لم يكن إلا بعلم يتلقى من رسول الله - ﷺ - قال الحافظ: «وكأن أبا هريرة كان يعرف أسماءهم، وكان ذلك من الجراب الذي لم يحدث به»[3].

---

(١) صحيح مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد (٢٩٢٩) ٢٢٤٣/٤.

(٢) صحيح البخاري كتاب الفتن باب قول النبي - ﷺ - هلاك أمتي على يدي أغيلمة سفهاء رقم (٧٠٥٨) ١١/١٣.

(٣) الفتح ١٣/١٣.

ومراد الحافظ بذلك قول أبي هريرة - رضي الله عنه - «حفظت من رسول الله - ﷺ - وعاءين، فأما أحدهما فبثثته، وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم[1].

قال الحافظ: «وحمل العلماء الوعاء الذي لم يبثه على الأحاديث التي فيها تبييت أسامي أمراء السوء وأحوالهم وزمنهم، وقد كان أبو هريرة يكني عن بعضهم ولا يصرح به خوفا على نفسه منهم، كقوله أعوذ بالله من رأس الستين وإمارة الصبيان يشير إلى خلافة يزيد بن معاوية؛ لأنها كانت سنة ستين من الهجرة، واستجاب الله دعاء أبي هريرة فمات قبلها بسنة»[2].

يتبين مما سبق أن التنزيل على قسمين: قسم هو اجتهاد وتأويل محض يصيب ويخطئ أيا كان قائله، ومهما بلغ في الفضل والعلم، كما في تأويل جابر وعمر أن ابن صياد هو الدجال، وأما عدم إنكار النبي - ﷺ - على حلف عمر فهذا لا يدل على موافقة النبي - ﷺ - على هذا التنزيل ورضاه بهذا التأويل وقد ذكر العلماء أوجها تبين هذا: منها ما ساقه الحافظ ابن حجر عن ابن بطال فإنه قال -بعد أن قرر دليل جابر - فإن قيل تقدم في الجنائز أن عمر قال للنبي - ﷺ - في قصة ابن صياد: دعني أضرب عنقه، فقال: إن يكن هو فلن تسلط عليه، فهذا صريح في أنه تردد في أمره، فلا يدل سكوته عن إنكاره عند حلف عمر على أنه هو[3].

ونقل الحافظ عن النووي قوله: «قال العلماء قصة ابن صياد مشكلة، وأمره مشتبه، لكن لاشك أنه دجال من الدجاجلة، والظاهر أن النبي - ﷺ - لم يوح إليه في أمره بشيء، وإنما أوحي إليه بصفات الدجال وكان في ابن صياد قرائن محتملة، لذلك كان - ﷺ - لا يقطع في أمره بشيء، بل قال لعمر: لا خير لك في قتله»[4].

---

(١) صحيح البخاري كتاب العلم، باب حفظ العلم رقم (١٢٠)، ٢٦٠/١.
(٢) فتح الباري ٢٥٨/١.
(٣) انظر الفتح ٣٣٧/١٣.
(٤) فتح الباري ٣٣٩/١٣.

فهذا النوع من التنزيل لا يمكن أن تجرى عليه الأحكام لأنه مظنة الخطأ، وموافقة الصواب فيه محتملة، وليس فيه خبر عن المعصوم يقطع به، ومن ههنا منع النبي - ﷺ - عمر من قتل ابن صياد لما تأول أنه هو الدجال، ومنه نقول أنه لا يجوز أن تتخذ مواقف عملية تجاه كثير من الإسقاطات والتنزيلات لأحاديث الفتن والملاحم، فلا يجوز الخروج على حاكم ما بزعم أنه السفياني، ولا الثورة مع أي داعية بدعوى أنه المهدي المنتظر، ولقد أثبت التاريخ والواقع بطلان كثير من تلكم المزاعم، والفساد العريض الذي أحدثه أولئك المتأولون المتسرعون المعتمدون على أحاديث الفتن والملاحم بإسقاطات متكلفة، والرؤى والمنامات بتأويلات وتعبيرات خاطئة فيتلاعب بهم الشيطان، فينشرون الفتن، ويبثون الرعب في صفوف الآمنين، ويغررون بكثير من العوام والمخدوعين ممن لا علم عندهم ولا بصيرة في الدين[١].

والقسم الثاني: هو تنزيل عن وحي وعلم من المعصوم، فهذا حق لاشك فيه، والتحدث به يكون حسب ظروف القائل وأحوال المستمعين إليه كما تقدم بيانه. ويدخل حينها في باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية ألاَّ يفهموا. وبتتبع كتب السنة وشروحها المختلفة لا نجد من هذا النوع إلا نزراً يسيراً جدّاً مما يدل على أنه كان استثناء يعمل به في ظروف خاصة، كما يدل على أن المحدثين ما كانوا يقحمون أنفسهم في إسقاط هذه الأحاديث على الوقائع والأحداث، ولم نجد لهم في هذا كتاباً واحداً.

خطورة هذا المنهج وآثاره السيئة:

هذا المنهج يفضي إلى جملة من المحاذير منها:

أولاً: القول على الله ورسوله بغير علم.

ثانياً: التخرص بالظنون والأوهام، والعيش في الأماني والأحلام،

---

(١) انظر نماذج من دعوات المهدية في كتاب أحاديث المهدي في الميزان لعبد العظيم بستوي.

وترك السنن الكونية التي أمر الله بها.

ثالثاً: التعدي والظلم لبعض الأشخاص أو القبائل لإسقاط أحاديث عليهم وهي ليست فيهم، أو على الأقل لا يمكن القطع والجزم بذلك.

رابعاً: تمرير بعض العقائد المنحرفة التي يتبنّاها اليهود وبعض النصارى حول نهاية العالم وأشراط الساعة وما يتعلق بذلك.

خامساً: شغل الناس وصرفهم عن العلم النافع والعمل الصالح بترقب الأحداث وانتظار النبوءات.

نماذج من هذا المنهج (كتاب «هرمجدون» دراسة ونقد)[1]

الكتاب بعنوان «هرمجدون، آخر بيان يا أمة الإسلام»، وهو ضمن سلسلة أصدرها المؤلف «عمر أمة الإسلام، وقرب ظهور المهدي عليه السلام»، مؤلفه هو أمين محمد جمال الدين دراسات عليا في الدعوة والثقافة الإسلامية بكلية الدعوة الإسلامية بجامعة الأزهر، نشر المكتبة التوفيقية بمصر سنة ٢٠٠١م.

وقد اخترت هذا الكتاب نموذجاً للدراسة لأسباب كثيرة منها:

ـ أن هذا الكتاب من آخر ما أصدره أصحاب هذا المنهج.

– اشتماله على كثير من الأمثلة والنماذج لإسقاط أحاديث الفتن والملاحم على الوقائع والأحداث الراهنة والمستقبلية، وتحديد ذلك بمحددات زمنية تكاد تكون دقيقة.

– اشتماله على مغالطات، وأخطاء سواء في إثبات النصوص الحديثية، أو فقهها الفقه الصحيح، وهو نموذج يوضح دراسات غير المتخصصين في

(١) لقد كتب بعض الأفاضل في نقد هذا الكتاب، منهم: الشيخ حامد بن عبدالله العلي، في مقال له بعنوان تنبيه المفنون بكتاب «هرمجدون»، ود/سفر الحوالي، ود/عبد العزيز دخان وغيرهم وهي منشورة عبر الإنترنت وقد استفدنا منها فجزاهم الله خيراً..

السنة النبوية، وآثارها السيئة على مختلف المستويات.

- اغترار كثير من العامة والدهماء بما ورد فيه، واقتناعهم بما ذكره، وعملهم بما تضمنه.

ونقدنا لهذا الكتاب يبدأ بعنوانه ثم مؤلفه ثم مضمونه، أما مؤلف الكتاب فهو لا يعدو أن يكون في أحسن أحواله طالب علم، فهو ليس من العلماء، فضلا أن يكون من الراسخين في العلم، ومثل هذه الموضوعات الحساسة الشائكة لا يتكلم فيها إلا العلماء الكبار الراسخون في العلم الذين يجمعون بين معرفة النصوص، وإدراك الصحيح والسقيم منها، مع فقه للتنزيل، وفهم للواقع، وإدراك لمفاهيم الإسلام الكبرى وطبيعة الصراع، فالمؤلف غفر الله له ليس عنده فيما ذكره من إسقاطات علم عن المعصوم مأخوذا عن الوحي فيصدق فيه فما بقي إلا الاجتهاد، فليس هو أهلا له، وما هو بموضع اجتهاد.

أما عنوان الكتاب «هرمجدون»، ويريد بذلك الملحمة الكبرى، التي تكون عندها نهاية العالم ولا وجود لهذه الكلمة، ولا لهذه الملحمة إلا في أسفار العهد القديم والعهد الجديد، ونحن مأمورون بألاَّ نصدق أخبار بني إسرائيل ولا نكذبهم فيها، فيما ليس عندنا من الشرع ما يشهد بصدقها أو كذبها، وليس لهذه الملحمة الكبرى خبر صحيح صريح عن النبي ﷺ - في ذلك، فكيف نصدقهم في هذا الأمر الغيبي ونبني عليه أحكاما؟!.

الظروف التي صدر فيها الكتاب:

والمؤلف -غفر الله له - أصدر كتابه هذا تحت تأثير حمّى حرب «هرمجدون»، وهي عقيدة توراتية لا أساس لها من الصحة، وما أصدره أصحابها من عشرات الكتب والمنشورات في ذلك، فالكتاب يكرس هذه العقيدة، وكان من المفترض أن يتصدى لنسفها بأدلة القرآن والسنة الصحيحة، لكن المؤلف راح يؤيدهم في نبوءاتهم الكاذبة، وتأويلاتهم المتعسفة، لنصوص من العهد القديم والجديد.

(ففي غمرة الحماس الهائج لاقتراب الألفية نشط الأصوليون في العقدين الأخيرين من القرن العشرين نشاطاً هائلاً في كل المجالات.

إلا أن من أهمها مجال الدراسات والتآليف والصخب الإعلامي عن نزول المسيح واقتراب الألفية السعيدة، حيث استعجلوا بتعسف ظاهر كل حوادث آخر الزمان وأشراط الساعة، وأعدوا لها تصورات (سيناريوهات) مرعبة للغاية، تقوم على افتراض واحد هو: حدوث المعجزات الخارقة بما لا يمكن أن يتفق مع التتابع المنطقي لأحداث التاريخ بأي حال.

لقد وجد هؤلاء أنه لا يمكنهم تصور أو تصوير حلول الألفية السعيدة وفق الشروط الموضوعية كالزمان والمكان والظروف السياسية الحالية.

فلابد من إقحام خارقة عظمى تقلب النظام الكوني رأساً على عقب.

ومن هنا كان أسهل الطرق لتحقيق ذلك هو كارثة نووية تقضي على الحضارة، وتعيد العالم إلى حالة شبيهة بحاله عند المجيء الأول للمسيح، وتمهد للمجيء الثاني الموعود، ووجدوا ضالتهم المنشودة في معركة «هرمجدون» المشؤومة.

ووافق ذلك شعارات ريجان ونيكسون عن تدمير إمبراطورية الشر «الاتحاد السوفيتي» فافترضوا أن يأجوج ومأجوج هم الروس.

وبسقوط الاتحاد السوفيتي وقيام حرب الخليج افترضوا أن يكون الآشوري هو صدام حسين وأن يأجوج ومأجوج هم العرب أو العرب والفرس وغيرهم وأن الحرب النووية لا مفر منها!!)[1].

والمؤلف قد أكثر الاعتماد على هذه النبوءات والتحليلات، وأخذها مأخذ الصدق والحق، بل تجاوز ذلك إلى تخاريف الكهنة والمنجمين، ثم يعقب المؤلف العنوان بقوله «آخر بيان يا أمة الإسلام»، فهو بهذا يحدد نهاية العالم، بل صرح أنه يخشى ألا يصل نداؤه إلى الأمة الإسلامية بسبب

(١) يوم الغضب هل بدأ بانتفاضة رجب للدكتور سفر بن عبد الرحمن الحوالي ص ١٣.

الحرب الكونية الثالثة، فقال: «ولا أدري هل سيصلكم ندائي هذا، أم ستطغى عليه أصوات القنابل المدمرة والصواريخ القاتلة وأسلحة الدمار الشامل الجاهزة الآن للحرب العالمية الثالثة هرمجدون»[1] كما حدد السنوات والتواريخ التي يظهر فيها المهدي وينزل فيها عيسى عليه السلام ونهاية اليهود وزوال إسرائيل[2] وشيء من ذلك لم يقع وكل ذلك تهويل وعويل، وتخرص بغير برهان ولا دليل.

أما المصادر التي اعتمد عليها المؤلف في إيراد أخبار الفتن والملاحم فكثيرة، وكان جل اعتماده على كتاب «الفتن» لنعيم بن حماد الخزاعي المتوفى سنة **٢٢٩**هـ وهو كتاب غير معتمد، وقد نبه علماء الحديث إلى أن أغلب ما فيه ضعيف بل منكر وموضوع لا تحل روايته إلا لبيان حاله والتحذير منه، ونعيم بن حماد وإن كان ثقة في نفسه، لكن هو كما قال الإمام الذهبي: «لكنه لا تركن النفس إلى مروياته»[3] وكان المؤلف يورده على أنه شيخ البخاري، وكأنه بهذا يكون موضعا للثقة والأمانة مثل الإمام البخاري، والبخاري لم يرو عنه سوى موضعا أو موضعين مقرونا بغيره، وروى له الإمام مسلم موضعا واحدا في المقدمة[4].

وقال عنه صالح جزرة: «وكان يحدث من حفظه، ولديه مناكير كثيرة لا يتابع عليها، سمعت يحيى بن معين سئل عنه فقال: ليس في الحديث بشيء ولكنه صاحب سنة.

قال الإمام الذهبي معقباً على هذا الكلام: «قلت لا يجوز لأحد أن يحتج به، وقد صنف كتاب «الفتن» فأتى فيه بعجائب ومناكير»[5].

كما رجع إلى كتب مجهولة يزعم أنها مخطوطات نادرة بدار الكتب

(١) المقدمة: ص٣.
(٢) هرمجدون ص ٧٠.
(٣) السير: ١٠/ ٦٠٠.
(٤) انظر هدي الساري: ص ٤٤٧.
(٥) السير ١٠/٦٠٩.

الإسلامية في كتاب خانة إسطانبول، منها كتاب «أسمى المسالك لأيام المهدي الملك لكل الدنيا بأمر الله المالك» لمؤلف مجهول سماه «كلدة بن زيد بن بركة المدني» ومع ذلك نقل عنه بالواسطة نصوصا غريبة وركيكة بدون إسناد وبنى عليها أحكاما كثيرة في كتابه بل وبنى فصولا كاملة عليه[١].

وفيه تسمية هتلر وصدام والكويت والروس وعبدالناصر وغير ذلك من الهراء الفارغ، والكلام التافه.

فمن أمثلة ما ذكره من أحاديث باطلة ولا أصل لها: حديث يزعم أنه من كلام أبي هريرة رضي الله عنه، وهو كلام عجيب وغريب، ادعى أن مصدره تلك المخطوطة يقول الحديث المزعوم: (حرب آخر الزمان حرب كونية، المرة الثالثة بعد اثنين كبريين يموت فيهما خلائق كثيرة، الأول أشعلها رجل كنيته السيد الكبير، وتنادى الدنيا باسم (هتلر))[٢].

قال: وهذا مما رواه أبو هريرة وابن عباس وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم، في رواية خاف أن يحدث بها أبو هريرة، ولما أحس الموت خاف أن يكتم علما فقال لمن حوله: (في نبأ علمته عما هو كائن في حروب آخر الزمان، فقالوا: أخبرنا ولا بأس جزاك الله خيرا، فقال: في عقود الهجرة بعد الألف وثلاثمائة، واعقدوا عقودا يرى ملك الروم أن حرب الدنيا كلها يجب أن تكون، فأراد الله له حربا، ولم يذهب طويل زمن، عقد وعقد فسلط رجل من بلاد اسمها جرمن، له اسم الهر، أراد أن يملك الدنيا، ويحارب الكل، في بلاد ثلج وخير، فأمسى في غضب الله بعد سنوات نار، أرداه قتيلا سر الروس، وفي عقود الهجرة بعد الألف وثلاثمائة عد خمسا أو ستا، يحكم مصر رجل يكنى ناصر، يدعوه العرب شجاع العرب، وأذله الله في حرب وحرب وما كان منصورا، ويريد الله لمصر نصرا له حقا في أحب شهوره، وهو له، فأرضى مصر رب البيت، والعرب

---

(١) انظر البيان الأول ص ١٧ ـ ٢٥ والبيان الثالث ص ٣٩ ـ ٤٤ من الكتاب.

(٢) ص٣٩.

بأسمر سادا، أبوه أنور منه، لكنه صالح لصوص المسجد الأقصى بالبلد الحزين، وفي عراق الشام....)[1].

وهذا الخبر لا يعرف له أصل، ولا تحل روايته، دون بيان درجته وكيف يحل لأحد أن يورد مثل هذه الخرافات، وينسبها إلى صحابة النبي ﷺ، لاسيما وهي في أخبار الغيب، التي لا يقال فيها بالرأي؟! فهي في حكم المرفوع إلى النبي ﷺ، مع ما فيها من الكلام الركيك الذي يشبه هذيان المحموم.

كما قال المؤلف (هذا من الآثار العجيبة والتي حدث بها الصحابي الجليل أبو هريرة) فهو يجزم بأن أبا هريرة رضي الله عنه، قد حدث بهذا الكلام كأنه حديث أعجمي، مليء بفساد التركيب، وضعف الصياغة.

فهذا الكتاب إضافة لكتاب الفتن لنعيم بن حماد تعد من أهم مصادر المؤلف فيما ساقه من أخبار الفتن والملاحم، فهو بذلك قد خالف أول شرط من الشروط العلمية في هذا الباب وهو تحري المصادر الموثوقة، والأخبار الصحيحة الثابتة، ومن ثم كثرت في كتابه الأحاديث المنكرة والموضوعة. وما لا أصل له.

كما رجع المؤلف إلى كتب السنة المشهورة وأخذ منها بعض الأحاديث الصحيحة والحسنة، لكن أساء تنزيلها وحمّلها ما لا تحتمل، ومنها ما هو ضعيف واه دون أن يبين ضعفه، وسيأتي بيان نماذج من ذلك فيما يلي:

الأحاديث الضعيفة والمنكرة التي استدل بها المؤلف وبيان ضعفها:

كأحاديث السفياني، وأحاديث الرايات السود، وهو من الأحاديث التي تعددت طرقها وألفاظها في كتب الملاحم و أشراط الساعة، ككتاب «الفتن»

---

(١) ص٣٩.

لنعيم بن حماد، وليس فيها على كثرتها حديث واحد مرفوعٌ أو موقوفٌ عن الصحابة تقوم به الحجة[١].

ومن ذلك استشهاده بحديث (بين الملحمة وفتح القسطنطينية ست سنوات ويخرج الدجال في السابعة)[٢] وهو حديث ضعيف[٣].

ومن ذلك حديث (ليغزون الهند لكم جيش يفتح الله عليهم، حتى يأتوا بملوكهم مغللين بالسلاسل يغفر الله ذنوبهم فينصرفون حين ينصرفون فيجدون ابن مريم بالشام)[٤]. وهذا الحديث لا أصل له.

ومن ذلك هذان الحديثان المنكران: (يكون صوت في رمضان، معمعة في شوال، وفي ذي القعدة تجاذب القبائل، وعامئذ ينتهب الحاج وتكون ملحمة عظيمة بمنى يكثر فيه القتلى، وتسيل فيها الدماء، وهم على جمرة العقبة)[٥].

وحديث (إذا كانت الصيحة في رمضان فإنه يكون معمعة في شوال.. قلنا: وما الصيحة يا رسول الله؟ قال: هدّة في النصف من رمضان، ليلة جمعة، فتكون هدّة توقظ النائم وتقعد القائم وتخرج العواتق من خدورهن في ليلة جمعة في سنة كثيرة الزلازل..الحديث)[٦].

ومن ذلك ما أورده ناسبا إياه إلى نسخة خطية في دار الكاتبخانة في

---

(١) انظر العلل ومعرفة الرجال للإمام أحمد من رواية عبد الله ٣٢٥/٢، رقم (٢٤٤٣)، والضعفاء الكبير للعقيلي ٣٥١/٢، رقم (٤٠٣)، والعلل المتناهية لابن الجوزي رقم (١٤٤٥)، والمنتخب من العلل لابن قدامة رقم (١٧٠)، والأحاديث الواردة في المهدي لعبد العليم البستوي ص ٣٠-٣٩ ومن ص ١٥٨ -١٦٢ وغيرها.

(٢) ص ٥٧.

(٣) رواه أبوداود بسند ضعيف، انظر مشكاة المصابيح: ١٤٩٤/٣(٥٤٢٦) بتحقيق العلامة الألباني.

(٤) ص ٦٧.

(٥) ص ٨٠.

(٦) ص ٨٠.

تركيا، كتبها ـ فيما ادعى الناقل عنها ـ كلدة بن زيد بن بركة المدني، وجاء فيه: (وحرب في بلد صغير من عجب الذنب يجمع أهل الدنيا لها، كأنها أغنى بلد أولم عليها الوالمون، وأمير فيها سلم رايته لزعيمة الشر الآتية من الشواطئ البعيدة، بداية آخر الزمان، فتجمع له صريخها من كل الدنيا، وترد له عرش الملك ويخرب عراق في ملاحم بداية آخر الزمان، ويحارب أمير الذنب الصغير جيوش المهدي، وحان خراب البلد مرة أخرى، لأن أميرها سر الفساد... المهدي يقتله ويعود الذنب إلى جسد...)[1]. فهل هذا كلام النبي ﷺ، أم هو كلام بعض الصحابة؟! وأين إسناده إن كان كذلك؟! مع أنه في غاية الركاكة، بعيدٌ بعدَ المشرقين عن فصاحة اللفظ النبويّ، وكلُّ من يعرف كلام العرب، يجزم بأن هذا التركيب لا يمكن أن يقوله النبي ﷺ، كما يقطع بأنه ليس من كلام العرب الأوائل أيضاً.

إلى غير ذلك من الأخبار المنكرة التي لا يصح نسبتها إلى النبي ولا إلى صحابته الكرام فضلا عن تنزيلها وتأويلها على أحداث الزمان.

فهذا الكتاب وأمثاله نموذج صارخ للتعدي على قواعد المحدثين في توثيق النصوص، ونقد الأقوال، والالتزام بأخص خصائص هذا الدين وهو الإسناد، ورحم الله ابن المبارك إذ يقول: «الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء».

أما النوع الثاني من أخطاء هذا الكتاب: فهو تفسيره لبعض أحاديث الفتن والملاحم تفسيرا متكلفا، وتنزيلها على وقائع محددة وأشخاص معينين، بغير دليل مقنع، مع الجزم بأن هذا التنزيل هو معناها ومقتضاها، وفي ذلك يقول: «لولا أنني على يقين من أمري ما تورطت في أمر كهذا» وهذا مخالف لما قررناه من أن تنزيل أحاديث الفتن والملاحم إما أن يكون عن وحي فهذا يجب تصديقه، أو يكون باجتهاد فهذا له ضوابطه، وهو عرضة للخطأ والصواب، ولا يمكن القطع به.

---

(١) ص٢١.

فمن ذلك إنزاله حديث: (كنا قعوداً عند النبي ﷺ فذكر الفتن، فأكثر من ذكرها حتى ذكر فتنة السرّاء، دخنها من تحت قدمي رجل من أهل بيتي، يزعم أنه مني، وليس مني.. الحديث) وهو حديث صحيح رواه أبو داود وأحمد والحاكم وصححه.

إنزاله هذا الحديث على أن فتنة السرّاء هي فتنة غزو صدام للكويت، وجزمه بذلك وترجيحه أن أمير الكويت هو المقصود بقوله (دخنها تحت قدمي رجل من أهل بيتي)[1].

ومعلوم أن الحديث ذكر أن فتنة السراء، دخنها من تحت قدمي رجل من أهل بيته ﷺ، وأن أسرة الصباح التي تحكم الكويت، ليست من أهل البيت، ولاهم يدعون ذلك، ولا أنهم من قريش أيضاً، فإنزال الحديث على غزو صدام للكويت فيه تعسف واضح.

ومن ذلك أيضاً استدلاله بحديث: «**سيكون من بني أمية رجل أخنس بمصر يلي سلطانا يغلب على سلطانه أو ينزع منه فيفر إلى الروم فيأتي بالروم إلى أهل الإسلام فذلك أول الملاحم**» وهو حديث ضعيف[2]، استدل به على أن المقصود به أمير الكويت، مع أن المقصود بمصر، مصر نفسها، ولهذا فقد ورد الحديث بلفظ: «**فيفر إلى الروم فيأتي بهم إلى الإسكندرية**» مع أنه ضعيف أيضاً، ولكن المؤلف لم يذكر هذه اللفظة، ثم إن أمير الكويت من أسرة الصباح، وهي ليست من بني أمية، ولا من قريش أصلاً، ولا هم يدعون ذلك، ولا أهل الأنساب ينسبونهم إلى بني أمية، فإنزال هذا الحديث الضعيف على الكويت، فيه تكلف وتعسف ظاهر.

ومن ذلك أنه جمع أحاديث: ليس لها زمام ولا خطام في شأن السفياني وادعى أنه صدام، وتعسف في تركيب وصف صدام على ما ذكر في تلك الأحاديث.

---

(١) ص ٢٠ الحاشية.

(٢) انظر الجامع الصغير ٣٣٠٦.

ومن ذلك إنزاله حديث: **«يوشك أهل الشام ألا يجبى إليه دينار ولا مدي: قلنا من أين ذلك، قال: من قبل الروم»** رواه مسلم، على أن المقصود الحصار على فلسطين وأنه واقع الآن، مع أن الحديث ذكر أن الحصار يقع على الشام كلها، وليس على فلسطين وحدها، وأيضاً فإن فلسطين الآن لا يمنع عنها الدينار ولا الطعام، بل تدخلها التحويلات الخارجية إلى البنوك في فلسطين، ويدخلها الطعام من خارج فلسطين إليها، وهو أمر مشهود معلوم.

ومن ذلك إنزاله حديثاً منكراً لا تعرف صحته وقد سبق الكلام عليه: **«إذا اختلفت الرايات السود فيما بينهم أتاهم الرايات الصفر»** على أن الرايات السود هم الطالبان، والرايات الصفر هم جيوش الغرب، والواقع خلاف ذلك.

ومن ذلك أيضاً إنزاله حديث لا تعرف صحته: (علامة خروج المهدي ألوية تقبل من المغرب عليها رجل أعرج من كندة) على أن المقصود به الجنرال ريتشارد مايرز قائد القوات المشتركة الأمريكية، لأنه كان يمشي على عكازين، مع أن كندة قبيلة عربية مشهورة، أبوهم كندة بن ثور، وقيل حيّ من اليمن، فما دخل قائد القوات المشتركة الأمريكية بها؟! وغيرها من الإسقاطات الجريئة، والتنزيلات المضحكة.

النوع الثالث: من أخطاء هذا الكتاب في هذا الباب هو ترتيب أعمال ومواقف انطلاقا من تلك الفهوم الخاطئة والتنزيلات المتكلفة، (فيتطوّع الأستاذ (مخلصا!) فيدعو المسلمين في أمريكا وأوربا إلى الفرار والرّجوع، ولم يحدّد لهم طبعا المكان الذي يتعيّن عليهم أن يرتحلوا إليه وينزلوا فيه، وأجزم أنّه يريدهم أن يأتوا إلى البلاد العربية والإسلامية! ولا أدري الآن هل مازال هذا الأستاذ يحتفظ بعقله؟ إذ كيف يدعو عاقل المسلمين الأمريكيين والأوربيين وهم يعدّون بالملايين أن يتركوا أمريكا وأوربا بعد أن انتشر فيهما الإسلام وامتدّت جذوره بعيدا في تلك الأرض وانتشرت المساجد والمدارس والجامعات والمراكز الإسلامية ودخل كثير من أبناء تلك البلاد في دين الله

عزّ وجلّ وأصبح الإسلام الدّين الأكثر والأسرع انتشارا في العالم، وأصبح يقضّ مضاجع اليهود وحلفائهم؟ كيف يريد هذا الكاتب من المسلمين بعد كلّ هذا أن يخلوا أمريكا وأوربا ويتركوهما لقمة سائغة لليهود والنّصارى، اعتمادا على ظنون وتوقّعات لا تنطلق من أدلّة شرعية صحيحة، ولا تعتمد على واقع صحيح ولا تستند إلى إجماع علماء الأمّة وأهل الرّأي فيها؟!

وأخيراً يخلص الأستاذ وهو ينصح أبناء المسلمين إلى وجوب العزلة ولزوم البيوت وإعداد الطّعام انتظارا لقدوم الفتن والأزمات ومجيء المهدي المنتظر، وأظنّ أنّ هذا الكلام لو بلغ مسامع عامّة المسلمين وفهموه لأحدثوا أزمة اقتصادية خانقة ولحدث من الاضطراب والفوضى ما لا يعلم آثاره إلاّ الله تعالى!

وإنّ المؤلّف يكرّس بهذا الكلام - للأسف الشديد- عقلية التّواكل والسّلبية التي نعاني منها أصلا، فما على أبناء المسلمين في رأي حضرة الأستاذ إلاّ أن يمارسوا العزلة في البيوت والجبال، ويفسحوا المجال لأهل الفساد ليعيثوا في الأرض فساداً، حتّى إذا جاء المهدي لم يجد أحدا! ونحن نقول للمسلمين جميعا: بل الواجب في مثل هذه الأحوال هو الاتّصال بالعلماء وسؤالهم ومرافقتهم فإنّهم صمام الأمان بإذن الله تعالى عند كلّ فتنة، والواجب أيضاً هو الانطلاق في رحاب المجتمع لنشر الخير والفضيلة وتعليم النّاس وإرشادهم فإنّ هذا هو الواجب المتعيّن، وهو الذي كلّفنا به شرعا، فمن مات في هذه السّبيل فقد وقع أجره على الله تعالى، ومن عاش حتّى يدرك المهدي كان من أنصاره وأعوانه.

أمّا العزلة التي يدعو إليها الأستاذ فهي سبب من أسباب الشرّ وحظ من حظوظ النّفس وعذر أقبح من ذنب ووسيلة الشّيطان للاستحواذ على قلب المؤمن.

ولم يعهد في علمائنا السّابقين على مرّ العصور وكرّ الدّهور أن مارسوا هذا النّوع من العزلة التي يدعو إليها حضرة الأستاذ، وهذه مآثرهم وأمجادهم وسجلّهم الحافل وتراثهم الماثل يشهد بذلك، فلم يزالوا مختلطين

بالنّاس فيحصّلون منافع الاختلاط من حضور الجمعة والجماعة والجنائز وعيادة المرضى وتعليم النّاس وإرشادهم وبذل النّصيحة لأئمّة المسلمين وعامّتهم، وغير ذلك من المصالح التي يكون بعضها من فروض الكفاية، وكثير منها من فروض الأعيان.

إنّ العزلة الحقيقية إنما تكون عن الشّرّ وأسبابه ودواعيه وما يؤدّي إليه ويوقع فيه، وهي عزلة شرعية تقيّدها الضّوابط الشّرعية وتفرضها المصالح المرعية، عندما لا يجد المسلم فرصة لقول كلمة أو تعليم جملة أو نشر خير أو دفع شرّ، وليس زماننا بهذا السّوء الذي يريد الأستاذ أن يصوّره لنا، فما زال الخير يتدفّق في جوانب المجتمع وما زال أهل الخير حكّاما ومحكومين يسهرون على نشر الخير ورعاية الفضيلة، ومازال المجتمع يحبّ ذلك ويقبله، رغم كل الظواهر السّلبية التي نراها ونعيشها.

والمقصود هنا أن يحذر المسلم من إسقاط أحاديث الفتن والملاحم على واقعه إسقاطا يمنعه من العمل ويدفعه إلى العزلة المذمومة، بل الواجب عليه أن يستقبل كلّ حوادث دهره ونوازل عصره باعتبارها جزءا من قضاء الله وقدره فيغالبها بقضاء الله وقدره، تماما كما يفعل في مواجهة الأمراض والمحن والابتلاءات التي يقدّرها الله على عباده)[١].

فهذا الكتاب نموذج من دراسات المعاصرين لأحاديث الفتن والملاحم والتي غابت فيها الضوابط العلمية التي ينبغي مراعاتها في هذا الباب، كما خلصت هذه الدراسة إلى خطورة دراسات غير المختصين في الحديث الشريف، والآثار السلبية التي تنجم عنها في المجتمع، وعلاج هذه الظاهرة يكون بتصدي العلماء والباحثين الأكاديميين من أهل الاختصاص الدقيق في الحديث وعلومه بتناول مثل هذه الموضوعات في بحوث علمية متخصصة ودقيقة بعيدة عن التهريج والعبث بالقواعد العلمية، ولعل من بوادر ذلك رسالة دكتوراه للباحث د/عبدالعزيز دخان الموسومة بـ «أحاديث الفتن

(١) من مقال للدكتور عبد العزيز دخان في نقد كتاب هرمجدون منشور في الانترنت، بتصرف يسير.

والملاحم في كتب السنة - جمع وتبويب وتوثيق ودراسة-» ورسالة ماجستير للشيخ عبدالعليم عبدالعظيم البستوي بعنوان «الأحاديث الواردة في المهدي في ميزان الجرح والتعديل»، وكتاب «الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم» للشيخ مصطفى العدوي، والمطلوب مزيد من البحث والتدقيق من أهل الاختصاص حتى لا يوسَّد الأمر إلى غير أهله. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.





قائمة المصادر والمراجع

١ ـ **الأحاديث الواردة في المهدي في ميزان الجرح والتعديل**: لعبدالعليم عبدالعظيم البستوي.

٢ ـ **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**: أبو بكر بن ثابت الخطيب البغدادي، ت د/محمود الطحان، مكتبة المعارف الرياض ١٤٠٣.

٣ ـ **السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث**: الشيخ محمد الغزالي ـ ط١ ـدارالصديقية للنشر، الجزائر ١٩٨٩.

٤ ـ **سير أعلام النبلاء**: شمس الدين الذهبي -تحقيق الشيخ شعيب الأرناؤوط ومن معه -مؤسسة الرسالة.

٥ ـ **صحيح الإمام مسلم**: حققه ورقمه محمد فؤاد عبدالباقي - دار الكتاب المصري.

٦ ـ **الضعفاء الكبير**: أبو جعفر العقيلي -ت عبدالمعطي أمين قلعجي -ط١-دار الكتب العلمية ١٤٠٤ بيروت.

٧ ـ **العلل ومعرفة الرجال**: للإمام أحمد برواية عبدالله ـ تحقيق د/وصي الله عباس- ط١المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٨.

٨ ـ **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**: شهاب الدين ابن حجرالعسقلاني- رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبدالباقي -ط١- دار الريان للتراث، القاهرة.

٩ ـ **القاموس المحيط**: مجد الدين الفيروز آبادي، ط دار الجيل، بيروت.

١٠ ـ **كيف نتعامل مع السنة النبوية معالم وضوابط**: للدكتور يوسف القرضاوي، طبع الجزائر.

١١ ـ **مختار الصحاح**: لأبي بكر الرازي، ت مصطفى ديب البغا، دار الهدى، الجزائر.

١٢ ـ **المنتخب من العلل**: لابن قدامة، ت طارق بن عوض الله -ط١- دار الراية، الرياض.

١٣ ـ **هدي الساري**: شهاب الدين ابن حجرالعسقلاني- ت محمد فؤاد عبدالباقي- ط١-دار الريان للتراث، القاهرة.

١٤ ـ **هرمجدون آخر بيان... يا أمة الإسلام**: أمين محمد جمال الدين، المكتبة التوفيقية، مصر.

١٥ ـ **العلل المتناهية في الأحاديث الضعيفة والواهية**: ابن الجوزي، دار الكتب العلمية بيروت.

١٦ ـ **مشكاة المصابيح**: محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، ت محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت.

١٧ ـ **مقدمة تحقيق التصريح بما تواتر من نزول المسيح**: للشيخ محمد أنور شاه الكشميري، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب ط ٥، **١٩٩٢**.





كشاف موضوعات الإصدار الأول للندوة(1)

(١) إعداد د. صبري أبو حسين، أستاذ مساعد بالكلية.

م	الموضوع	الباحث	الصفة العلمية	تاريخه	الصفحة
٥.	قصيدة: أهل الحديث	د. أحمد محمد القضاة	أستاذ بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي	=	١٩-٢١
٦.	بيان الحد الذي ينتهي عنده أهل الاصطلاح والنقد في علوم الحديث	د. الشريف حاتم بن عارف بن ناصر العوني	أستاذ مساعد بقسم الكتاب والسنة بجامعة أم القرى	الجلسة الأولى: الثلاثاء ٦ صفر ١٤٢٤هـ ١٨ أبريل ٢٠٠٣م	٢٥-٨٤
٧.	مشكل علم مصطلح الحديث في العصر الحديث	د. أبشر عوض إدريس	أستاذ الحديث المساعد في كلية أصول الدين عميد كلية التنمية البشرية، جامعة أم درمان الإسلامية	=	٨٥-١٠٥
٨.	مناهج علوم الحديث: نظرات ووقفات	د. عواد الخلف	أستاذ مساعد بكلية التربية والعلوم الإسلامية بجامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا	=	١٠٧-١١٩
٩.	فوائد في مناهج القدماء في التعامل مع السنة تصحيحاً وتضعيفاً	د. عبدالرحمن عبدالرحيم الزيد	رئيس قسم الشريعة في كلية الشريعة واللغة العربية برأس الخيمة، وأستاذ بكلية أصول الدين بجامعة الإمام	الجلسة الثانية: الأربعاء ٧ صفر ١٤٢٤هـ ١٩ أبريل ٢٠٠٣م	١٢٣-١٤٨
١٠.	ضرورة الاستفادة من جهود المتقدمين والمتأخرين في مجال علوم الحديث	أ.د. حمزة عبدالله المليباري	أستاذ مشارك في كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي	الجلسة الثانية: الأربعاء ٧ صفر ١٤٢٤هـ ١٩ أبريل ٢٠٠٣م	١٤٩-١٧١
١١.	علوم الحديث بين المتقدمين والمتأخرين	د. عبدالعزيز دخان	جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا	=	١٧٣-٢٠٦

م	الموضوع	الباحث	الصفة العلمية	تاريخه	الصفحة
١٢.	ضرورة استقرار الضبط الاصطلاحي للإرسال الجلي والخفي	د. نجم عبدالرحمن خلف	أستاذ مشارك بكلية التربية والعلوم الأساسية بجامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا	=	٢٠٧-٢٢٤
١٣.	صعوبة فهم علوم الحديث: الأسباب والعلاج	د. صالح يوسف معتوق	أستاذ مشارك في كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي .	الجلسة الثالثة: الأربعاء ٧ صفر ١٤٢٤هـ ٩ أبريل ٢٠٠٣م	٢٢٧-٢٤٥
١٤.	مسألة الفهم والإفهام في مادة علوم الحديث	د. المكي بن أحمد أقلاينة	أستاذ بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي	=	٢٤٧-٢٦٢
١٥.	الصعوبات التي يواجهها الطلبة في مساق الحديث وعلومه	د. عبدالعزيز شاكر الكبيسي	أستاذ الحديث المساعد بقسم الدراسات الإسلامية بجامعة الإمارات	=	٢٦٣-٢٧١
١٦.	من أسباب تراجع الدرس الحديثي	أ.د. زين العابدين بلا فلايج	أستاذ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني	الجلسة الرابعة: الخميس ٨ صفر ١٤٢٤هـ ١٠ أبريل ٢٠٠٣م	٢٧٥-٣٣٥
١٧.	الصعوبات التي يواجهها الطلبة في فهم مقررات الحديث وعلومه	د. علي نايف البقاعي	أستاذ مساعد في كلية الدعوة الإسلامية، ومعهد طرابلس الجامعي، وكلية الشريعة في بيروت.	=	٣٣٧-٣٥٠
١٨.	علوم الحديث بين نضفضة المصطلح وندوة التمثيل وعسر التطبيق	أ.د. أبو لبابة الطاهر صالح حسين	رئيس قسم الدراسات الإسلامية بجامعة الإمارات	=	٣٥١-٣٧٣

م	الموضـوع	الباحـث	الصفة العلميـة	تاريخه	الصفحة
١٩.	كيفية إفادة المتأخرين من المتقدمين في علوم الحديث	د. عبدالرزاق جاي	أستاذ السنة وعلومها بكلية آداب جامعة محمد الخامس بالرباط.	الجلسة الرابعة : الخميس ٨ صفر ١٤٢٤هـ ١٠ أبريل ٢٠٠٣م	٣٧٥-٣٨٦
٢٠.	أين تكمن الصعوبات في فهم المصطلح؟	د. محمد أحمد القرشي	وزارة العدل والشؤون والأوقاف بدبي	الجلسة الخامسة : الخميس ٨ صفر ١٤٢٤هـ ١٠ أبريل ٢٠٠٣م	٣٨٩-٣٩٥
٢١.	عناصر شرح الحديث في الجامعات	د. صالح يوسف معتوق	أستاذ مشارك في الحديث الشريف بكلية الدراسات الإسلامية والعربية	=	٣٩٧-٤٠٤
٢٢.	السبر عند المحدثين وإمكانية تطبيقه عند المعاصرين	د. أحمد عزي	أستاذ بقسم الدراسات الإسلامية بجامعة الإمارات	=	٤٠٥-٤٣٦
٢٣.	كلمة الكلية في البيان الختامي	أ.د. محمد خليفة الدنّاع	عميد الكلية	=	٤٣٧-٤٣٨
٢٤.	كلمة اللجنة المنظمة	د. صالح يوسف معتوق	أستاذ بالكلية	=	٤٣٩-٤٤٠
٢٥.	نص البيان الختامي	=	=	=	٤٤١-٤٤٤



الفهرس

